

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الأمثال العقديّة في القرآن الكريم

إعداد

روان منذر السيد

إشراف

د. خضر سوندك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات
العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين.

2014

الأمثال العقديّة في القرآن الكريم

إعداد

روان منذر السيد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 16 / 1 / 2014م، واجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع



- 1- الدكتور خضر سوندك / مشرفاً ورئيساً
- 2- الدكتور سعيد القيق / ممتحناً خارجياً
- 3- الدكتور عودة عبدالله / ممتحناً داخلياً

ب

الإهداء

إلى من كان رحمة مهداة ، إلى من أرسل الى الناس أجمعين ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور

الأسلام وهدايته ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "محمد بن عبد الله"

إلى الذي كان سندي وأماني وملاذي "والدي العزيز"

إلى التي غمرتني بحبها وحنانها الكبيرين "أمي الحبيبة"

إلى التي كانت بجانبني وسندي في حياتي "عمتي الغالية "

إلى من أنار حياتي وأسعد أيامي "زوجي الحبيب"

إلى زهوري وجمال أيامي وأعز ما لدي في دنياي "أخي وأخواتي "

إلى من حبتنا العلم الشرعي إلى نفسي ورباني بيانيب الفضيحة مشرفتي الغاليتين "كفاح وعبير "

إلى رفيقة دربي في العلم الشرعي أختي في الله "البنى "

أهدي جهدي المقل إلى كل من علمني حرفا ... وساعدني في طريقي.

الشكر والتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى حمداً طيباً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، الذي وفقني لسلوك طريق العلم وأعانني على كتابة هذه الدراسة التي أرجو أن تكون على الوجه الذي يرضيه .

وأقدم بجزيل الشكر لأستاذي الدكتور خضر سونديك حفظه الله ، الذي أشرف على هذه الرسالة ، على ما أبداه من إرشاد وتوجيه ، فأسأل الله أن يمتعته بالصحة والعافية

وأقدم بالشكر والعرفان أيضاً لإعضاء لجنة المناقشة الدكتور عودة عبدالله والدكتور سعيد القيق ، اللذين تكرما بمناقشة هذه الرسالة ، والشكر لكل من مد يد العون لي ووقف بجانبني

أسأل الله أن يجزيهم الخير جميعاً ويبارك في أعمارهم

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان الآتي:

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

الأمثال العقدية في القرآن الكريم

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

ن	الإهداء
ث	الشكر والتقدير
ج	الإقرار
ح	فهرس المحتويات
ذ	الملخص
1	المقدمة
8	الفصل الأول :- مفهوم المثل والعقيدة و أهمية العقائد
9	المبحث الأول :- مفهوم المثل والعقيدة
9	المطلب الأول :- المثل لغة واصطلاحا
12	المطلب الثاني :- العقيدة لغة واصطلاحا
14	المطلب الثالث :- المثل في السياق القرآني وأنواعه
17	المطلب الرابع :- الفرق بين المثل والحكمة
20	المبحث الثاني :- أهمية العقائد
20	المطلب الأول :- أصل الدين
23	المطلب الثاني :- من مقومات الخلافة على الأرض
26	المطلب الثالث :- الحرية من العبودية لغير الله تعالى

29	المطلب الرابع : -من ضروريات الحياة الإنسانية
33	الفصل الثاني : - فوائد استخدام المثل في ترسيخ العقائد
37	المبحث الأول : - التذكير والوعظ
43	المبحث الثاني : - تقريب المراد إلى العقل (البرهان)
47	المبحث الثالث: -من وسائل الإقناع
52	الفصل الثالث : - عقيدة الإيمان بالله وصفاته ووجدانيته في الأمثال
53	المبحث الأو : - وجدانية الله ونفي تعدد الآلهة
77	المبحث الثاني : -وصف الله نفسه بالنور
92	المبحث الثالث: - بشرية سيدنا عيسى عليه السلام دليل وجدانية الله ونفي الولد عنه
108	الفصل الرابع :عقيدة قدرة الله وتعظيمه والتقليل من شأن غيره
109	المبحث الأول : - عجز آلهة المشركين عن الخلق
118	المبحث الثاني : -عجز آلهة المشركين عن حماية نفسها
125	المبحث الثالث : - قدرة الله
133	الفصل الخامس : - عقيدة الإيمان باليوم الآخر
134	المبحث الأول : - تعظيم الآخرة والتقليل من شأن الدنيا

139	المبحث الثاني :- البعث
145	المبحث الثالث :- الحشر والحساب
158	المبحث الرابع :- الجنة والنار
168	الفصل السادس :- عقيدة الوحي وتعامل الناس معه
169	المبحث الأول :- الوحي من عند الله تعالى
176	المبحث الثاني :- موقف المؤمنين من الوحي
182	المبحث الثالث :- موقف المنافقين من الوحي
188	المبحث الرابع :- موقف الكافرين من الوحي
198	الخاتمة (أهم النتائج والتوصيات)
206	المسارد
207	فهرس الآيات القرآنية
224	فهرس الاحاديث النبوية
228	فهرس الأعلام
229	قائمة المصادر والمراجع
b	الملخص بالانجليزي

الأمثال العقيدية في القرآن الكريم

إعداد

روان منذر السيد

إشراف

د. خضر سونديك

الملخص

قسمت دراستي هذه إلى ستة فصول ، حيث بدأت الحديث في الفصل الأول عن تعريف المثل والعقيدة لغة واصطلاحاً وأظهرت أهمية العقيدة للإنسان وذلك كمدخل ومقدمة للدراسة ، وأكملت هذا المدخل بالحديث عن فوائد استخدام المثل في ترسيخ العقائد وذلك في الفصل الثاني

ثم جاء الفصل الثالث وتناولت فيه عقيدة الإيمان بالله ووجدانيته وصفاته المذكورة فالأمثال وبينت وحدانية الله ، وأن الله وصف نفسه بالنور ، وأثبت بشرية سيدنا عيسى عليه السلام .

أما الفصل الرابع فتحدثت فيه عن قدرة الله والتقليل من شأن غيره في الأمثال ، حيث تعرضت إلى عجز آلهة المشركين عن الخلق وعن حماية نفسها ثم بينت قدرة الله تعالى.

أما الفصل الخامس فقد خصصته للحديث عن اليوم الآخر، فبينت أن الله بدء بالتقليل من شأن الدنيا وتعظيم الآخرة، ثم انتقلت للحديث عن البعث ثم الحشر، وختمت الفصل بالحديث عن الجنة والنار .

وختمت الدراسة في الفصل السادس بالحديث عن الوحي وكيفية تعامل الناس معه فالبدائية أثبت أن الوحي (القرآن الكريم) هو من عند الله ، ثم بينت أقسام الناس في التعامل معه : المؤمنين ، المنافقين، الكافرين .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على دربه واستن بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد: -

قال تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾¹ ، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾²، فلا سعادة حقيقية للفرد ولا للمجتمع إلا باتباع العقيدة الصحيحة التي ارتضاها الله لعباده وحاجة الإنسان إليها أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب، فيها تحيا القلوب وتطمئن النفوس وتصح الأبدان ، وينعم الفرد والمجتمع، وإلا عاشوا في شريعة الغاب يأكل القوي الضعيف، وكان اختلافهم عن سائر الحيوانات في الشكل والصورة فقط، ولزمتهم الحيرة والنكد والحياة التعيسة التي يحيها كل من أعرض عن العقيدة الصحيحة ، فهم وان تنعموا بملذات الدنيا فقد فقدوا أعلى ما فيها ، وأخذوا ينقلبون في ظلمات الشك وبحور التيه والضلال، قال تعالى: - ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأِمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾³

يخاطب القرآن الكريم في بناء العقيدة عند الإنسان، أهم مكونات هذا الإنسان وهي عقله وقلبه ، ولذلك استخدم وسائل كثيرة في ترسيخها منها ضرب الأمثال ، وهو موضوع هذه الدراسة بشكل خاص ، وسأبذل جهدي في توضيح ذلك وإضافة ما أستطيعه على الدراسات السابقة القريبة من الموضوع .

¹ آل عمران: (آية 19)

² آل عمران (آية 85)

³ طه (الآيات 123-124)

الدراسات السابقة:

كتبت في الأمثال في القرآن الكريم العديد من الدراسات والكتب حيث وجدت في أمثال القرآن الكريم ثماني رسائل وهذه بعض الدراسات التي وجدت عن الأمثال في القرآن الكريم :-

- (الأمثال في القرآن الكريم) للباحث أبي بكر المريني¹ ، والفرق بينها وبين دراستي أن دراستي تختص بأمثال القرآن العقديّة .
- (الأمثال في القرآن الكريم) للباحث محمد جابر الفياض²، والفرق بينها وبين دراستي هو أن الباحث عمل على المقارنة مع أمثال العهدين القديم والجديد، ثم تحدث عن المثل وما يتعلق به وعلاقة المثل بالحكمة والتشبيهة والقصة ، وتعريف بالأمثال القرآنية ، وعرض وتحليل طائفة من أمثال القرآن وبينما لم يتعرض لموضوع العقائد في القرآن .
- (المدلولات التربوية للأمثال القرآنية): يزيد حمزاوي³، و تحدث فيها عن أهداف المثل في القرآن، وكان من بين ما تحدث عنه الأهداف العقديّة، فجاء باباً من أبواب البحث .
- (الأمثال القياسية الضرورية للإيمان بالله) للكاتب عبد الله الجربوع⁴ ولقد صدر عام 1424هـ -2003م والفرق بين أطروحتي وهذا الكتاب هو انه لم يتعرض للعقائد التي ناقشتها الأمثال وعملت على ترسيخها أما دراستي فقد قامت على مناقشة العقائد التي رسختها الأمثال القرآنية .

¹ المريني ، أبو بكر ، الأمثال في القرآن الكريم، دار الحديث الحسينية الرباط (1980م).

² الفياض ،محمد جابر ، الأمثال في القرآن الكريم، كلية الآداب - عين شمس القاهرة (1993م) .

³ حمزاوي ، يزيد المدلولات التربوية للأمثال القرآنية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر الجزائر (2006م).

⁴ الجربوع ، عبد الله ، الأمثال القياسية الضرورية للإيمان بالله مج3، عمادة البحث العلمي المدينة المنورة (ط1/1424هـ -2003م).

• (أمثال القرآن القياسية المضروبة للإيمان باليوم الآخر) للباحث محمد رفيق فرج¹ ، والفرق بين رسالة الباحث وما سأقدمه، هو أن الباحث تحدث فقط عن اليوم الآخر في الأمثال من حيث: (البعث وعرصات يوم القيامة) ، وهذا كان فصلاً من فصول دراستي فهو لم يتحدث عن التوحيد ولا الوحي .

• (الأمثال المتعلقة بالتوحيد بالقرآن والسنة) للباحثة هند بنت إبراهيم بخش سندي²، والفرق بينها وبين رسالتي أنها تعرضت للتوحيد وتعريفه وأهميته وواقع المسلمين، وتناولت الأمثال الواردة في نقض الشرك وذلك في الكتاب والسنة النبوية، وهذا الذي لم أتعرض له حيث أكتفيت بالحديث عن أمثال القرآن الكريم مع ذكر بعض الأمثلة المماثلة لها في السنة النبوية، و ذكرت الأمثال القرآنية المتعلقة باليوم الآخر من حيث البعث والحساب والجنة والنار وتعامل الناس مع الوحي .

• (الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يصاد من الشرك) للباحث إبراهيم عبد الله الجربوع³ ، والفرق بينها وبين دراستي أنه فقط تعرض لأمثال التي تدعو لتوحيد العبادة ، ولم يذكر الأمثال المتعلقة باليوم الآخر ولا الأمثال المتعلقة بالوحي وكيفية تعامل الناس معهم .

أسباب اختيار كتابة البحث: -

• خدمة للقرآن الكريم ، وبيان أهمية العقيدة الإسلامية ، وذلك لتهاون بعض الناس في أمور العقيدة .

¹ فرج ، محمد رفيق ، أمثال القرآن القياسية المضروبة للإيمان باليوم الآخر الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة (1425هـ).

² سندي، هند بنت إبراهيم بخش، الأمثال المتعلقة بالتوحيد بالقرآن والسنة ، جامعة أم القرى - مكة ، (1433هـ)

³ الجربوع إبراهيم عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يصاد من الشرك، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، (1430هـ) .

- محاولة لفهم أسلوب القرآن الكريم في تقريب العقيدة إلى أذهان الناس باستخدام المثل وذلك لاستخدامه في الدعوة .
- نحن في زمن كثرت فيه الفتن ، وكثرت العقائد الباطلة لذا أردت أن أبين الأمثال التي ذكرها القرآن وذلك لمخاطبة العقول وتثبيت العقيدة في القلوب .

أهمية البحث:

- الاستفادة منه لإرشاد الدعاة إلى وسيلة مهمة في الدعوة ألا وهي المثل .
- حث المسلمين على التمسك بعقائدهم في زمن كثرت فيه الفتن .
- بيان أهمية العقيدة فالقرآن الكريم اتبع عدة وسائل من أجل ترسيخها ، وهذه إشارة مهمة إلى الدعاة بالتركيز في الدعوة على العقيدة ، وترك الخلافات في الآراء جانبا .

أهداف البحث: -

- بيان مفهوم المثل ، والفرق بينه وبين الحكمة
- بيان أهمية العقيدة
- بيان فوائد استخدام المثل
- بيان العقائد التي رسختها الأمثال القرآنية

مشكلة البحث: -

- تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة الآتية :-
- ما مفهوم المثل؟ وهل هناك فرق بين المثل والحكمة؟

- ما أهمية العقيدة ؟
- ما فوائد استخدام المثل في ترسيخ العقائد؟
- ما العقائد التي رسختها الأمثال القرآنية؟

فرضيات البحث: -

- أن القرآن فرق بين المثل والحكمة
- أنّ القرآن بين أهمية العقيدة
- أن الأمثال بينت أهمية العقائد ووضحتها وقربتها للعقل

منهجية البحث :-

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي ومن أجل تحقيق هذا المنهج سلكت الخطوات الآتية :-

- جمع الآيات والأحاديث ذات الصلة بالموضوع .
- التزمت فقط بالأحاديث الصحيحة .
- دراسة الآيات والأحاديث من كتب التفسير وكتب الأحاديث وشروحها
- قمت بالرجوع إلى كتب العقيدة.
- قمت بالرجوع إلى كتب اللغة العربية وبينت صورة المثل في الآية، وقمت ببيان بعض الدلالات اللغوية لبعض الآيات ومعاني الألفاظ .
- بالنسبة لتوثيق الكتب ، قمت بتوثيقها كاملة في أول ورود لها، وبعد ذلك اكتفيت بالإشارة إلى اسم الشهرة للمؤلف ، واسم الكتاب ، والجزء والصفحة.

الصعوبات :-

- الصعوبة النفسية لأن هذا البحث يتعلق بتفسير بالقرآن الكريم ، والتكلم عن صفات الله تعالى حيث خفت من أثبات أونفي صفة قد أثبتها الله لنفسه .
- صعوبة الترجيح في بعض معاني الآيات وآراء العلماء .
- صعوبة تنسيق وكتابة الرسالة لعدم وجود الخبرة في كتابة الرسائل ولولا فضل الله علي بأن يسر لي مشرفي حيث وجهني وإعانني على تنسيق وكتابة هذه الرسالة .

خطة البحث :-

قمت بتقسيم البحث إلى ستة فصول ثم قمت بتقسيم الفصول إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب فجاءت كالاتي :-

الفصل الأول :- مفهوم المثل والعقيدة و أهمية العقائد

المبحث الأول :- مفهوم المثل والعقيدة .

المبحث الثاني :- أهمية العقائد

الفصل الثاني :- فوائد استخدام المثل في ترسيخ العقائد

المبحث الأول :- تذكيرا ووعظا

المبحث الثاني :- تقريب المراد إلى العق (البرهان)

المبحث الثالث :- من وسائل الإقناع

الفصل الثالث :- عقيدة الإيمان بالله وصفاته و وحدانيته في الأمثال

المبحث الأو :- وحدانية الله ونفي تعدد الآلهة

المبحث الثاني : -وصف الله نفسه بالنور

المبحث الثالث: - بشرية سيدنا عيسى عليه السلام دليل وحدانية الله ونفي الولد عنه

الفصل الرابع :عقيدة قدرة الله وتعظيمه والتقليل من شأن غيره

المبحث الأول :- عجز آلهة المشركين عن الخلق

المبحث الثاني :-عجز آلهة المشركين عن حماية نفسها

المبحث الثالث :- قدرة الله

الفصل الخامس :- عقيدة الإيمان باليوم الآخر

المبحث الأو :- تعظيم الآخرة والتقليل من شأن الدنيا

المبحث الثاني :- البعث

المبحث الثالث: - الحشر والحساب

المبحث الرابع :- الجنة والنار

الفصل السادس :- عقيدة الوحي وتعامل الناس معها.

المبحث الأول :- الوحي من عند الله تعالى

المبحث الثاني :- موقف المؤمنين من الوحي

المبحث الثالث :- موقف المنافقين من الوحي

المبحث الرابع :- موقف الكافرين من الوحي

الخاتمة (أهم النتائج والتوصيات)

الفصل الأول

مفهوم المثل والعقيدة و أهمية العقائد

المبحث الأول : مفهوم المثل والعقيدة

المبحث الثاني: - أهمية العقائد

المبحث الأول

مفهوم المثل والعقيدة

قبل البدء في هذه الدراسة والغوص فيها لابد من توضيح بعض المفاهيم التي هي أساس هذه الدراسة ألا وهي مفهوم المثل لغةً واصطلاحاً ، ومفهوم العقيدة لغةً واصطلاحاً واستعمالاتها في السياق القرآني ، والفرق بين المثل والحكمة ، فجاءت هذه في أربعة مطالب هي :-

المطلب الأول :- المثل لغةً واصطلاحاً

ففي هذا المطلب تعرضت إلى مفهوم المثل لغةً بحيث عدت إلى كتب اللغة ، ثم ذكرت مفهوم المثل اصطلاحاً وفيه رجعت إلى كتب التعاريف ، وتوصلت إلى أن هذا المفهوم قد أورده العلماء تارة باتفاق وتارة باختلاف ، وسبب ذلك هو اختلاف وروده في السياق، الذي له الدور البارز في تحديد مفهومه .

وقد ورد المثل في اللغة على عدة معانٍ رئيسية ، أهمها ما يأتي :-

(1)النظير أو الشبيه :-

قال الراغب :- "والمَثَلُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : بِمَعْنَى الْمِثْلِ نَحْوُ شَبِهٍ وَشَبِهٍ وَتَقْضٍ وَتَقْضٍ.....والثاني : عبارة عن المُشَابَهَةِ لِغَيْرِهِ فِي مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى أَيْ مَعْنَى كَانَ وَهُوَ أَعْمُ الْأَلْفَاظِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْمُشَابَهَةِ"¹

و قال ابن منظور:- "مثل : مثل : كلمةٌ تَسْوِيَةٌ . يقال : هذا مِثْلُه و مِثْلُه كما يقال شَبِهَه وشَبِهَهُ...و المِثْلُ : الشَبَه . يقال : مِثْلٌ و مِثْلٌ وشَبِهَ وشَبِهَ بِمَعْنَى واحِدٍ"²

¹ الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت:- 502هـ) المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - لبنان ،(بلا ط)،ص462.

²ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري (ت:- 711هـ) ، لسان العرب، مح15، دار صادر بيروت ،(ط1)

2) المثل او الأتمودج الذي يحتذى به :-

قال الراغب :- "والمثال مقابلة شيء بشيء هو نظيره أو وضع شيء ما ليحتذى به فيما يفعل" ¹
وقال ابن منظور :- " و المثل : ما جعل مثالا :- أي مقدارا لغيره يحذى عليه ، والجمع المثل
وثلاثة أمثلة... ويقال : امتثلت مثال فلان احتذيت حذوه وسلكت طريقته ... و مثل الشيء يمثله
مثولا و مثل : قام منتصبا." ² فهنا نلاحظ انها مأخوذة من المثل والانتصاب.

3) المثل القول السائر :-

قال الراغب :- " والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين
أحدهما الآخر ويصوره" ³

وقال ابن منظور :- " و المثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله" ⁴

4) الصفة (الوصف) او الحال :-

قال أبو البقاء :- " المثل بمعنى الصفة... ويستعار لفظ المثل للحال" ⁵

المثل اصطلاحا :-

للمثل في المعنى الاصطلاحي عدة تعريفات، أهمها :-

1- كل حكمة سائرة تعتبر مثلاً وتفيد التماثل بين الشئيين في الكلام ⁶

¹ الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 463.

² ابن منظور ، لسان العرب (612/11-614).

³ الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، ص462.

⁴ ابن منظور ، لسان العرب (611/11).

⁵ أبو البقاء ،أيوب بن موسى الحسيني الكوفي(ت:-1094م)، الكليات، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري
مؤسسة الرسالة - بيروت، (بلاط/ 1419هـ - 1998م)، ص 851-852.

⁶ العسكري أبو هلال(ت:-395هـ)، جمهرة الأمثال، مج2، تحقيق :- محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش،
دار الفكر بيروت (ط2/1988م) (7/1).

2- هو اسم لنوع من الكلام ، يستعمل في السراء والضراء ، وهو ما تراضاه العامة والخاصة لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللفظ.¹

3- القول السائر المشبه مضربه بمورده²، أي هو تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر³.

4- هو الكلام البليغ الشائع الحسن المشتمل على نظمٍ من جوامع الكلم الموجز والتي تكون إما كنايةً بديعةً أو تشبيهاً أو استعارةً أو حكمةً أو موعظةً نافعةً⁴.

وقد رجح الأستاذ سميح الزين الرأي الثالث في كتابه الأمثال والمثل والتمثيل والمثالات في القرآن الكريم⁵ وهذا ما أرحبه وذلك لأنه أشمل التعاريف ، إذ يبدو أن كل عالمٍ نظر الى المثل من زاوية وعرفه ، ولم ينظر الى باقي الزوايا الأخرى، بينما التعريف الثالث اشملها وهو يتفق مع المعنى اللغوي، إذ أن من معاني المثل اللغوي القول السائر، وهو أن يشبه حال الشيء بحال شيء آخر مماثل له، قد قيل المثل من أجله، أي بمعنى آخر كما قال الحكيم الترمذي:- "فقابل الشيء بالشيء حتى نفهمه"⁶، وهذا ما ورد في التعريف الثالث وهو الراجح والله أعلم.

¹ أبو البقاء، الكليات (852/1).

² اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي نور الدين (المتوفى : 1102هـ) ، زهر الأكم في الأمثال و الحكم مج3 تحقيق :- محمد الأخضر -محمد الحجي، دار الثقافة - المغرب، (ط 1401، 1هـ-1981م) (20/1).

³ ابن القيم أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي(ت:- 751هـ) الأمثال في القرآن الكريم تحقيق : إبراهيم محمد مكتبة الصحابة - طنطا مصر، (ط1/ 1406 هـ) (9/1).

⁴ الآلوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت-1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي بيروت، (163/1).

⁵ الزين ، سميح عاطف، الأمثال والمثل والتمثيل والمثالات في القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، (ط2/ 1421هـ-2000م)، ص17

⁶ الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي (ت: 320هـ) الأمثال من الكتاب والسنة ، تحقيق : د . السيد الجميلي، دار ابن زيدون / دار أسامة - بيروت دمشق ، (196/1).

المطلب الثاني : - العقيدة لغة واصطلاحاً .

كلمة العقيدة من الكلمات المتأخرة الظهور، فهي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، إذ كان المستخدم هو لفظ الإيمان، ثم بعد ذلك استخدم لفظ أو مصطلح العقيدة بدلاً من ذلك، لذا سنجد قلة ممن عرفها لغةً وإصطلاحاً .

العقيدة لغة: - وهي مأخوذة من الفعل الثلاثي (عقد) بفتح العين والقاف والذال ومعناها كما قال ابن منظور : - "و عقد قلبه على الشيء : لزمه"¹ فهي مأخوذة من لزوم الشيء والبقاء عليه.

وقال ابن فارس : - "عقد العين والقاف والذال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق وإليه.. وعقد قلبه على كذا فلا ينزعُ عنه واعتقد الشيء صلب واعتقد الإخاء ثبت"²

وقال الفيومي : - " العقيدة ما يدين الإنسان به ،وله عقيدة حسنة سالمة من الشك "³ وهناك من اللغويين⁴ من قال إن العقيدة مأخوذة من عَقَدَ وهو اتفاق بين طرفين يلتزم بمقتضاه كل منهما تنفيذ ما اتفقا عليه حيث أن عقدة كل شيء إبرامه، كعقد البيع والزواج وعقد العمل . لذا فالعقيدة هي : - " الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده و (في الدين) ما يقصد به الإعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله و بعثة الرسل جمع عقائد"⁵ أما العقائد فهي " ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل " ⁶ .

¹ ابن منظور ، لسان العرب (3 / 298).

² ابن فارس ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت: -395هـ) معجم مقاييس اللغة، مج6، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت لبنان ، (ط2/ 1420هـ - 1999م) (4/ 86-87).

³ الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري (ت: 770هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المكتبة العلمية بيروت، مادة (عقدت) (2/ 421).

⁴ الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت: 173هـ) كتاب العين ، مج8 ، تحقيق : د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، باب العين والقاف والذال ، (1/ 140) الزيات، أحمد وآخرون المعجم الوسيط، مج2، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (2/ 614).

⁵ الفراهيدي المعجم الوسيط المرجع السابق ، (2/ 614).

⁶ الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت: -861هـ) ، مج1 التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ، (ط1/ 1405هـ) ، ص196.

إذا فالعقيدة مأخوذة من فَعِيلَة بمعنى مفعول يعني معقودٌ عليه¹، أي كل ما عقد عليه القلب فهو عقيدة.

العقيدة اصطلاحاً :

هي ما يدين به الإنسان وما يعقد القلب عليه ، يعني كأنه دخل الى القلب فعقد عليه فلا يخرج منه وذلك من شدة الاستمساك به ، ومن شدة الحرص عليه ، من أن يخرج وينفلت ، لذا يصعب زعزعتها أو دخول الشك فيها .²

ولقد عرفها اللواء الركن محمود شيت خطاب قائلاً : -" هي مثلٌ عليا يؤمن بها الإنسان فيضحي من أجلها بالأموال والأنفس ، لأنها أعلى من الأموال والأنفس " ³

فكل ما يعقد عليه القلب ويصدق ، ويؤمن به فهو عقيدة.

وهناك الفاظ أخرى للعقيدة وهي⁴ :-

• الإيمان ولكن الفرق بينهما أن الإيمان يدخل فيه الأعمال، والأعمال موردها الجوارح وليس القلب.

أما لفظ الشريعة والسنة فإنه يشمل العقيدة وغيرها لأن الله تعالى بين لنا أن الأنبياء اجتمعوا على شريعة واحدة ، قال الله تعالى :- ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِيَّ

¹ آل الشيخ ، صالح بن عبد العزيز بن محمد ، شرح العقيدة الطحاوية لأمام ابن أبي العز الحنفي ، مج 2، تعليق :- صالح بن فوزان الفوزان ، محمد ناصر الدين الألباني ، دار الجوزي مصر القاهرة ، (بلا ط/ 1427هـ - 2006م) (55- 54/1).

² أبو اسلام ، صالح بن طه عبد الواحد ، العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون ، مج 5، مكتبة الغرباء الأردن ، مكتبة ابن القيم العراق ، الدار الأثرية الأردن ، (ط1، 1430هـ-)، ج1، ص62-63. آل الشيخ، شرح العقيدة الطحاوية لأمام ابن أبي العز الحنفي (55- 54/1).

³ خطاب ،محمود شيت، بين العقيدة والقيادة ،دار القلم دمشق،(ط1/1419هـ -1998م) ، ص41.

⁴ آل الشيخ ، شرح العقيدة الطحاوية لأمام ابن أبي العز الحنفي (55- 54/1).

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ¹

وتكون الشريعة بمعنى العمل أو الأعمال وذلك لقوله تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً

وَمِنْهَا جَاءَ ² :- .

المطلب الثالث :- المثل في السياق القرآني .

وردت كلمة (مثل) في القرآن الكريم واحداً وأربعين مرة، بينما وردت كلمة (الأمثال) إحدى عشرة مرة ، وكلمة (مثلا) وردت اثنتين وعشرين مرة ، وكلمة (مثله) ثلاث مرات ، و(مثلهم) ثلاث مرات ³

وباستقراء آيات القرآن الكريم وجدت أن لكلمة المثل عدة معانٍ وهي على النحو الآتي :-

الخبر :- قال الله تعالى :- " ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأُولَىٰ ﴾ " ⁴ قال الإمام الشوكاني :- " -

المثل الوصف والخبر " ⁵ .

العبرة :- قال الله تعالى :- " ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴾ " ⁶

" قال قتادة ⁷ :- مثلاً للآخرين عظة لهم " ⁸ .

¹ سورة الشورى :- (آية 13)

² سورة المائدة :- (آية 48)

³ عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث القاهرة، (بلاط/ 1364هـ - 1939م) (661- 660).

⁴ سورة الزخرف :- (آية 8).

⁵ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد(ت:- 1255هـ)،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير دار الفكر بيروت،(4/ 548).

⁶ سورة الزخرف :- (آية 56)

⁷ قتادة بن دعامة بن قنادة و يقال قتادة بن دعامة بن عكابة السدوسي أبو الخطاب البصري، ولد 60 هـ أو 61 هـ وهو من التابعين ، توفي 111هـ، قال عنة ابن حجر :- ثقة ثبت، وقال الذهبي :- حافظ ، ووصف بالتدليس قال عنه النسائي ان مدلس واعتبره ابن حجر في الرتبة الثالثة من مراتب التدليس . ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي تهذيب التهذيب دار الفكر بيروت (ط1/1404هـ - 1984م) (8/315-318). ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي طبقات المدلسين تحقيق : د. عاصم بن عبدالله القريوتي دار النشر : مكتبة المنار عمان (ط1/1403هـ - 1983م) (1/43).

⁸ السيروان ،عبد العزيز عز الدين ،المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، دار العلم للملايين بيروت،(ط1/1986م) (1/380).

القول السائر المشبهه مضربه بمورده¹:- قال الله تعالى " ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ

نَارًا ﴾ " ²

الصفة ³ :- قال الله تعالى :- " ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ " ⁴ وقال

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ⁵ " أي صفتها العجيبة الشأن التي في الغرابة

كالمثل " ⁶

النظير أو الشبيهة⁷:- قال الله تعالى :- " ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ " ⁸

حالهم العجيبة⁹:- :- قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ " ¹⁰

القصة:- قال الله تعالى :- ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا ﴾ ¹¹ "تقدير الكلام مثل قصتهم " ¹² .

سنة :- قال الله تعالى :- ﴿ وَمَضَى مَثَلُ الْأُولَى ﴾ ¹³ .

¹ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت:-358هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (1 / 109).

² سورة البقرة:- (آية17). البيضاوي(ت:- 685هـ) ، تفسير البيضاوي، دار الفكر بيروت ، (186/1). الألو سي ، روح المعاني، (163/1).

³ الزمخشري، الكشاف (109/1).

⁴ سورة الفتح:- (آية29)

⁵ سورة الرعد:- (آية 35)

⁶ . العمادي، أبو السعود محمد بن محمد (ت:-982هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي بيروت، (5 / 25).

⁷ . سورة البقرة :- (آية17).

⁸ القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:-671هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب القاهرة، ج1ص212، البيضاوي، تفسير البيضاوي (163/1).

⁹ الألو سي، روح المعاني (163/1).

¹⁰ سورة البقرة :- (آية17).

¹¹ سورة الجمعة :- (آية5)

¹² ابو الفداء ، اسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر بيروت ،(بلاط/1401هـ) (54/1).

¹³ سورة الزخرف :- (آية 8).

الآية :- قال الله تعالى :- ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^{٥٩} "١" وجعلناه مثلاً آية

وعبرة لبني إسرائيل يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما يشاء حيث خلقه من غير
أب^٢

نلاحظ أن هذه التعريفات للفظ (المثل) حسب السياق القرآني كلها متقاربة ، وتصب في معنى واحد، ألا وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده قال الأمام الألويسي :- " إن هذا إصطلاح جديد أو أن الأغلب في المثل ذلك، ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة^٣.

وبناءً على معاني المثل في القرآن الكريم يظهر أن له ثلاثة أنواع^٤ وهي :-

الأمثال المصرحة، والأمثال الكامنة، والأمثال المرسلة.

أما النوع الأول (الأمثال المصرحة): وهي ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه وهي كثيرة في القرآن ومن الأمثلة عليها :-

قوله تعالى في شأن المنافقين ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^{١٧} صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^{١٨} أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْٰبَهُمْ فِيْٓءَٰذَانِهِم مِّنَ الصَّٰوِعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾^{١٩} يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥

أما النوع الثاني (الأمثال الكامنة) :- وهي التي لم يصرح فيها بلفظ المثل: ولكنها تدل على معان

^١ سورة الزخرف :- (آية 59).

^٢ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت:- 516هـ) تفسير البغوي، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة - بيروت ، (4 / 143).

^٣ الألويسي ، روح المعاني (1/163).

^٤ القطان ، مناع، مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط5 1418 هـ - 1998م) (259- 261).

^٥ سورة البقرة :- (الآيات 17- 20).

رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها: قوله

تعالى: ﴿لَا فَاْرِضُ وَلَا بَكْرُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ﴾¹.

والنوع الثالث (الأمثال المرسلة في القرآن الكريم) - وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح

بلفظ التشبيه. فهي آيات جارية مجرى الأمثال ومن أمثلة ذلك: ﴿الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾²

المطلب الرابع : - الفرق بين المثل والحكمة.

قبل أن أخوض في الفرق بين المثل والحكمة لابد من تعريف الحكمة اولا: -

الحكمة لغة³: - الحكمة هي فعلة مأخوذة من حَكَمَ (بفتح الحاء والكاف والميم) والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، فكل من أتقن الأمور سمي حكيماً.

والحكمة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم و العلة ويقال أحكمته التجارب إذا كان حكيماً وأحكم فلان عني كذا أي منعه وحاكمناه إلى الله دعوناه إلى حكم الله حيث يقال حكمة التشريع ، وقد قال الله تعالى :- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾⁴. ولقد نهي أن يسمى رجل حَكَمًا، وحكَمَهُ اللجام ما أحاط بحنكيه سمي به لأنها تمنعه من الجري وكل شيء منعته من الفساد فقد حَكَمْتَهُ وحكَمْتُهُ وأحكَمْتُهُ .

إذا الحكمة هي المعرفة التي تمنع الإنسان من الفساد.

¹ سورة البقرة: - (آية 68)

² سورة يوسف: - (آية 51).

³ الفراهيدي، الخليل بن أحمد ، كتاب العين (66/3). ابن منظور، لسان العرب (140/12). الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: - 666هـ) مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، (بلاط/ 1415 1995) ، ج1ص190. الزيانت، أحمد وآخرون ، المعجم الوسيط، الدعوة، (190/1).

⁴ سورة لقمان :- (آية 12).

أما الحكمة اصطلاحاً:

للحكمة عدة تعريفات تدور حول معنى واحد وهو: - "إصابة الحق بالعلم والعمل" أو "العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية"¹.

وهذا ما أورده كل من الإمام الطبري والإمام النووي، فقد قال الإمام الطبري: - "والصواب من القول عندنا في الحكمة أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول، والمعرفة بها وما دل عليه ذلك من نظائره وهو عندي مأخوذ من الحكم الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل... إن فلانا لحكيم بيّن الحكمة، يعني أنه بيّن الإصابة في القول والفعل"²

أما الإمام النووي فقال: - "إن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل"³

فالحكمة هي: - كل ما يصيب الحق والعدل سواء كان في القول والفعل، لذا قسمت إلى علمية وعملية علمية، وذلك بإصابة الحق بالعمل، وعملية بمعرفة حقائق الأشياء، وهذا هو ما أرجحه والله أعلم.

والحكمة تنقسم إلى قسمين⁴ من حيث جهتها أو المتصف بها: -

الأول: - من الله وتختص بمعرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام حيث قال الله تعالى: - "

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾⁵

¹ الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص127. الجرحاني، التعريفات (123/1). المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت: 1029هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت دمشق، (ط1/1410هـ) (1/291-292).

² أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت:- 310هـ) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر بيروت، 1405 (1/557-558).

³ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت:- 676هـ) صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت (ط2/1392هـ) (2/33).

⁴ الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص127. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (1/291-292).

⁵ سورة النين: - (آية 8)

والثاني: -من الأنسان وتختص بمعرفة الموجودات وفعل الخيرات بها، حيث قال الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾¹

ولقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بالحكيم قائلًا: - ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾² وذلك لاحتواء القرآن وتضمنه الحكمة.

وبالربط ما بين الحكمة والمثل في المطلب الأول فإن الفرق بينهما يكون من عدة نواح³:-

- إن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال.
- إن المثل وقع فيه التشبيه كما مر، دون الحكمة .
- إن الحكمة كلها تصلح للاحتجاج، وهي بصدده كالأمثال؛ بيد أن الأمثال ليست كلها بصدد الاحتجاج، بل هي بالأصالة للتصوير؛ وإنما تصلح للاحتجاج عندما يراد بها التصديق من مدح، أو ذم، أو تزيين، أو إظهار رغبة في شيء أو عدم مبالاة، أو نحو ذلك.
- إن الأمثال قد تأتي على شكل قصة ، وهذه القصة تتضمن حكمة أثناء الحوار، وذلك لأن المثل في الغالب يشتمل على مغزى الحكمة. وهذا ما ذكره الأمام العسكري في جمهرة الأمثال " :كل حكمة سائرة تسمى مثلاً وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام من أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً"⁴ ؛ أي لا ينتشر ولا يدرج على الألسنة فلا يكون حينئذ مثلاً، أي كل مثل فيه حكمة ولكن ليس كل حكمة فيها مثل .

ونتيجة لذلك فإن أمثال القرآن الكريم تتضمن الحكمة وذلك لأن الهدف منها اظهار الحق ،وحث العقل على التدبر والتأمل ، وللمدح والذم ،إذا فكل مثل في القرآن يتضمن حكمة ،أما خارج القرآن فليس كل مثل يتضمن الحكمة.

¹ سورة لقمان :- (آية 12)

² سورة لقمان :- (آية 2)

³ اليوسي ، زهر الأكم في الأمثال والحكم (1/29-30).

⁴ العسكري ،جمهرة الأمثال (7/1).

المبحث الثاني

أهمية العقائد

مما لا يختلف عليه المسلمون أن علم العقيدة هو أشرف العلوم وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة ، ولكن لماذا علم العقيدة هو أشرف العلوم ؟ ولماذا اهتم به القرآن كل هذا الإهتمام هذا ما سيتناوله هذا المبحث الذي جاء في أربعة مطالب وهي :-

المطلب الأول :- العقائد أصل الدين .

الدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع جوانب حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته ثم ما يؤول إليه بعد وفاته وأساس هذا البناء الضخم المتين يقوم على العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقاً لها كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾¹.

فالإسلام يعنى بالعقيدة ويوليها أكبر عناية فهي الأساس لهذا البناء، سواء من حيث ثبوتها بالنصوص ووضوحها، أو من حيث ترتيب آثارها في نفوس معتقديها، قال الله تعالى:- ﴿ أَفَمَنْ أَكْفَرُ مِنْ أَكْفَرِ بَيْتِنَا عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَكْفَرُ مِنْ أَكْفَرِ بَيْتِنَا عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَمَّارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) ﴾²

إن الفرد بغير عقيدة يتمسك بها ليس له أساس ولا جذور ، فهو كالريشة في مهب الريح لا يستقر على حال ، وإن توفر العقيدة لدى الإنسان ليس أمراً هامشياً ، يجوز له تجاهله أو إغفاله ، فلو أراد أحد أن يبني بيتاً فهل يستطيع ذلك دون وضع الأساس والأساس إذا كان سليماً قوياً ، يكون البناء قوياً ثابتاً ، لذلك لا يقوم دين بلا عقيدة واضحة راسخة ، وبما أن العقيدة من عند الله تعالى فهي عقيدة كاملة خالية من النقص والجهل والهوى والظلم وذلك لأن صفات الله الخالق

¹ سورة الأنعام (الآيات 162-163).

² سورة التوبة (آية 109).

تظهر فيها ، فلما كان الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله يستحيل في حقه خلاف ذلك ، ومن هنا كان كل نبي أو رسول لا يبعث في أمة من الأمم إلا ويعمل على الدعوة الى عقيدة التوحيد وتثبيتها أولاً ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾¹ لذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم مكث ثلاث عشرة سنة بمكة ينزل عليه القرآن، وكان في غالبه منصباً على البناء العقدي حتى إذا ما تمكنت العقيدة في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم نزلت التشريعات بعد الهجرة في المدينة المنورة ؛ وذلك لأن الأعمال والأقوال لن تقبل إلا بعقيدة صحيحة ، فقد قال الله تعالى:-
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾²

قال الإمام ابن عطية في تفسير الآية :- " دخلت حرف من في الآية على كلمة (يعمل) وهي تفيد التبعية، إذ أن الصالحات على الكمال مما لا يطيقه البشر ففي هذا رفق بالعباد لكن في هذا البعض تدخل الفرائض وما أمكن من المنسوب إليه ثم قيد الأمر بالإيمان إذ لا ينفع عمل دونه"³
بينما إذا كانت العقيدة فاسدة فإن العمل مهما بلغ من حسنه وعظمته فهو ردٌّ ولن يقبل، فمثلاً نرى أصحاب العقائد الفاسدة يساعدون الفقراء ويبنون المدارس وغيرها من الأعمال الحسنة التي رغم حسناتها لا تقبل، وذلك لأنها نابعة من صاحب عقيدة فاسدة، قال الله تعالى:- " ﴿ وَمَنْ

يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾⁴

قال الإمام السعدي مفسراً :- " من كفر بالله تعالى ، وما يجب الإيمان به ، من كتبه ورسله ، أو شيء من الشرائع ، فقد حبط عمله ، بشرط أن يموت على كفره"⁵ .

¹ سورة النحل (آية 36).

² سورة النساء (آية 124).

³ ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت:546هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:- عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1413هـ - 1993م) (2/117).

⁴ سورة المائدة (آية5).

⁵ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1367هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق:- ابن العثيمين، مؤسسة الرسالة بيروت، (1421هـ - 2000م) (1/222).

وقد بين الله تعالى أن العمل بغير عقيدة صحيحة هو كالرماد لا ينتفع به ، بل يلقى حيث يكون بلا أي قيمة ، قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾¹

ويعقب الإمام الرازي على هذه الآية من وجهين فيقول:²

الوجه الأول :- هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى لذلك الرماد أثر ولا خبر ، فكذا ههنا فكفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لم يبق من تلك الأعمال معهم خبر ولا أثر .

الوجه الثاني :- وفي تشبيهها بالرماد سر بديع وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله عز وجل وعلى غير مراده طعمة للنار وبها تسعر على أصحابها وينشئ الله لهم من أعمالهم الباطلة نارا وعذابا تتناسب مع ما قدموه من أعمال .

وهذا لا يعني عدم أهمية العمل الصالح ، ولكن العقيدة هي الأصل والباقي فروع، فإذا ثبت الأصل واستقر فإن الفروع تكون تابعة ومكملة له، ولا شك أن من حافظ على الأصول حرص على الفروع، وكما قال الإمام ابن تيمية :- "فإن وجود الفروع الصحيحة مستلزم لوجود الأصول"³ ، فمن عرف الله تعالى حق المعرفة فسيبادر إلى عمل الطاعات والأعمال الصالحة ويبتعد عن السيئات إذا فخلاصة القول إن الأصل الأصل للدين هو العقيدة.

¹ سورة إبراهيم (الآيات 17-18).

² الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي (ت:606هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية بيروت،(1/1421هـ - 2000م) (83/19). ابن القيم الأمثال في القرآن الكريم (1 / 34).

³ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت : 728هـ)، مجمع الفتاوى أنور الباز - عامر الجزائر دار الوفاء (ط3/1426هـ - 2005م) (382/2).

المطلب الثاني: - إنها من مقومات الخلافة في الأرض.

العقيدة هي منهج للحياة ، وليست أفكاراً لاصلة لها بالواقع، فإله تعالى عندما خلق الإنسان كان من حكمة خلقه عبادة الله وتحقيق الخلافة في الأرض قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾¹ وقال الله تعالى: - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾².

ولقد وضع الإمام الرازي في تفسيره أن كلمة خلائف استخدمت لثلاثة أمور³:

1- جعلهم خلائف الأرض لأن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين ، فخلقت أمته سائر الأمم

2 - جعلهم يخلف بعضهم بعضاً .

3 - أنهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها.

والعلة من ذلك يوضحها الإمام الرازي فيقول : - " لأن الكافر السابق كان ممقوتاً كالعبد الذي لا يخدم سيده واللاحق الذي أنذره الرسول ولم ينتبه أمقت كالعبد الذي ينصحه الناصح ويأمره بخدمة سيده ويعده ويوعده ولا ينفعه النصح ولا يسعده فهو كالذي رأى عذاب من تقدم ولم يخش"⁴

فالعقيدة تمثل منهجاً موضوعاً ليعمل في كل بيئة ، وفي كل مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية، ولتحقيق التناسق ما بين المنهج وحياة الإنسان المتغيرة يقول سيد قطب : - "أخذ في

¹ سورة البقرة (آية 30).

² سورة فاطر (آية 39).

³ الرازي ، التفسير الكبير (12/14).

⁴ الرازي ، التفسير الكبير (28/26).

الاعتبار فطرة هذا الإنسان وطاقاته واستعداداته ، وقوته وضعفه ، وحالاته المتغيرة التي تعزريه .. إن ظنه لا يسوء بهذا الكائن فيحتقر دوره في الأرض ، أو يهدر قيمته في صورة من صور حياته ، سواء وهو فرد أو وهو عضو في جماعة¹.

ولقد ادعى كثيرون أن العقيدة تقيد الإنسان إذ تمنعه من استغلال طاقاته ، ولاتمكنه من القيام بدور الخلافة في الأرض ولقد رد سيد قطب على هذا الإدعاء قائلا: "إن هذه البشرية - وهي من صنع الله - لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله.... إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني. إنما هو منشى لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة .. ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض. هذا المقام الذي منحه الله له ، وأقدره عليه ، ووهبه من الطاقات المكنونة ما يكافئ الواجب المفروض عليه فيه وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع .. على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله ، ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام ، والتقييد بشرطه في عقد الخلافة وهو أن يعمل ويتحرك في نطاق ما يرضي الله².

ولقد بين الله تعالى أن خلفه الأرض ستكون حتما لمن يؤمن به ويعمل بمقتضى هذا الإيمان حيث قال تعالى:- ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾³

فالله وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات : (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) أي ليجعلنهم خلفاء الأرض الذين لهم السيطرة فيها ، ونفوذ الكلمة ، والآيات تدلّ على أن طاعة الله بالإيمان به ، والعلم الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة، أي أن الأصل في ثبوت الإستخلاف

¹ قطب، سيد (ت:1966م) في ظلال القرآن، مج6 دار الشروق - القاهرة (13/1)

² المرجع السابق (16/1).

³ سورة النور (آية:55).

الإيمان ولهذا كان الأصح عدم الإنعزال بالفسق الطاريء أي الاغترار بسيادة وحكم الفسق وأهله الأرض فهي مرحلة عابرة وقد يتساءل بعض الناس في الزمن الحاضر لماذا خلافة الأرض ليست لنا مع أننا مسلمون وموحدون

و الإجابة هي بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح ، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه، وعدم وجود الأسباب المانعة منه ، يدل على فساد نيته ، وخبث طويته ، وإن من خرج عن طاعة الله فقد خرج عن أمر ربه، وكفى بذلك ذنباً عظيماً، فالصحابية رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله، كان نصرهم بحسب إظهارهم كلمة الله في المشارق والمغرب، فأيدهم تأييداً عظيماً وحكموا في سائر العباد والبلاد، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر زال الأمن والقوة وأصبحوا في ذل وهوان¹.

لذا قال الله في الآية التي تليها : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾² وهنا يتضح أن المراد بالذين آمنوا في الآية السابقة هم كل من اتصف بالإيمان حيث وضح الإمام الألويسي ذلك قائلاً: - " إن المراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أي طائفة كان وفي أي وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة .. وذلك لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استتباع الآثار والأحكام والإيذان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم"³

وخير مثال على أن العقيدة تمكن الإنسان من الخلافة في الأرض ، ذو القرنين فقد قال الله تعالى عنه ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ^(٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي

¹ انظر : الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت: 1393هـ) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، (1415هـ - 1995م) ، (5 / 553) .(ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج3ص303. الأوسي، روح المعاني، (18 / 202).السعدي ، تفسير السعدي (573/1).

² سورة النور(آية 56).

³ الألويسي، روح المعاني (18 / 202).

الْأَرْضِ وَعَائِنْتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾¹ فهو عبد مؤمن أطاع الله فطوع الله له الأرض
 ومكنه من حكمها واستغلال خيراتها، فالكون كله ملك لله يطوعه لمن يشاء من عباده، فالإنسان
 خليفة الله في أرضه ومن يرفض خلافة الإنسان للأرض يطرد من رحمة الله وخير دليل على
 ذلك إبليس حيث قال الله تعالى: - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ
 قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا
 فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾²

والأمر بالسجود لآدم قد أراده الله؛ لأنه سبحانه سخر الكون كله لخدمة آدم وذلك لأن أول
 إستخلاف الإنسان للأرض كان بتكريمه على باقي المخلوقات ، وأمر الله الملائكة بالسجود له ،
 فعندما خالف إبليس أمر الله فهو عصى الله من ناحية ورفض أمر استخلاف الإنسان للكون من
 ناحية أخرى لذلك طرد من رحمة الله تعالى .

وخلاصة القول أن عقد الإستخلاف قائمٌ على تمكين العقيدة في القلوب وهيمنتها على الإنسان
 بكل حركاته وسكناته ، فتصبح منهجا لحياته فإن تحقق ذلك تحقق وعد الله بالاستخلاف والنصر
 والتمكين ، وإنما يقع البلاء والهزيمة بالناس إذا زاغوا عن هدى الله وعقيدته ، فالعقيدة هي
 المفتاح والأساس لخلافة الأرض.

المطلب الثالث: - تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى.

العبودية هي أمر ملازم للإنسان منذ بداية خلقه، ولطالما سمعنا عن أناس عبدوا الشجر والحجر
 بل وعبدوا الإنسان وخير دليل على ذلك فرعون، قال الله تعالى: - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا
 الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي

¹ سورة الكهف (الآيات 83- 84)

² سورة الأعراف (الآيات 11- 13)

صَرَاحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَيْهِ إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾¹ والعقيدة

الإسلامية ما جاءت إلا لتحرير الناس من العبودية لغير الله تعالى، وخير دليل على ذلك ما قاله ربعي بن عامر عندما قابل رستم في معركة القادسية حيث قال: "الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".²

وأصل الدين هو طاعة الله وحده ، وطاعة الرسل من طاعة الله سبحانه وتعالى، حتى الحاكم إنما هو رئيس يعمل على خدمة الناس بما يرضي رب الناس ، ولقد أوضح محمد رشيد رضا³ هذه الفكرة قائلاً: "فهل يكون للخلفاء والأمراء مهما عظم شأنهم أن يحاسبوا الناس على قلوبهم ، أو يسيطروا عليهم في فهمهم للدين أو عملهم به ، وربما كان فيهم من هم أعلم به منهم؟ كلا إن الخليفة في الإسلام ليس إلا رئيس الحكومة المقيدة ، لا سيطرة ولا رقابة له على أرواح الناس وقلوبهم ، وإنما هو منفذ للشرع وطاعته محصورة في ذلك فهي طاعة للشرع لا له نفسه"⁴

ونرى أنّ الإسلام لم يُلغ ثقافة الشعوب المختلفة ولم يُهمل عاداتها وتقاليدها القومية، ولم يوحّد لغتها، بل لم يعمل على صهر كلّ هذه القوميات في بوتقة ثقافية واحدة، ولم يتّجه حتى إلى إلغاء الديانات الأخرى التي احتفظت بأديرتها ومعابدها ووجودها القومي حتى يومنا الحاضر، في الوقت الذي شهدنا في الأندلس إبادة تامّة لحضارتها ودينها وأناسها المسلمين، ولا زال المنقّبون يكتشفون فيها مقبرة جماعية بعد أخرى من آثار الغزو الأوروبي لها .

¹ سورة القصص (آية 38)

² الطبري ، أبي جعفر ابن جرير (ت: 310هـ) تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية بيروت، (401/2).

³ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الاصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الاصلاح الاسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير (1865 - 1935 م). الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت : 1396هـ) الأعلام دار العلم للملايين (ط15/2002م)، (126/6).

⁴ رضا، محمد رشيد (ت: 1354هـ) الخلافة، الزهراء للاعلام العربي - مصر / القاهرة ، (135/1).

وكلّ ما عمله الإسلام أن فجّر في الشعوب التي اعتنقته طاقاتها، وحرّرها من أسر العبودية المذلّة ووجّهها نحو العلم النافع والعمل البناء .

فالإنسان عندما يكون عبدا لله فقط فإنه يتحرر من العبودية لغيره ، ويصبح لا يخاف ولا يخشى أحدا غيره، ولقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الفكرة قائلاً: " وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد ان يعبد غيره فإن الانسان حساس يتحرك بالارادة...فالانسان له ارادة وكل ارادة لا بد لها من مراد تنتهي اليه فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه و ارادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه و ارادته بل استكبر عن ذلك فلا بد ان يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب... ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات الا بأن يكون لله... فكلما قوى اخلاص دينه الله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات."¹

لذا فإن الإنسان كلما حقق العبودية لله ، كلما تخلص أو تحرر من العبودية لغير الله ، والعكس صحيح كذلك، فكلما قصر في العبودية لله ، وقع في عبودية غير الله سبحانه فإن العقيدة قائمة على توحيد الإله ، وهذا يفضي الى تساوي جميع البشر دون استثناء ، الأمر الذي جعل الإسلام دعوة الى تحرير الشعوب وعدم استعبادها لذا نجد روجيه جارودي² يقول مجيبا احدى الصحف الفرنسية عن معنى إختيار عقيدة الاسلام :- " لايعني الاسلام الطاعة بمعنى الاستسلام، والجبرية والخضوع فهذا هو الاستسلام ، لكنه استجابة لنداء الله سبحانه وتعالى استجابة نشطة، حرة ،مسئولة...بعيدة عن التهكم والتهديدات"³ ، ومن هنا فإن العقيدة هي التي تحرر الإنسان من كل ألوان العبودية للعباد أو المخلوقات إنها عقيدة الإسلام القوية العميقة التي تدعو أتباعها إلى الاستعلاء لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . كما تدعوهم إلى المقاومة والكفاح لتحقيق هذا

¹ ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي(ت:724هـ)، العبودية ،تحقيق:- علي حسن عبد الحميد،دار الأصالة الأسماعيلية،(ط1419/3هـ 1999م) ص86-88.

² فيلسوف ومفكر فرنسي أعتنق الإسلام 1982م ، ألف عدة كتب عن الاسلام منها :تعود الأسلام ،الحقيقة كلها ، حوار الحضارات توفي 2012م . جارودي،روجيه، لماذا اسلمت؟ نصف قرن بحث عن الحقيقة ، دراسة محمد عثمان الخشن، مكتبة القرآن القاهرة ،(1406هـ-1986م) (107،69-108).

³ جارودي، لماذا اسلمت؟ نصف قرن بحث عن الحقيقة ، ص71.

الاستعلاء ، وعدم الخضوع للقاهرين ، إذ إن القاهر فوق عباده أجمعين هو الله سبحانه صاحب هذه العقيدة.

المطلب الرابع : - إنها من ضروريات الحياة الإنسانية

إن العقيدة ضرورية للإنسان وهي أهم من الماء والهواء، فالإنسان بلا عقيدة يكون تائهاً ضائعاً حيران بلا أي هدف ولا معرفة حقيقية بمكانته ورسالته في الحياة ، فالعقيدة تجيب على التساؤلات الأساسية للإنسان ، وهي مَنْ الخالق ، ولماذا الإنسان مخلوق ؟ وماذا بعد الموت؟ والإنسان من فطرته البحث عن الحق ، وعن الإجابة عن هذه الأسئلة البديهية ، وقد اعتمد عدة طرق في ذلك ، فمن الناس من اعتمد على الفطرة لمعرفة العقيدة ، ومنهم من اعتمد على مبدأ السببية (أي كل حادث لابد له من محدث)¹.

ومن الناس من اتبع الرسل ومنهم من بقي في حيرة مثلما قال الشاعر إيليا أبو ماضي² في قصيدة بعنوان "الطلاسّم" موضحاً حيرة الإنسان بلا وجود العقيدة :-

جئت، لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟

لست أدري³.

¹ القرضاوي ، يوسف ، الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ط9/1403هـ-1983م) ، ص5-6.

² إيليا أبو ماضي ، ولد في لبنان عام 1890م، أصدر ديوانه الأول 1912م، ورحل إلى الإسكندرية ثم عاد إلى لبنان ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1916م، أنضم إلى المجلة العربية ثم أنضم لتحرير جريدة الفتاة، ثم عام 1929م أصدر مجلته (السمير) ثم حولها إلى جريدة ، ولقد التحق بالرابطة القلمية .علي، محمد قرة، شعراء من المهجر ، دار الأنصاف، 1959م، ص91-ص92.

³ أبو ماضي، إيليا (ت:1957م) الديوان، مج3، دار العودة بيروت، (191/1).

أما الإنسان الذي لديه عقيدةٌ صحيحة يؤمن بها ويتبعها فإنه يدري من الذي خلقه ولماذا خلقه ويدري دوره في الحياة وما له وما عليه ، ويصبح له هدف ووجود وهكذا يعيش وقد حقق ونال أهم احتياجاته في الحياة ألا وهي العقيدة ، فكيف إذا كانت العقيدة التي يحملها هي عقيدة عظيمة قائمة على الكتاب والسنة واتباع سلف الأمة ، وهي عقيدة البناء والتربية والتعليم ، والتوجيه والانطلاق ، وهي عقيدة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ولا صعوبة ولا فلسفة مضلة ، بل كانت تعرض على البدوي فيفهمها ويفتتح بها ثم ينطلق بها إلى قومه وعشيرته فيؤمنون بها وينطوون تحت لوائها ، لذا أوضح الله تعالى الفرق بين من لديه عقيدة ومن ليس لديه قائلاً :-

﴿ أَمَّن يَمْشِي مَكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾¹

وحتى إن أردنا أن نتحدث عن المجتمع فهو أيضا بحاجة الى عقيدة ، فالمجتمع بلا عقيدة يصبح فارغاً من معناه ، مليئاً بالقسوة والوحشية حيث البقاء فيه للأقوى ، فهو مجتمع كالغابة متجرد من إنسانيته ، المجتمع الصالح هو القائم على التعاون ولا يوجد قانون يعمل على تنظيم الناس ونشر التعاون بينهم كالعقيدة ، فمهما وضعت قوانين لن تتحكم بالإنسان إلا إذا كان هناك أمر يصدر من داخله، والإنسان بطبعه يمتاز عن باقي الكائنات بأن هناك أمراً يحركه من داخله أسمه فكرة أو عقيدة ، فالإنسان مقود إما بفكرة صحيحة أو فاسدة ، فإذا صلحت العقيدة صلح كل شئ وإذا فسدت فسدت كل شئ، إذا العقيدة الصحيحة عنصر ضروري ، وهي وحدها تشبع نهم الإنسان ، وتحقق مطامحه العليا.²

وبخلاف الأيديولوجيات التي غالباً ما تفسر التاريخ والأحداث على أساس العامل الواحد، فإن الإسلام لم يقر ذلك ولم يفسر الحياة الإنسانية تفسيراً غيبياً أو مادياً بحتاً، بل استوعب كل العوامل الموضوعية، فلم يكن مثالياً كما لم يكن مادياً بحتاً.

وفي مجال التشريع ترك التشريع الإسلامي منطقة فراغ تملأها الدولة – المجتمع – في ضوء الظروف المتطورة بالشكل الذي يحفظ للتشريع مرونته وتحركه وتكيفه مع الظروف المختلفة.

¹ سورة الملك (آية 22).

² أنظر :- دراز، محمد عبد الله (ت:1958م) الدين، دار القلم القاهرة، ص97-99.

وكان لحركة الاجتهاد دورها الغنيّ - ولا زال - في إثراء الفكر الدينيّ وتطوّره وتلبيته للحاجات الإنسانيّة. وهذا دليل قاطع على أن هذه العقيدة حقيقة من عند الله؛ هذا الذي أثبتته الواقع التاريخي من بلوغ البشرية باستقرار حقيقة الإيمان في حياتها ما لم تبلغه قط بوسيلة أخرى من صنع البشر. وأنها حين فقدت قيادة المؤمنين الحقيقيين لم ينفعها شيء من ذلك كله؛ بل انحدرت قيمها وموازينها وانسانيتها، كما غرقت في الشقاء النفسي والحيرة الفكرية والأمراض العصبية، على الرغم من تقدمها الحضاري في سائر الميادين، وعلى الرغم من توافر عوامل الراحة البدنية والمتاع العقلي، وأسباب السعادة المادية بجملتها.

ولكن الإنسانية لم تتل السعادة والطمأنينة والراحة أبداً. ولم يرتفع تصورهما للحياة قط كما ارتفع في ظل الحقيقة الإيمانية، ولم تتوثق صلتهما بالوجود قط كما توثقت في ظل هذه العقيدة، ولم تشعر بكرامة (النفس الإنسانية) قط كما شعرت بها في تلك الفترة التي استقرت فيها تلك الحقيقة¹.

وهكذا نلاحظ أن الإنسان بلا عقيدة يكون مجرد كائن لا قيمة له ولا رسالة لوجوده، فهو مث الجمادات والحيوانات بل حتى الحيوان يكون أرفع منه مكانة إذ إنه يعبد الله ولا يشرك به شيئاً لذا نرى أن اعرق الحضارات قامت على عقيدة، كحضارة الإسلام التي أمتدت ومازالت آثارها قائمة الى اليوم، وقد يقول قائل انظر الى الحضارة الغربية فهي قوية وتسيطر على العالم وهي قائمة على الماديات وليس على العقيدة، وهنا يتولى الرد على هذا التسائل د. عماد الدين خليل قائلاً: - "يكفي الحضارة الغربية جنوحاً ما تعانیه من اختلال محزن في التوازن بين الثنائيات الذي قدر الإسلام على التحقق به بشكل يثير الدهشة والإعجاب: توازن بين الوحي والعقل والعدل والحرية، و الضرورة والجمال، والفردية والجماعية، والروح والجسد، والطبيعة وما وراءها، والوحدة والتنوّع، والمنفعة والأخلاق، والقدرة والإختيار، والحياة والموت، والدنيا والآخرة.. وإن البريق الذي يشع من معطيات الحضارة الغربية لن يتجاوز جلودها إلى صميم هذه الحضارة.. وإن مصيرها للمصير الذي ينتظر كل حضارة ترفض الإيمان بالله"²

¹ قطب، في ظلال القرآن (341/7).

² خليل عماد الدين حول إعادة تشكيل العقل المسلم، رئاسة المحاكم الشرعية والدينية قطر، (ط1/1403هـ) ص88-89.

والأمة الإسلامية إن أرادت إستعادة دورها الريادي في هذه الدنيا فلا بد لها أن تصلح معتقدها وتسير على خطى نبيها (صلى الله عليه وسلم) ، وتتبع سيرة السلف الصالح إذ كانوا يتمسكون بالعقيدة بحيث جعلوها أعلى من المال والولد .

وفي نهاية هذا المبحث يظهر أن المرء بلا عقيدة كم مهمل يسير على هامش الحياة لا وزن له ولا اعتبار ، مهما زعم علما وادّعى فهما ، ففاقد العقيدة جنى على نفسه حين ترك الاعتقاد الذي يؤدي إلى رحمه الله تعالى .

فلا بد للإنسان من عقيدة يؤمن بها ويسير وفقها تعمر قلبه و تفسر له الحياة وتربط بينه وبينها، وتشغله بما هو أبعد من شخصه وأكبر من ذاته على نحو من الأنحاء ، وذلك موجود في طبيعة الإنسان وفطرته التي جبل عليها .

نستنتج مما سبق :-

1. أن معنى المثل إصطلاحا :- القول السائر المشبه مضربه بمورده، أي هو تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر .

2. أن معنى العقيدة إصطلاحا :- هي ما يدين به الانسان وما يعقد القلب عليه.

3. وبعد المقارنة بين المثل والحكمة نستنتج أن أمثال القرآن الكريم تتضمن الحكمة وذلك لأن الهدف منها اظهار الحق ، وحث العقل على التدبر والتأمل ، وليس للمدح والذم أو التزيين فقط ، إذ كل مثل في القرآن يتضمن حكمة ، أما خارج القرآن فليس كل مثل يتضمن الحكمة.

4. للعقيدة أهمية كبرى في الإسلام :- إذ أنها أصل الدين و من مقومات الخلافة في الأرض وأنها تحقق الحرية من العبودية لغير الله تعالى وأنها من ضروريات الحياة للإنسان.

الفصل الثاني

فوائد استخدام المثل في ترسيخ العقائد

ويتضمن ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول :- التذكير والوعظ

المبحث الثاني :- تقريب المراد إلى العقل (البرهان)

المبحث الثالث:- من وسائل الإقناع

الفصل الثاني

فوائد استخدام المثل في ترسيخ العقائد

للأمثال أهمية كبيرة ، وقد أعتنى بها العلماء والأدباء والبلغاء، وأشادوا بها وأكثروا من الثناء على استخدامها والإشادة بأثرها في إيضاح المعاني وتقريبها من ذهن السامع ، والذي يهنا من هذه الأمثال هي تلك التي وردت في القرآن الكريم ، حيث قال الإمام الماوردي معبرا عن أهمية الأمثال :- " لِلْأَمْثَالِ مِنَ الْكَلَامِ مَوْعِظٌ فِي الْأَسْمَاعِ وَتَأْثِيرٌ فِي الْقُلُوبِ لَا يَكَادُ الْكَلَامُ الْمُرْسَلُ يَبْلُغُ مَبْلَغَهَا ، وَلَا يُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهَا ؛ لِأَنَّ الْمَعَانِيَ بِهَا لِائِحَةٌ ، وَالشَّوَاهِدَ بِهَا وَاضِحَةٌ ، وَالنُّفُوسَ بِهَا وَامِقَةٌ¹ ، وَالْقُلُوبَ بِهَا وَاثِقَةٌ ، وَالْعُقُولُ لَهَا مُوَافِقَةٌ ، فَلِذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ لِلْأَمْثَالِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَجَعَلَهَا مِنْ دَلَائِلِ رُسُلِهِ وَأَوْضَحَ بِهَا الْحُجَّةَ عَلَى خَلْقِهِ ؛ لِأَنَّهَا فِي الْعُقُولِ مَعْقُولَةٌ ، وَفِي الْقُلُوبِ مَقْبُولَةٌ² .

وهذا الوصف للأمثال إنما ينطبق على أمثال القرآن الكريم ، أما أمثال الناس فمنها ما يعتريه الخلل ومنها الصالح الذي ينطبق عليه ما قاله الإمام الماوردي .

وفي الدلالة على أهمية الأمثال في القرآن الكريم قال الإمام الشافعي :- "ومن جماع كتاب الله عز وجل العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب والمعرفة بناسخ كتاب الله ومنسوخه والفرص في تنزيله والأدب والإرشاد والإياحة والمعرفة بالوضع الذي وضع الله نبيه صلى الله عليه وسلم وما أراد بجميع فرائضه أراد كل خلقه أم بعضهم دون بعض وما افترض على الناس من طاعته والانتهاة إلى أمره ثم معرفة ما ضرب فيها من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب معصيته وترك الغفلة عن الحظ والازدياد من نوافل الفضل فالواجب على العالمين ألا يقولوا إلا من حيث علموا"³.

¹ وامقة مأخوذة من الفعل الثلاثي ومق وذلك بفتح الواو والميم والقفاف ومعناها :- ومقه يمقه ، نادر ، مقة و مقفا : أحبه وبهذا فإن معنى الجملة أن النفس بها محببة . ابن منظور، لسان العرب (385/10) .

² الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450هـ) أدب الدنيا والدين، تحقيق:- مصطفى السقا ، شركة مصطفى الحلبي مصر ، (ط4/1393هـ)، ص 275.

³ الشافعي محمد بن إدريس أبو عبد الله (ت :- 204هـ) أحكام القرآن، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية - بيروت، (1400هـ)، ج1ص22.

فالناس بحاجة لضرب الأمثال لبيان وتوضيح ما لم يفهموه أو خفي عليهم ، أو كما قال الإمام الترمذي : -"فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء، فضرب الله لهم مثلاً من عند أنفسهم لا من عند نفسه ليدركوا ما غاب عنهم فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدى النفوس بما أدركت عياناً فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب" ¹.

إن المتكلم الفصيح الذي يلجأ إلى الأساليب غير المباشرة ومنها الأمثال في وصف وبيان ما يريد ، إنما يفعل ذلك لحكمة و غرض معين ولقد جمع الإمام الزركشي الأغراض التي ضربت لأجلها أمثال القرآن الكريم حيث قال : - " وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: - التذكير والوعظ والزجر والاعتبار والتقرير وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر، وقال تعالى : -" وضربنا لكم الأمثال" فامتد علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ² وقال : -" ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ³ والأمثال مقادير الأفعال والمتمثل كالصانع الذي يقدر صناعته كالخياط يقدر الثوب على قامة المخيط ثم يفريه ⁴ ثم يقطع وكل شيء به قالب ومقدار وقالب الكلام ومقداره الأمثال ⁵.

¹ الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة (14/1).

² سورة الزمر (آية 27).

³ سورة العنكبوت (آية 43).

⁴ من يفري وهي إذا عمل العمل فأجاده . ابن منظور ، لسان العرب (154/15).

⁵ الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت: -794هـ)، البرهان في علوم القرآن، مج4 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت ، (1391هـ) (1 / 487).

يُفهم من هذا الكلام أن الأمثال للكلام كالثوب للإنسان تستر ما به من عيوب وتجملة للعين فالأمثال تغطي ما في الكلام من عيوب وتجمله ، وهذا ينطبق على كلام الناس ، اما كلام رب الناس فهو جميل واضح، والأمثال التي ضربها الله إنما ضربها لزيادة جمال القرآن ووضوحه للناس.

وبعد البحث والتدقيق وجدت لاستعمال الأمثال في العقائد أغراضا يمكن حصرها في ثلاثة أغراض رئيسية عرضتها في ثلاثة مباحث رئيسية وهي :- الوعظ والتذكير وتقريب المراد إلى العقل (البرهان) والإقناع .

المبحث الأول

التذكير والوعظ

تتجلى أهمية الأمثال التي يضربها الله للناس في كتابه بأن جعلها وسيلة للوعظ والتذكير ، وذلك من خلال إبراز القدوة الحسنة والحث على الاقتداء بها ، والتذكير بما حل بالأقوام السابقة التي رفضت الهدى والتنفير من اتباعها ، فإن من أفضل سبل التربية تقديم نماذج للبشرية الصالحة والطالحة ، بقصد توجيه النفوس الى الاقتداء بالصالحين والنفور من الطالحين.

وضرب الله المثل في القرآن إنما ليبرز للناس المعاني المرادة في صور محسوسة و يخرج الألفاظ عن معانيها الخفية إلى الجلية ، و يقربها إلى الأذهان ، فتزيد المعاني دقة و وضوحاً والى هذا أشار الإمام الشنقيطي :- "وفي هذه الأمثال وأشباهاها في القرآن عبر ومواعظ وزواجر عظيمة جداً ، لا لبس في الحق معها ، إلا أنها لا يعقل معانيها إلا أهل العلم... كما أن من حَكَمَ ضرب المثل : أن يتذكر الناس... إن الأمثال مع إيضاحها للحق وذلك ليهدي الله بها قوما ، ويضل آخرين... ولا شك أن الذين استجابوا لربهم هم العقلاء الذين عقلوا معنى الأمثال وانفقوا بما تضمنت من بيان الحق ، وأن الذين لم يستجيبوا له هم الذين لم يعقلوها ، ولم يعرفوا ما أوضحه من الحقائق"¹

و يستعمل القرآن أسلوب المثل للترغيب أو الترهيب ، و ذلك ليقرر الأمر المرغوب فيه كي تُقبل النفس عليه ، ويبين المرهوب منه كي تنفر النفس منه وتستبحه، كما جاء في ذم اليهود ، واستقباح صفاتهم الخسيصة في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا² ﴾ أو لتهديب النفوس وترقيق الطباع وإكساب النص روعة واستقامة أو لدعم أداء المعنى متكاملًا من جميع الوجوه.

¹ الشنقيطي ، أضواء البيان (300-301).

² سورة الجمعة (آية 5).

وحيث يحث المثل القرآني النفس على إنفاق المال في سبيل الله، يعد المتقين وعداً حسناً على ذلك، ويضاعف لهم الأجر في صورة اعتمد فيها التشبيه فهيات الصورة المناخ النفسي للبر وذلك بتفاعلها مع الجو الداخلي عند الإنسان، حيث يجد إنفاقه مضاعفاً بإمداد غير مترقب، مما يدفعه عن طيب خاطر وتسليم لأمر الله في الإنفاق بيد مبسطة: " ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ " ¹

وبهذه الأمثال يتذكر الناس ما بهم من نعم ، وذلك يدعوهم الى طاعة الله تعالى الذي أنعم عليهم وذلك رغبة في الزيادة والإكثار من هذه النعم ورهبة من زوال هذه النعم ونزول العقاب ، لذا نجد أن الله أكثر من ضرب الأمثال وخاصة في الدنيا والآخرة مثل قول الله تعالى : " ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ " ²

ويعلق صاحب كتاب أصول الدعوة على هذه الآيات قائلاً : " ولما كان الانسان يعيش في الدنيا ويشاهدها ويحس بها ويتعرض لإغراءاتها مما يجره الى الركون إليها والتعلق بها ونسيان الآخرة ، فلا بد من تفتير المدعويين من إيثارها على الآخرة لا الفرار منها جملة واحدة ، مع بيان حقيقتها وقدرها بالنسبة للآخرة ونعيمها وقد بين ذلك كله القرآن الكريم خير بيان مما يجعل أي مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا ، بل ويجعل المدعو غير المسلم منجذباً الى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة وقد يجره ذلك الى الإيمان لما يحس من صدق البيان والتصوير لقيمة الدنيا " ³

¹ سورة البقرة (آية 261).

² سورة يونس (آية 24).

³ زيدان ، أصول الدعوة ، ص440.

وبهذا يتضح أن الأمثال أبلغ في الوعظ ، وأوقع في النفس ، وأقوى في الزجر ، وأقوم في الإقناع ، ولقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة ، وضربها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حديثه واستعان بها الداعون الى الله تعالى في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة ، وهي من وسائل التربية في الترغيب أو التنفير وفي المدح والذم.¹

إن الإنسان بطبيعته يخاف ويرجو ، فهو كطائر لديه جناحان لا يستطيع الطيران بدونهما ، وبدونهما لا يستطيع العيش ، فهما موجودان في فطرته وطبيعته ، ولكن لا بد أن يكون هناك توازن بينهما ليستطيع الحياة بسعادة فلا يطغى جانب على آخر ، لذا فإن القرآن عندما استخدم الأمثال استخدمها لتذكير الناس بما حل بالأقوام السابقة ، فيخاف من المعصية ويرغب بالطاعة ، لينال الفوز في الدنيا والأخرة.

ولقد استعمل الرسول " صلى الله عليه وسلم" المثل في أحاديثه الشريفة ، ومن ذلك قوله " صلى الله عليه وسلم" : - " إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ² إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ"³ وهنا شبه الرسول " صلى الله عليه وسلم" صاحب القرآن بصاحب الإبل إن عاهد عليها أمسكها أي إذا تعاهد القرآن بالتلاوة سواء نظرا من المصحف أو عن ظهر قلب فإن الذي يداوم على ذلك يتعلق لسانه بتلاوته ويسهل عليه حفظه، فإذا هجره تقلت عليه القراءة وشقت عليه فتلاوة القرآن والمداومة عليه يشبه ربط البعير الذي يخشى منه الهرب فما زال التعاهد موجودا فالحفظ موجود كما أن البعير ما دام مشدودا بالعقال فهو محفوظ وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورا وفي تحصيلها بعد استمکان نفورها صعوبة، كذلك صاحب القرآن إذا قرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه.⁴

¹ أنظر : القطان ، مناع، مباحث في علوم القرآن ، ص 263- 264.

² كمثل صاحب الإبل المعقلة أي مع الإبل المعقلة والمعلقة بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد القاف أي المشدودة بالعقال وهو الحبل. ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (ت: - 852هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري تحقيق: محب الدين الخطيب دار المعرفة - بيروت ، (9 / 79) (ح 4743).

³ البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (ت: - 256هـ)، الجامع الصحيح المختصر تحقيق : د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير اليمامة - بيروت (ط 1407/3 - 1987) كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعهده (ح 4743) (1 / 543).

⁴ انظر :إبن بطل أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري (ت: - 449هـ) شرح صحيح البخاري تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد - السعودية / الرياض (ط 1423/2هـ - 2003م) (10 / 286). ابن حجر فتح الباري شرح صحيح البخاري (ح 4743) (9 / 79 - 80).

وهناك أحاديث أخرى وردت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسأكتفي بذكر قوله (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا"¹

وقوله (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"².

وتبرز لنا من خلال الأمثال خاصية التعلم بالتقليد فالإنسان يبدأ التقليد وهو طفل فهو دائماً يميل بطبعه الفطري الذي فطره الله عليه إلى التقليد والتقليد من أقوى وأسرع الوسائل في التربية وأيسر طريق لاكتساب الفضائل ففي مرحلة الطفولة يعتمد الطفل إلى تقليد أبويه وأخوته ومعلميه والمحيطين به بشكل عام وعندما يكبر ويصبح طالباً فإنه يقلد معلمه ، وعندما يصبح عاملاً يقلد مديره وهكذا ..

وكذلك فإن من أهم وسائل الدعوة السيرة الحسنة وأن هنالك أعداداً كبيرة من الناس دخلت إلى الإسلام بسبب سلوك وتصرفات بعض الدعاة ، فالناس يتأثرون بالأفعال والسلوك أكثر من مجرد الكلام لذا فإن القرآن عندما يبرز النماذج الصالحة يبين أن بالإمكان تقليدهم ، وأن أعمالهم ليست من المستحيلات التي لا يستطيع أحد القيام بها بل هي من الممكنات ودلالة ذلك ما قام به هؤلاء الصالحون حيث فازوا بالدنيا والآخرة ، فیتشجع الإنسان ويقدم على العمل الصالح ، ويصبح لديه الحافز ليلحق بركب من فاز .

¹ البخاري، الجامع الصحيح المختصر ، كتاب الشركة ،باب هل يُفْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ (ح2361)(2/882).

² البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الأدب ، باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ (ح5665)(5 / 2238). مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين(ت261هـ) صحيح مسلم تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (ح2586)(4/2584).

لذا نرى الإمام الزركشي يقول :- "الحكم والأمثال وتصور المعاني، تصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجرباً مسلماً به عند السامع".¹

وهذا المعنى أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى :- ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّا لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾² قال ابن عباس في تفسير هذه الآية " يريد الأمثال التي في القرآن"³

وضربنا لكم الأمثال :- أي بينا لكم في القرآن العظيم صفات الظالمين و ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم ومآلهم وذلك لتكون إيضاحاً لكم وتقريراً وتكميلاً للحجة عليكم وتنتقلوا من حالكم الى حال أخرى.⁴

وقال الله تعالى أيضاً :- ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا ﴾⁵ وجاءت هذه الآية بعد ذكر إهلاك عاد وثمود وأصحاب الرس، وإغراق قوم نوح وفرعون وقومة ، وهنا كلاً جاءت منصوبة بمضمر يدل عليه ما بعده وهذا يعني أي بينا لكل القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل عليهم السلام وبيين أن الغاية من ضرب المثل هو التذكير والتحذير.⁶

¹ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1ص488.

² سورة إبراهيم(آية 45).

³ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت592هـ) زاد المسير في علم التفسير،مج9 ، المكتب الإسلامي - بيروت (ط3/ 1404 هـ) (372/4).

⁴ ابو السعود، إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ،(57/5) . الشوكاني ،فتح القدير (116/3).

⁵ سورة الفرقان (آية 39).

⁶ انظر : الألوسي ، روح المعاني (21/19).

كما قال الله تعالى :- ﴿ ذَلِكِ يَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾¹

ولقد وضح الشيخ عبد الرحمن السعدي هذه الآية قائلاً :- " حيث بين تعالى أهل الخير وأهل الشر، وذكر لكل منهم صفة يعرفون بها ويتميزون ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾² " 3 .

وفي نهاية هذا المبحث يظهر أن الأمثال من أهم وسائل الوعظ والتذكير في القرآن الكريم ، وذلك لما لها من أثر في النفوس يجمع ما بين الترغيب والترهيب ، فالله تعالى عمل على تربية النفوس عن طريقها ، ومن هنا يستطيع المرءون الاستفادة من أسلوب القرآن في استخدام الأمثال في التربية وخاصة لدى الأطفال فهي أقرب إلى نفوسهم وتبقى عالقة في أذهانهم فتكون أكثر تأثيراً ووضوحاً من باقي الكلام .

إن استعمال القرآن الكريم للأمثال ، إشارة وتذكيراً للحاضرين لمعرفة ما حدث للعصاة والضالين وذلك أبلغ في الموعظة ، وزجر أعن الضلال ، وتوضيحاً لمعالم الدين وإقامة للحجة على الناس أجمعين .

¹ سورة محمد (آية 3)

² سورة الأنفال (آية 42).

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (784/1).

المبحث الثاني

تقريب المراد إلى العقل (البرهان)

إن الله سبحانه هو الذي خلق الإنسان لذا فهو أعلم بحدود قدراته العقلية والفكرية ، حيث قال الله تعالى: - ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾¹ ، لذا فالإنسان لا يستطيع فهم وإدراك كثير من الأمور الغيبية التي لا يراها بالعين المجردة ، فاستخدم الله أسلوب التمثيل في القرآن وذلك لتقريب المراد عقيدة أو غيرها الى عقول المخاطبين ، وذلك لأن الأمثال قريبة من النفوس والعقول ، فهي أبلغ من غيرها لما فيها من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان الفكر ، كما قال الباحث يزيد حمزاوي : - " الأمثال القرآنية كآلة تصوير فتوغرافي تصنع الصورة بكافة ألوانها وأبعادها أمام المخاطب الذي ينظر الى تلك الصورة فيدرك جميع تفاصيلها مما لا يترك مجالاً للشك أو الإنكار"²

وهنا نتكلم عن التصوير الفني في الأمثال حيث يحول الله تعالى المعاني والعبر إلى صور حيّة فيها حركة وحياة وحوار، لذا نجد المرحوم سيد قطب يوضح هذه الفكرة حيث يقول: - " إنه يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية كما يعبر بها عن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، ثم يرتقي إلى الصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل"³

¹ سورة الملك (آية 14).

² الحمزاوي، يزيد، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة الجزائر الجزائر 2005م-2006م، ص46.

³ قطب ، سيد ،التصوير الفني في القرآن دار الشروق 1988م،ص71-7

وهذا ما يجعل المعاني ترسخ أكثر في العقول ، ويرتفع قدرها في النفوس ، فمثلا عندما يقول سبحانه: " ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤٢) "1 أعقبها بقوله تعالى : " ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ "2

إن هذه الأمثال التي تتعلق بالعقيدة تحتاج الى تدبرها تدبرا يؤدي الى فهم مراد الله تعالى ، والانتفاع والعمل به.

يعقب الإمام الزمخشري على هذه الآية الكريمة و يخرج المعنى الكامل مخرج المجاز الحكمي، حيث يوضح المهم في الآية هو تركيب الجملة والإسناد، دون اللفظ المفرد، والمعنى هو: وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون، وكما أن أوهن البيوت هو بيت العنكبوت، فقد ثبت أن دينهم الذي يعتنقونه هو أوهن الأديان وأعجزها.³

كما تناول الدكتور عبد الله الجربوع في كتابه الأمثال القرآنية القياسية دلالات استنبطها من هذه الآية تدل على أهمية الأمثال في تقريب المراد الى العقل حيث قال :- "إن الله تعالى قال " - وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ " حيث أستخدم الله تعالى لفظ (تلك) للإشارة الى الجمع الغائب لإرادة جنس الأمثال القرآنية ، وذلك لأن الآية جاءت بعد سوق مثل من أمثال الإيمان ، وهذا دلالة على علو شأنها وبعدها عن غيرها من الكلام وتفردتها بالمعاني العظيمة والحكم البالغة .

إن الله تعالى قال : " - وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ " فنخصيص أهل العلم بكلمة يعقلها دلالة على علو قدر هذه الأمثال ، فأهل العلم هم أهلها الطالبون لها المدركون لأهميتها ، المتدبرون لها والمنفعون بها ، ومن جهة أخرى فإن من علمها واعتنى بها كان ذلك دليلا على علمه وفقهه.

¹ سورة العنكبوت (الآيات 41-43).

² سورة العنكبوت (آية 42).

³ الزمخشري ، الكشاف (458/3).

إن الأمثال تسهل للناس التفكير، والتعقل، والتذكر بما تشتمل عليه من مقايسة الأمور وإلحاق النظر بنظيره ، والمساواة بين المتشابهات في الأحكام ، وتوضيح الغامض أو المجهول بالمعلوم المحسوس أو المعقول ، وهذا الاعتبار يؤدي إلى استخلاص العبر والحكم.

ولقد بين الله تعالى أنه ضرب هذه الأمثال رجاء تفكر الناس بها وتدبرهم لها ، وذلك كونها من موازين الحق التي أنزلها الله في كتابه ، ونبه بها عقول عباده إلى الأقيسة الصحيحة المتضمنة للتسوية بين المثالات في الأحكام والأوصاف والتفريق بين المختلفات ، وذلك عن طريق الصيغ التي جاءت بها الأمثال القرآنية من صيغ الشمول ، أو صيغ قياس التمثيل ، أو قياس الأولى .¹

إن الأمثال تربي العقل على التفكير الصحيح والقياس السليم ، فهي تذكر المقدمات وتطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي يقتنع بها ويراها ، فالممثل له قد يكون معنى أو ذاتا يجهلها المخاطب ويتعذر إحضارها إليه لمشاهدتها ، وقد يكون في التعريف بها مباشرة بذكر أوصافها إطالة قد تؤدي إلى تشتيت ذهن المخاطب ، أو التباس الأمر عليه، فيحسن عند ذلك ضرب المثل له لتقريب المعاني الوجدانية ، أو الأفكار ، أو الذوات المحسوسة الغائبة إلى ذهن المخاطب بمثال محسوس له إحساسا ماديا أو إحساسا وجدانيا.²

من هنا فالأمثال تسهل للناس التفكير والتعقل ، وهذا هو الاعتبار المؤدي إلى استخلاص العبر والحكم مما ورد في الكتاب الكريم من الأمثال بمختلف أنواعها، ومهما تحاول العقول الوصول لبعض المعاني فلن تستطيع الوصول لها كما تصل لها بالأمثال.

فالأمثال كالذي ينظر في المرآة فيبصر فيها وجهه ويبصر بها من خلفه لأن ذلك المثل قدعائنه ببصر الرأس فإذا عاين هذا أدرك ذلك الذي غاب عنه بهذا فسكنت النفس وانقادت للقلب واستقرت تحت القلب في معدنها فهي كالعماد لسطح البيت فإذا تحرك العماد تحرك

¹ الجربوع ، عبد الله ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (140/1-141).

² انظر: ضمرة، معن محمود عثمان ، الحوار في القرآن الكريم (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين، 2005م، ص25. الجربوع ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (1/156).

السطح وانهار وتبدد العماد لذا كلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً ، فالأمثال هي شواهد المعنى المراد.¹

لذا نجد الإمام الزجاج يقول : - " كلا ضربنا له الأمثال وبيننا لهم الحجة ولم نضرب لهم الأمثال الباطلة كما يفعل هؤلاء الكفرة"²

فالأمثال حجة وبرهان للناس على صدق الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصدق نبونه ورسالته إذ إن النص القرآني صالح لكل زمان ومكان ولكل عصر من العصور وذلك لأنه صادق لا يقوم على الأساطير أو الخرافات التي يستحيل وقوعها بل كل ما فيه حقائق ثابتة ، كذلك الأمثال التي في القرآن فإنها حقائق يصدقها العقل ويؤكددها الواقع فهي تدخل ضمن القواعد الكلية بحيث تتصف بالعموم والشمول ، لذا نرى الإمام أبا السعود يقول عن المثل في القرآن : -"فإن التمثيل أطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامع الأبى كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشى في هيئة المؤلف"³

نستنتج من كل ما سبق أن الله تعالى خاطب العباد بما يعقلون فاستخدم الأمثال كنوع من البراهين العقلية بحيث تحت الإنسان على التفكير والتذكر مما يؤدي الى الفهم الذي يؤدي الى التعلم ثم العمل وبالأمثال يتم معرفة العالم والعاقل من غيره فالذين يعقلون الأمثال هم العالمون،فكونه لا يفهم المثل معناه أنه ليس من العالمين . ، فأقام الله تعالى بها الحجة والبرهان على وحدانيته وتفرد بالعبادة .

¹ انظر: الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة (1 / 16). الجربوع ، المرجع السابق، (144/1).

² الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق(ت:- 311هـ) معاني القرآن وإعرابه،مج5، تحقيق:- عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب بيروت (ط/1408 هـ - 1988 م) (68/4). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (13/34).

³ أبا السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (1/50).

المبحث الثالث

من وسائل الإقناع

الإستعانة بضرب الأمثال عند الكلام فيه تأكيد للكلام وتقوية له بالحجة ، وكما قال الإمام أبو زهرة : -"لايصل الخطيب الى غاية وهي إقناع السامعين وحملهم على المراد منهم إلا إذا استطاع ان يثير حماسهم ، ويخطب إحساسهم ، ويتصل كلامه بشغاف قلوبهم ، ولا يمكنه ذلك- إلا إذا كان عليما بما يثير شوقهم ، ويسترعي انتباههم ، وعليما بطبائع النفوس ، وأحوالها وغرائزها ، وسجاياها"¹

وهنا تبرز أهمية المثل كوسيلة من وسائل الإقناع ، فقد ضرب الله تعالى للناس في كتابة العزيز من كل مثل ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾² .

لقد ضرب الله هذه الأمثال لأجل عنايته ورحمته ولطفه وحسن تعليمه للناس حيث فيها تتضح الحقائق وتعرف الأمور وتنقطع الحجة فالله يضربها في تقريب الأمور المعقولة بالمحسوسة وفي الإخبار بما سيكون وجلاء حقيقته حتى كأنه وقع.³

وعندما أستخدم الله تعالى الأمثال أراد ان تستنبط منها القواعد بحيث تكون حجة وحكما ثابتا على الناس فيقتنعون لذا كانت الأمثال تتضمن عدة خطوات⁴ :-

- ضرب مثل يدل على صفة أو حال قائمة بالمخلوق ، مع حكم لهذه الحال ، بحيث يكون ثبوت الحكم لتلك الحال أو الوصف متفقا عليه من كلا الجانبين .

¹ أبو زهرة، محمد ، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب مؤسسة دار الفكر العربي-القااهرة ، ط1،ص8.

² سورة الروم (آية 58).

³ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان (1/646).

⁴ الجربوع ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ، (رسالة منشورة) (1041/3).

فإنفاق المتحاجين على ثبوت ذلك الوصف لله أكمل من ثبوتة للمخلوقات يؤدي الى إلزامهم بأن الله أحق بذلك الحكم لما استقر لديهم من ثبات الوصف لله فيؤدي الى إثبات ذلك الوصف لله تعالى .

وهذه الطريقة يبرهن الله بالمثل على العقيدة التي يريد ترسيخها وبهذا يظهر أن للأمثال والتشبيهات دوراً مهماً في الإقناع والتأثير بالطرف الآخر ولهذا نرى الخطباء في كل مكان وزمان يضربون المثل للتأثير على المستمعين وإقناعهم .

• لقد أستخدم القرآن الكريم الأمثال في تقريب الدعوة الى العقل البشري على إختلاف درجاته ، وذلك بأن يبين لنا الشيء الغامض بشيء واضح والمبهم بشيء بين والمجمل بشيء مفصل ولقد وضح الزمخشري أهمية التمثيل القرآني قائلاً : " لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها"¹ .

وقد جرى القرآن في ذلك على عادة العرب حيث استخدموا الأمثال في البيان وتوضيح ما يخفى أو يكون بعيداً عن مجال إدراكه مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ عَلَيْهَا آمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾² وذلك ليدرك الناس مدى حقارة وقصر عمر الدنيا مقارنة بالآخرة.

والمثل مهم جداً في التربية وذلك لأنه يصيب المعنى بدقة ، ويوجز في اللفظ ، ويؤدي الغرض الذي سيق من أجله ، ويثير في النفس العواطف والمشاعر، وعن طريق ذلك يُدفع الإنسان إلى الالتزام بما يؤمن به ، هذا إلى جانب أنه يُساعد على تصوير المعاني، وتجسيدها في الذهن، وعن طريق ذلك يسهل الفهم وإثبات المعاني في الذاكرة واسترجاعها عند الحاجة، فهو يعمل على التركيز على عملية الإحياء، التي تُعتبر من أهم وسائل الإقناع في التربية والتوجيه.

¹ الزمخشري ، الكشاف (482/4)

² سورة يونس (آية 24).

وكذلك للمثل دورٌ مهمٌ في التعليق على الحدث وإصدار الحكم ، وإلقاء الضوء عليه ، مما يوضح الفكرة ، ولا يترك مجالاً للإبهام أو الوهم ، ويتركز القارئ على المحجة البيضاء ، لذا فالمتكلم الناجح هو الذي يحسن ضرب الأمثلة ويتخذها وسيلة لتقريب وجهة نظره من السامع وشرحها وذلك لإقناعه بفكرته، فالأمثلة الجيدة تفيد مع العالم كما تفيد مع من دونه ، وتؤثر على الكبير كما تؤثر على الصغير.¹

• إن من أهم طرق الإقناع هو أن يكون الكلام واقعياً مرتبطاً ببيئة المخاطبين ، وهذا ما نجده في أمثال القرآن الكريم مما يساعد على لفت الانتباه والفهم والإقناع ، فالإنسان بشكل عام ينأى عن الجانب الوعظي والعاطفي الذي لا يقوم على دليل لذا فالأمثال أقوى في الإقناع .

لذا نجد الإمام ابن القيم يؤكد على هذا حيث يقول :- "فَالْأَمْثَالُ ضَرَبَتْ لِتَقْرِبَ الْمُرَادِ وَتَفْهِمَ الْمَعْنَى وَإِصَالَهُ إِلَى ذَهْنِ السَّامِعِ وَإِحْضَارَهُ فِي نَفْسِهِ بِصُورَةِ الْمَثَلِ الَّذِي مَثَّلَ بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى تَعَلُّهِ وَفَهْمِهِ وَضَبْطِهِ وَاسْتِحْضَارِهِ لَهُ بِاسْتِحْضَارِ نَظِيرِهِ فَإِنَّ النَّفْسَ تَأْنَسُ بِالنَّظَائِرِ وَالْأَشْبَاهِ النَّاسِ النَّامِّ وَتَنْفِرُ مِنَ الْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ وَعَدَمِ النَّظِيرِ فَفِي الْأَمْثَالِ مِنْ تَأْنِيسِ النَّفْسِ وَسُرْعَةِ قَبُولِهَا وَأَنْقِيَادِهَا لِمَا ضُرِبَ لَهَا مَثَلُهُ مِنَ الْحَقِّ أَمْرٌ لَا يَجْحَدُهُ أَحَدٌ وَلَا يُنْكِرُهُ وَكَلَّمَا ظَهَرَتْ لَهَا الْأَمْثَالُ أزدَادَ الْمَعْنَى ظُهُورًا وَوَضُوحًا فَالْأَمْثَالُ شَوَاهِدُ الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَمُرَكَّبَةٌ لَهُ فَهِيَ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ وَهِيَ خَاصَّةُ الْعَقْلِ وَلُبُّهُ وَثَمَرَتُهُ"²

وكما قال الامام الغزالي :- الإسلام -كسائر رسالات السماء- يعتمد في إصلاحه العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شيء، فهو يكرس جهوداً ضخمة للتغلغل في أعماقها وغرس تعاليمه في جوهرها حتى تستحيل جزءاً منها.³

وهكذا نجد أن المثل القرآني يهدف إلى الغوص في أعماق النفس، والدخول في شغاف القلب، ليحقق غايته في الهداية والإصلاح وخلق النموذج الأكمل في الذات الإنسانية، ولعل البيان في

¹ ضمرة، معن محمود عثمان ، الحوار في القرآن الكريم (رسالة ماجستير غير منشورة) ، ص25.

² ابن القيم ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت751هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل - بيروت - 1973 (239/1).

³ الغزالي،محمد خلق المسلم (14/1).

أساليب التشبيه والمجاز والاستعارة يوفر الوسائل الناجعة لنقل العواطف وإثارة الإحساس، وبهما تتجاوب الأصداء، وتلتقي الأصوات، وتتحرك الكلمات.

فالأمثال تعتبر من أهم وسائل البيان والأقناع، إذ إنها بسيطة مما يعطيها القدرة على مخاطبة مختلف المستويات العلمية والاجتماعية ومحفزة للتصور والتخيل في عقل الإنسان فتؤثر في مكان النفس الإنسانية وذلك مخاطبة النفس الإنسانية بكل أبعادها وجوانبها مما يساعد في جعل الإقناع سهلاً والحقائق أعلق في النفوس وأثبت في العقول لذا نرى القرآن أستخدمها ليقنع المخاطبين بالحق ويتركهم على المحجة البيضاء بحيث لا يبقى لهم حجة للشك والإنكار ولا يبقى معذرة لأحد ممن كفروا برسولهم؛ لأن القرآن جاء لهم بأمثال متعددة وألوان شتى من الأدلة المشاهدة ليستدلوا بها على غير المشاهد ليأخذوا من مرآتهم ومن حواسم دليلاً على ما غاب عنهم .

وهكذا يظهر لنا في نهاية هذا الفصل أن الله ضرب الأمثال في كتابه العزيز لعدة أغراض وهذه الأغراض هي :-

1. إن الله ضرب الأمثال من باب قيام الحجة على الناس ، حيث ضرب الأمثال أيضاً للأمم السابقة ، وقام في المثل على إقناعهم بالقضية المضروب لها المثل وذلك ببيان حسن الممثل له وبيان مزاياه أو بيان قبحه وفساده.

2. إن الله لما ضرب المثل بين الممثل له وقرب صورته الى ذهن المخاطب وذلك لإقامة الدليل القاطع على القضية التي ضرب المثل لها .

3. إن الله دلنا على وسيلة من وسائل التربية ألا وهي إبراز النماذج الخيرة الصالحة ، وما ينالونه في الدنيا والآخرة من فوز وسعادة، وذلك ليكونوا قدوة يقتدى بهم مع إبراز النماذج الشريرة الضالة وبيان صفاتهم وأعمالهم وكيف كان مصيرهم وذلك ليحذر من اتباع طريقهم .

4. إن أمثال القرآن الكريم جاءت لخدمة الحياة بكل متطلباتها، حيث نظرت إلى الإنسان وواقعه، ولم تخرج به إلى عالم الخيال، والعيش مع الأحلام والتمنيات، دعته إلى أن يكون إنساناً مكتمل

الإنسانية، بعيدا عن الانزواء والجهالة، وأن يكون ذا شخصية لها سماتها البشرية من عقل مفكر، مبدع، مالك لزام نفسه، متحكم فى نزواته وشهواته، له منهجه الواضح فى الحياة، لا يلتوى به الطريق، ولا تخدعه الأمانى والآمال الزائفة.

الفصل الثالث

عقيدة الإيمان بالله وصفاته ووحانيته في الأمثال

إن الإيمان بالله وصفاته هو أصل الدين لذا لا يقوم هذا الدين بدون معرفة مفصلة لله وصفاته، وقد استعمل القرآن الكريم الأمثال لترسيخ هذه العقيدة .

وقد تناولت هذا الفصل من خلال ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول :- وحدانية الله ونفي تعدد الآلهة

المبحث الثاني :- وصف الله نفسه بالنور

المبحث الثالث :- بشرية سيدنا عيسى عليه السلام دليل وحدانية الله ونفي الولد

عنه

المبحث الأو

وحدانية الله ونفي تعدد الآلهة

إنّ وحدانية الله تعالى هي ما جاء القرآن الكريم لإثباتها وكذلك جميع الكتب السماوية ، وذلك لأنّ المشركين كانوا يؤمنون بوجود الله تعالى كخالق لهم ولكن كانوا يشركون معه آلهة أخرى فمن الأمم من عبدت آلهة لا ترى و خلعت عليها صفات البشر . فكان لدى اليونان عدد كبير من الآلهة يختصمون ويحقد بعضهم على بعض ويدبرون المكائد وتشيع بينهم الأحقاد وهكذا ، ولكن ميزتهم أنهم لا يموتون ، وقد كان المشركون في جزيرة العرب يعبدون تماثيل صورت لقوم صالحين يعتبرونها وسائل تقربهم إلى الله يتعبدون لها بذبح و دعاء و طواف و بكاء لتشفع لهم عند الله ، حيث قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ^٤ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ^٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ^٦ ۝١ .

فسماهم الله مشركين مع اعتقادهم أن الله هو الخالق الرازق ، لذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتوحيد الخالص المبرأ من شوائب الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ^٧ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ^٨ ۝٢ وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^٩ ۝٣ .

¹ سورة الزمر (آية 3).

² سورة البينة (آية 5).

³ سورة الأنعام (آية 162).

إن مسألة التوحيد من أعظم مسائل الدين وأجلها، وقد تتابع اهتمام الأنبياء بإيضاحها وبيانها ودعوة الناس إليها ، ولهذا كانت حياة النبي(صلى الله عليه وسلم) كلها حافلة بالتوحيد والتحذير من الشرك والبراءة من أهله، وكان يعلم أصحابه حدوده وقواعده ، فهاهو يقول لمعاذ(رضي الله عنه) في الحديث الذي يخرج به الإمام البخاري : -" عن مُعَاذٍ قَالَ أَنَا رَدِيفُ¹ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتَ لِبَيْتِكَ وَسَعْدَيْكَ² ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلَاثًا هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ قُلْتَ لَا قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً فَقَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتَ لِبَيْتِكَ وَسَعْدَيْكَ قَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ"³

لذا نجد أن الله تعالى قال ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَبَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾⁴ ففي هذه الآية بين الله تعالى أن عبادته هي الحق وأن ما دونه من المعبودات هي باطلة ، لذا انكر المشركون الإسلام وأمتنعوا عن الأقرار به فضرب الله لنا الأمثال ليبين وحدانيته ونفي الألوهية عن غيره من المعبودات .
ولقد جاءت هذه الأمثال في ثلاث سور ، عرضتها في ثلاثة مطالب حسب السورة التي وردت فيها: -

¹ قال الحافظ في معنا رديف : -" الرديف والرديف الراكب خلف الراكب بإذنه وردف كل شيء مؤخره وأصله من الركوب على الرديف وهو العجز ولهذا قيل للراكب الأصلي ركب صدر الدابة وردفت الرجل إذا ركبت وراءه وأردفته إذا أركبته وراءك ." العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري ح5622 (398/10).

² قال الأمام النووي : -"إن معناها(لبيك) إجابة لك بعد اجابة للتأكيد وقيل معناه قريبا منك وطاعة لك وقيل أنا مقيم على طاعتك وقيل محبتي لك وقيل غير ذلك ومعنى سعديك أى ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة وأما تكريره صلى الله عليه وسلم نداء معاذ رضى الله عنه فللتأكيد الاهتمام بما يخبره وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه وقد ثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لهذا المعنى والله أعلم" .النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم (231/1).

³ البخاري الجامع الصحيح المختصر كتاب الاستئذان باب من أجاب بلبيك وسعديك، ح5912 (2312/5) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ح6938 (6938/6).

⁴ سورة الحج(آية 62).

المطلب الأول : -آيات سورة النحل (الآيات 73-76).

قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ *
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ
مِنهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ﴿٧٥﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا
يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٦﴾¹

وقبل البدء بشرح المثل ومافيه من عقائد لا بد لنا من أن نطلع على السياق الذي ورد فيه هذا المثل :-

المثل ورد في سورة النحل وعدد آياتها 128 آية وهي سورة مكية²:

ركزت السورة على قضايا التوحيد وتفرد الله بالعبادة حيث بدأت ببيان أن التوحيد هو أساس دعوة كل الرسل وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾³

¹ سورة النحل (الآيات 73-76).

² عبد الباقي، المعجم المغهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص 661.

³ سورة النحل(آية 2).

اشتملت الآيات على بيان ما أعده الله لعباده الموحدين من النعيم في الدنيا والآخرة وبينت ما حل بالأمم السابقة التي أشركت بالله تعالى ، وكيف عاقبهم الله ، وناقشت السورة قضايا تتعلق بالشرك وكيفية تصور المشركين لله وأن له بنات وهي الملائكة، فجاء هذا المثل لنفي هذه الأقوال وبيان وحدانية الله تعالى ، لذا قال الإمام الرازي " اعلم أنه تعالى لما شرح أنواعاً كثيرة في دلائل التوحيد وتلك الأنواع كما أنها دلائل على صحة التوحيد ، فكذاك بدأ بذكر أقسام النعم الجليلة الشريفة ، ثم أتبعها في هذه الآية بالرد على عبدة الأصنام"¹

بدأ الله جل جلاله المثل بنهي عن ضرب الأمثال لله تعالى ، وتشبيهه الله بمخلوقاته وهنا يتبادر سؤال مهم لماذا نهى الله عن ضرب الأمثال له ؟

وتكون الإجابة بأن ضرب المثل إنما يستعمل من العالم لغير العالم ، ليبين له ما خفي عنه ، فالعباد يحتاجون الى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء ، أما الله فهو لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج الى الأمثال ، ولأن ضرب المثل تشبيهه حال بحال وذلك يتنافى مع الذات الإلهية لذا قال تعالى: " ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾"² فالله تعالى لا مثل له ولا شبه ³.

قال ابن عباس في توضيح هذه الآية :- " فلا تضربوا لله الأمثال يعني اتخاذهم الأصنام يقول لا تجعلوا معي إلهاً غيري فإنه لا إله غيري"⁴ ثم بين أنه يضرب لنفسه المثل ولا يجوز أن نقندي به ⁵ وذلك لأنه يعلم خطأ ما يمثلون من الأمثال وهم لا يعلمون الصواب ، وبعد ذلك بين لهم الصواب بمثلين .

¹ الرازي ، التفسير الكبير (66/20).

² سورة النحل(آية 74).

³ الطبري ، جامع البيان ، (148/14).الألوسي ، روح المعاني ، (14 / 194). الترمذي ، الأمثال من الكتاب والسنة ص14.

⁴ الطبري ، جامع البيان ، (148/14).

⁵ الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص462. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله(ت:543هـ) أحكام القرآن تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، (145/3).

المثل الأول ورد في الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾¹

ففي هذا المثل تحدث الله عن شخصين :-

الأول :- عبد مملوك² لا يقدر على شيء من السعي والعمل .

والثاني :- سيد حرٌّ رزقه الله وأعطاه رزقاً حسناً³ ثم وقَّفه الله للإِنفاق منه بثتى أنواع الإِنفاق وتقديم السر على الجهر مشعر بفضيلته عليه وأن الثواب فيه أكثر .

وقد روى بعض المفسرين⁴ أن المثليين مضروبان في صدد المفاضلة بين المؤمن الصالح والكافر الآثم وهذا الرأي رجحه ابن عباس بينما رأى مفسرون آخرون⁵ إن هذين المثليين ضربا للتفريق بين من يدعون مع الله آلهة أخرى وبين الله الواحد الأحد ، حيث أن الآلهة هي مثل العبد العاجز الذي لا يستطيع عمل شيء ولا يملك حتى حريته ، بينما الله كالرجل الميسور صاحب المال ينفق كيف يشاء ومتى شاء ، وهذا الرأي رجحه مجاهد⁶ .¹ وأكده الأمام الرازي حيث قال عن هذا

¹ سورة النحل (آية 75).

² عبد وصفه بأنه مملوك التصرف وأنه لا يقدر على شيء من العمل؛ ذلك لأن العبد قد يكون عبداً ولكنه يعمل كمن تسمح له بالعمل في التجارة مثلاً وهو عبد وهناك العبد المكاتب الذي يتفق مع سيده على مال يُؤدِّيه إليه لينال حرّيته فيتركه سيده يعمل بحرّيته حتى يجمع المال المتفق عليه. الشعراوي، محمد متولي(ت: 1418 هـ) تفسير الشعراوي الخواطر، مج19 مطابع أخبار اليوم - مصر ، (د ط-1997م) (13/8096).

³ رزق من الله وصفه بأنه حلال طيب لا شُبُهة فيه بعد ذلك وقَّفه الله للإِنفاق منه. الشعراوي، تفسير الشعراوي الخواطر (13/8096).

⁴ الطبري ، جامع البيان (148/14-149)، ابن القيم ، الأمثال في القرآن الكريم ، (22/1)، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (2/579).

⁵ الطبري ، جامع البيان (149/14)، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (2/579). الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن (468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق :- صفوان عدنان داوودي ، دار القلم بيروت ، (ط1/1415هـ) (1/613) الزحيلي وهبة بن مصطفى التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج30 دار الفكر المعاصر- دمشق، (ط2/1418هـ) (14/187).

⁶ مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون . ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل

الرأي :- " أقرب لأن الآية في إثبات التوحيد، وفي الرد على المشركين"²، ورجحه الإمام ابن القيم رحمه الله قائلاً: " والقول الأول أشبه بالمراد فإنه أظهر في بطلان الشرك وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة"³

وهو ما أرجحه وذلك لأن :-

هذا التفسير يتناسب وأسلوب القرآن، حيث أن الله ضرب لهم مثلاً من واقعهم، فقد كانوا يملكون العبيد وهؤلاء العبيد لا يملكون شيئاً ولا يقدرّون على شيء وهم لا يساؤون بين المملوك العاجز والسيد المالك، فكيف يساؤون بين الله وهو سيد العالمين وخالقهم وبين أحد أو شيء مما خلق، وكل المخلوقات عبيد له.

كما أنه يتفق مع الموضوع الذي يعالج السياق، حيث قال الله تعالى في بداية الآيات :- "يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا"، وبهذا بين تفرد الله بالألوهية، وإبطال الشرك بضرب المثل وذلك لبيان عدم صحة مساواة من يقدر على شيء بمن بيده ملك كل شيء.

فقرر الله تعالى أنه يعلم وأن الناس لا يعلمون لذا نهى المشركين عن ضرب الأمثال له سبحانه وبين انهم لا يعلمون عن طريق المثل.

ويأتي التساؤل في النهاية بقوله :- هل يستوون؟ وهنا يطرح تساؤل لماذا جاء التعبير بصيغة الجمع (يستوون) وليس المثني "يستويان"؟ أليس في اختلاف الضمير هنا ما يتعارض وبلاغة القرآن الكريم

الشافعي (ت:- 852هـ) تقريب التهذيب تحقيق : محمد عوامة دار الرشيد - سوريا (ط1/ 1406 1986) ت:- 6481 (6476/1).

¹ الطبري، جامع البيان (14/149)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (2/579).

² الرازي، التفسير الكبير (20/68).

³ ابن القيم، الأمثال في القرآن (1/22).

وتكون الأجابة :- لا، بل هي دقة أداء؛ لأن المتكلم هو الحق سبحانه وتعالى ، ولأن هذه نتيجة مثل العبد المملوك والحر، أي أن المقصود هو أن الأصنام لا تستوي والخالق سبحانه، والأصنام متعددة؛ ولذا جاء التعبير بصيغة الجمع (يستون).¹

ولا يجهل الفرق بينهما، إذ إن التسوية بينهما ضرب من حماقة والجهل والاستحالة، لذا قال الله تعالى بعدئذ " الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " وفي هذا إرشاد للعبد إلى وجوب شكر المنعم على ما أسبغ من النعم والآلاء لذا حمد الله نفسه واختص بالحمد بأنواعه فقال: " الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " فلو علموا حقيقة العلم لما تجرأوا على الشرك العظيم.

أما المثل الثاني فقال الله تعالى :- ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾²

هذا مثل آخر يؤكد الأول حيث ضرب الله المثل برجلين³ :-

أحدهما :- أبكم لا ينطق ولا يتكلم بخير ولا بشيء ولا يقدر على شيء متعلق بنفسه أو بغيره، وهو عالة على مولاه الذي يعوله، أينما يوجهه لا يحقق خيرا مطلقا، لعدم فهمه ما يقال له، ولا إفهام غيره.

والثاني :- رجل كامل المواهب والحواس، ينفع نفسه و غيره، يأمر بالعدل، ويسير على منهج الحق والطريق القويم والدين الصحيح. هل يستوي هذان الرجلان؟

¹ القدومي سامي وديع عبد الفتاح شحادة التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ،دار الوضاح، الأردن عمان (151/1).

² وهو كل على مولاه :- أي تقل على وليه وقرابته يعني الصنم عيال ووبال على عابده السمرقندي نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث(ت:373هـ) بحر العلوم،مج3 تحقيق : د.محمود مطرجي، دار الفكر بيروت (283/2). ، سورة النحل (آية 76).

³ الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، (4981/1) ، الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (185 /14).

وكيف يستويان و الأول عديم النفع، وهو كالصنم لا يسمع ولا ينطق، والثاني كامل النفع، وهو كالإله الواحد الذي يدعو إلى الخير، ويأمر بالعدل، ويلتزم العدل، وينفع الآخرين، ويمنع الشر والضرر عنهم؟ فإذا كان هذان الرجلان لا يتساويان بداهة، فلا تساوي أصلا بين الله تعالى، وبين ما يزعمون أنه شريك له سبحانه.

وفي هذين المثليين بين الله للمشركين مدى جهلهم بعبادة الأوثان وترك عبادة الله الواحد المنان ، فقد عبدوا ما لا ينفعم ولا يضرهم ، فهم كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء أو كالرجل الأبله الذي يحتاج الى من يوجهه ، فكيف يساعدهم من هو أصلا بحاجة للمساعدة.

هنا يتضح لنا نتيجة لهذين المثليين وحدة الإله ووحدة المالك ووحدة المنعم ، ويظهر ضلال المشركين في عبادتهم لغير الله تعالى .

ولما ذكر الله تعالى المثليين من باب تقريب المعاني الى الأذهان ، وما قد يترتب عليه تصور لا يليق بعظمة الله تعالى ، أتبع الله هذين المثليين بآية تتحدث عن عظمتهم بما يخلع القلوب ، فهو يخبر عن علمه للغيب في السموات والأرض ، واختصاصه بذلك فلا يطَّلع على ذلك أحد إلا إن شاء الله ذلك .¹

ويقول سيد قطب معلقا : -"إنه لعجيب أن تتحرف الفطرة الى هذا الحد ، فيتجه الناس بالعبادة الى ما لا يملك لهم رزقا ، وما هو بقادر في يوم من الأيام ، ولا حال من الأحوال ، وَيَدْعُونَ الله الخالق الرازق وآلؤه بين أيديهم لا يملكون إِنْكارها ، ثم يجعلون الله الأشباه والأمثال ، وأنه ليس لله مثال حتى تضربوا له الأمثال " ²

وفي قوله تعالى : -" وَمَنْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " ³

¹ الباز، أنور ، التفسير التربوي للقرآن الكريم ، مج3، دار النشر للجامعات مصر ، (ط1/2007م) (207/2).

² قطب ، ظلال القرآن (2183/4).

³ وهو كل على مولاة : - أي تقل على وليه وقربته يعني الصنم عيال ووبال على عبده السمرقندي بحر العلوم (283/2). سورة النحل (آية 76).

فإنه على صراط مستقيم، أي على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه بإحسانه و المسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم شيئا ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان"¹

أهم العقائد المستخرجة من الآيات :-

1. النهي عن الشرك في عبادة الله ، وذلك لأن من صرف شيئا من العبادة لغير الله ، فقد جعل ذلك المعبود مع الله ندا له ويكون مماثلا له في الألوهية واستحقاق العبادة ، لذا كان هناك النهي عن إتخاذ الشركاء والأنداد ، في الذات أو الصفات ، أو الألوهية أو الربوبية ونحو ذلك مما تفرد به سبحانه ، فأول أمر في المصحف هو عبادة الله ، وأول نهى هو النهي عن اتخاذ الأنداد مع الله .
2. ذكر الله صفات له تبين وجوب عبادته وترك عباده الأصنام وتبين بالدليل أنه ليس له ند ولا شريك وهذه الصفات هي :-

- انه رب مدبر ، قائم بنفسه ، مقيم لغيره ، مالك الأمر ، والرزق ، والنفع والضر ، ولقد عاب على من يعبد الأصنام وذلك لأن أمرها بيد غيرها ، لا تملك رزقا ولا نفعا ولا ضرا ، حيث قال الإمام الشنقيطي موضعا هذه الفكرة :- " لا يصح أن يعبد إلا من يرزق الخلق ، لأن أكلهم رزقه ، وعبادتهم غيره كفر ظاهر لكل عاقل "²

- أن الإله الحق متصف بالكمال والغنى المطلق ، وأن النقص والعجز والحاجة علامات على عدم أهلية من قامت به الألوهية ، وأن تصرف له العبادة ، لذا نجد ابن تيمية يقول في تفسير هذه الآيات :- " بين الله ان كونه مملوكا عاجزا صفة نقص ، وأن القدرة والملك والإحسان صفة الكمال وأنه ليس هذا مثل هذا ، وهذا لله وذلك لما يعبد من دونه "³ وهذا المعنى كثير في القرآن الكريم ، حيث يلفت الله عقول الناس إلى ما في تلك الألهة المزعومة من نقص وعيب ،

¹ الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (150/14)، ابن القيم ، الأمثال في القرآن الكريم (24/1).

² الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (417/2)

³ ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين (728هـ-1328م) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال تحقيق :- أحمد حمدي إمام ، مطبعة المدني - القاهرة ، (1403هـ - 1983م) (ص16).

وأنها مدبرة مقهورة عاجزة ، مما يوجب للعقول السليمة القطع بعدم أهليتها لما زعم لها من الألوهية .

• انه حي قادر متكلم يأمر بالعدل وهنا يقول الإمام ابن القيم عن هذه الصفة: - " وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد فإن أمره بالعدل وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم له راض به أمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه بل ينزهه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل بل أمره وشرعه عدل كله وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه وهم المجاوروه عن يمينه على منابر من نور وأمره بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني والأمر القدري الكوني وكلاهما عدل لا جور"¹

أي أن الله تعالى لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالعدل ولا يفعل إلا ما هو مصلحة وحكمة وعدل لمخلوقاته.

وهنا يتضح أن كل نقص وعيب في نفس الإنسان أو المخلوقات يجب أن ينزه الخالق عنه وكل كمال اتصفت به المخلوقات فالله أولى به ، أي أن من يتصف بأضداد الصفات التي ذكرها الله فهو دليل على عدم ألوهيته وصلاحيته للعبادة .

3. النهي عن ضرب الأمثال القولية الفاسدة له ، والتي يضربها الجاهلون ، ويكونون بضربها بمثابة من يُعلم الله، أو لمعارضة دينه أما ما يضربه الله لنفسه أو أحد من العالمين بالله ، والتي لا تتضمن شيئاً من المحذورات ، وتؤدي الى الاستدلال على إثبات ما أثبت الله لنفسه من الصفات ، ونفي ما لا يليق به من النقص ، والتي ضرب الله جنسها لنفسه في كتابه معلماً عباده كيف يستدلون عليه ، فهي من الأمثال المشروع ضربها لله سبحانه.

ولقد بين السياق العلة من النهي عن ضرب الأمثال لله تعالى وذلك لأمرين اثنين :-

الأول : إن المشركين جاهلون بالله سبحانه وما له من صفات .

¹ ابن القيم ، الأمثال في القرآن (1 / 23).

الثاني: إن كل ما ضربوه له من الأمثال إنما كان صادراً عن الظن وهوى النفس .

وهنا يظهر تفرد الله تعالى بالكمال المطلق حيث قال الله تعالى :- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۚ ﴾¹ .

المطلب الثاني :- سورة الروم آية 28 .

وفي هذا المطلب يبين الله أنه أعلى وارفح مما يعبد المشركون من أصنام ثم يوضح هذا العلو بمثل يضربه لهم من أنفسهم لعلهم يعقلون قال الله تعالى :-

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾²

وهنا لابد لنا من نظرة عامة على السورة التي وردت فيها هذه الآيات :-

السورة التي وردت فيها الآيات سورة الروم عدد آياتها 60 آية وهي من السور المكية³ .

ركزت السورة على قضيتين هامتين تعتبران محور السورة الا وهما:- قضية التوحيد وإبطال الشرك والتحذير منه ، وقضية البعث بعدالموت وأدلته .⁴

¹ سورة الشورى (آية 11).

² سورة الروم (الآيات 27- 29) .

³ عبد الباقي ، المعجم المغهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص661.

⁴ الرازي ، التفسير الكبير (102/25).حوى ، سعيد ، الأساس في التفسير، مج11، دار السلام للطباعة والنشر مصر

(ط5/1419هـ -1999م) (4299/8).

ذكر الله سبحانه في هذه السورة ما يدل على شمول ربوبيته ، وأهم خصائصها من الملك ، والخلق والأمر الكوني الذي يتم به تدبير الكون وما فيه .

والإفتتاح بقوله تعالى : - " **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " (٢٧) أهمية كبيرة ، فقد ربطت الآية بين قضيتين، بدء الخلق ، ثم إعادته ، حيث بين الله أنه هو الذي خلق السموات والأرض وكل شيء في هذه الحياة وهو كما خلقها أول مرة يستطيع ان يهلكها ثم يعيد خلقها مرة أخرى

ولقد ورد في قوله تعالى " - **وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** " قولان :-

القول الأول :- أن الإعادة أهون عليه من البداية وكل هين عليه وهذا يعني : أي الإعادة أهون على الخالق من الإبداء لأن في البدء يكون علقه ثم مضغة ثم لحماً ثم عظماً ثم يخلق بشراً ثم يخرج طفلاً يتزرع إلى غير ذلك ، وأما في الإعادة فيخرج بشراً سوياً بكن فيكون أهون عليه . وقد قاله كل من مجاهد وأبو العالية^{1 2}

القول الثاني :- أن أهون بمعنى هين فالمعنى وهو هين عليه وقد يوضع أفعال في موضع فاعل ومثله قولهم في الأذان الله أكبر أي الله كبير قال الفرزدق^{3 1} :-

¹ رفيع بالتصغير بن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية ثقة كثير الإرسال من الثانية مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين وقيل بعد ذلك ع.العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ت :- 1953 (210/1).

² الرازي ، التفسير الكبير ، (103- 102/25) الجوزي زاد المسير (6/ 298). الزجاج معاني القرآن وإعرابه (143/4).

³ همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق(ت:- 110 هـ) شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، يشبه بزهير بن أبي سلمى. وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الاسلاميين. وهو صاحب الاخبار مع جرير والاخلط، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، وقد جمع بعض شعره في "ديوان - ط

والقول الأول أصح وهو ما رجحة الإمام الرازي ² .

وورد في القرآن كلمة هين في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۗ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ ³ ولم قدم الاختصاص "علي" في الجملة ولم يقدمها في قوله تعالى: " وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" كما في الآيات ويوضح الإمام الزمخشري هذا البيان اللغوي في القرآن الكريم قائلاً: " وذلك لأن المعنى الذي قال هناك إنه هين هو خلق الولد من العجوز وأنه صعب على غيره وليس بهين إلا عليه فقال: " هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ "يعني لا على غيري ، وأما ههنا المعنى الذي ذكر أنه أهون هو الإعادة والإعادة على كل مبدىء أهون فقال : وهو أهون عليه لا على سبيل الحصر ، فالتقديم هناك كان للحصر ⁴

أي ان كل شخص قام بعمل ما ثم طلب منه ان يعيده فالبدائية وإعادة هذا العمل هي هينه عليه لأن من أعاد صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها فالإعادة في نفسها عظيمة ،ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء فالمعنى الإعادة والبعث أهون على الإنسان من إنشائه، لأنه يُقَاسِي في النشء ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث فكيف بالله تعالى الذي خلق الإنسان وخلق هذا الكون فالإعادة هي هينة عليه بل أهون ما يكون .

" ومن أمهات كتب الأدب والاحبار " نقائض جريير والفرزدق - ط " ثلاثة مجلدات كان يكنى في شبابه ب أبي مكية، وهي ابنة له ولقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه. وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة. الزركلي الأعلام (93/8).

¹ الجوزي ، زاد المسير (298/6). الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه (143/4).

² الرازي ، التفسير الكبير (103/25).

³ سورة مريم (آية 21).

⁴ الزمخشري ، الكشاف (482/3)، الرازي ، التفسير الكبير (103/25).

ولقد ايد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" حيث: -" قال قال الله كَذَّبَنِي بِنِ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَزَعَمَ أَنِّي لَأَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدًا فَسُبْحَانِي أَنْ أُتَّخَذَ صَاحِبَةً أَوْ وُلَدًا"¹

وبناءً على الرأي الراجح لكلمة أهون فإن تفسير الآية يصبح معناه: - إن الله لا شريك له لأن كل من في السموات وكل من في الأرض ، ونفس السموات والأرض له وملكه ، فكل له منقادون قانتون ، و ذكر دليلين على ذلك ، دليل إعادة الخلق وكم هو هين عليه حيث قال الله تعالى :- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾² وذلك لأن الإعادة أهون من الإبداء لأن من يفعل فعلاً أولاً يصعب عليه ، ثم إذا فعل بعد ذلك مثله يكون أهون .

ثم قال ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾³

وفي قوله تعالى "وله المثل الأعلى" عدة تفسيرات ومعانٍ :-

المثل الأعلى ذات الله تعالى وبه قال ابن عباس و⁴ قتادة و⁵ ابن المنكر⁶ ⁷ فهو الذي لا مثل له ولا شبه، لا إله إلا هو، واحد لا شريك له لا تشبه صفاته صفات المخلوقين، ولا اشتبهت صفات الخلق صفاته.

¹ البخاري ، صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) (4 / 1629) ح4212 ، 470باب (قل هو الله أحد) ح(1093/4) 4690 471باب قَوْلِهِ: (اللَّهُ الصَّمَدُ) ح(1903/4) 4691.

² سورة الروم (آية 27).

³ سورة الروم (آية 27).

⁴ البغوي ، معالم التنزيل (73/3).

⁵ الطبري ، جامع البيان (38/21)، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (432/3).

⁶ أبو عبد الله بن المنكر بن عبد الله، القرشي ، التميمي ، المدني ، ولد سنة (30)هـ، وكان من القراء المحدثين ، أهل الحفظ والأتقان والزهد، توفي (130)هـ، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: - 748 هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: - شعيب الارنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت، (ط9/1413 هـ 1993 م) (361-353/5).

⁷ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (432/3).

ومنها صفات الله الموجودة في الكتاب والسنة فهي لا يضاد بعضها بعضاً: عالم لا جهل فيه، قادر لا عجز فيه، عزيز لا ذل فيه، وأمثال ذلك مما لا يدخل في ذلك نقصان أو عيب بوجه من الوجوه.¹

وأقول إنه يمكن دمج هذين القولين بمعنى واحد وهو إن الله تعالى قد يشبه فعله فعلنا ولكن ذاته ليست كمثلها شيء، فله المثل الأعلى في السموات والأرض و هذا ما قال به ابن عباس رضي الله عنهما.²

و بعد ان وضع الله سبحانه عدم شبهه للمخلوقات ضرب المثل دليلاً على وحدانيته، فقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾³

أي ضرب لكم مثلاً من مثل خلقكم، حيث يبين لكم مثلاً من أنفسكم: ما لو تفكرتم وتأملتكم، لظهر لكم سفهكم بعبادتكم الأصنام دون الله، أو تسميتكم الأصنام بالله، و في هذا المثل دليل على وحدانيته من عدة وجوه وهي :-

أحدها: كأنه يقول يا أيها المشركون إذا لم تستوا أنتم أنفسكم فيما رزقتهم بالذين ملكت أيمانكم حيث لم تكونوا أنتم وهم سواء في ذلك؛ فكيف زعمتم أن الله قد سوى نفسه وما ملك من خلقه في ملكه وألوهيته؟! وهذا يظهر في قوله تعالى: - " هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ " .

¹ الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، مج10 تحقيق: - د. مجدي باسلوم دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان (ط1/1426 هـ - 2005 م) (267/8)، الراغب مفردات غريب القرآن، (364/2).

² الرازي، التفسير الكبير (103/25).

³ سورة الروم (آية 29)

والثاني: كأنه يقول: هل ترضون أن يكون ما ملكت أيمانكم شركاءكم فيما تملكون من الأموال؟! فإذا لم ترضوا لأنفسكم إشرارك ما ملكت أيمانكم في ملككم فكيف زعمتم أن الله يرضى أن يشرك ممالئكم في ملكه وسلطانه؟!.

والثالث: كأنه يقول: - هل تخافون أن يرثكم عبيدكم بعد الموت، كما تخافون أن يرثكم الأحرار من أوليائكم، وهذا الوجه ورد عن ابن عباس حيث قال: - "تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً"¹.

أي هل لكم من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال فأنتم وهم في ذلك سواء تخافون أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها ويستأثرون ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه، وهل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار.

ولقد اورد الإمام القرطبي عن هذه الآية قول بعض العلماء حيث قالوا: -"إن هذه الآية أصل في الشراكة بين المخلوقين لا فتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه وذلك انه لما قال عز وجل: { ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم } فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا! فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب! فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة والخلق كلهم عبيد الله تعالى، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من أفعاله فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك إذ الشركة تقتضي المعاونة ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل والقديم الأزلي منزه عن ذلك جل وعز"²

أي إذا لم ترضوا الشراكة مع عبيدكم لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي فإن كان هذا الحكم باطلا في فطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حقكم إذ ليس عبيدكم

¹ ابن القيم، الأمثال في القرآن الكريم (20/1).

² القرطبي، الجامع لإحكام القرآن (23/14).

ملكا لكم حقيقة وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم وأنتم وهم عبادي فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخالقي .

وبهذا المثل أثبت الله بطلان ما يدعون حيث إن الله في هذا المثال استعمل قياس العكس وهو نفي الحكم لنفي علتة وموجبه، فعندما يثبت بطلان الأمر فإنه يظهر ثبات عسكه وهكذا.

وهذا ما أشار إليه ابن القيم حين قا :- "وهذا دليل قياسي احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندهم معلوم لها"¹

لذا ختم الله الآيات قائلا: - "بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ"

أي ليس لهم حجة ولا معذرة في إشراكهم بالله بل اتبع المشركون أهواءهم بتقليد آبائهم بغير علم فشاركوهم في الجهل والضلالة، فذلك بمجرد هوى النفس بغير علم ولا برهان، ولا أحد يقدر على هداية من أضله الله بسبب تماديه في الكفر والعناد، وليس لهؤلاء من أنصار يُخلّصونهم من عذاب الله وقد قال الإمام القرطبي معلقا على الآيات :- "لما قامت عليهم الحجة ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها، وتقليد الأسلاف في ذلك"²

لذا أورد قبل المثل قوله تعالى :- "وله المثل الأعلى " لأنه يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان فالموصوف بالمثل الأعلى وحده يستحيل أن يكون له مثل أو نظير وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه والإشراك مع الله تعالى .³

ثم اتبع الله تعالى هذه الآيات بقوله تعالى :- ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

¹ ابن القيم، الأمثال في القرآن (21/1).

² القرطبي، الجامع لإحكام القرآن (23/14).

³ ابن القيم ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت: 751 هـ)، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله دار العاصمة - الرياض (ط3/ 1418 -

(1998) (1030/3 - 1032)

أُنَاسٍ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾¹ حيث انه إذا بطل الشرك وعلم الناس ان الله لا شريك ولاند له تكون ثمرة هذا العلم إقامة الدين وإخلاص العبادة لله وحده ، والإعراض عن المشركين ودعاويهم الباطلة .

ولأهمية هذا المثل ولانه إثبات على وحدانية الله تعالى قال الله تعالى في ختام سورة الروم : -
﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾² أي ولقد بينا في هذا القرآن العظيم ما يحتاج الناس إليه من المواعظ والأمثال والأخبار والعبر مما يوضح الحق ويزيل اللبس .

هذا ويمكن إستخلاص دروس أساسية من الآيات وهي :-

أولاً: إن كل كمال فانه أحق به من كل أحد، فانه تعالى يتفرد بصفات الربوبية والألوهية وسائر صفاته كامله لايشوبها نقص فانه تعالى اعلى من أن يعتبر بغيره .

ثانياً: النهي عن اتخاذ الشركاء والأنداد لله تعالى وذلك باستخدام قياس الأولى .

ثالثاً : أن الدين القائم على التوحيد هو الدين القيم لأنه ثمرة اعتقاد تفرد الله تعالى بالمثل الأعلى .

رابعاً : إن كل مثل يورد به يوافق ما هو ثابت لله من الوصف الأكمل فهو مثل لله لايجوز الإخبار به عن غيره .

المطلب الثالث : - سورة الزمر آية 29.

سورة الزمر وهي سورة مكية³ عدد آياتها 75 ، وقد تحدثت عن " عقيدة التوحيد " بالإسهاب حتى لتكاد تكون هي المحور الرئيسي للسورة الكريمة لأنها أصل الإيمان وأساس العقيدة السليمة وأصل كل عمل صالح يقول سيد قطب عن هذه السورة : -" هذه السورة تكاد تكون

¹ سورة الروم (آية 30).

² سورة الروم 58

³ عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص 661).

مقصورة على علاج قضية التوحيد . وهي تطوف بالقلب البشري في جولات متعاقبة وتوقع على أوتاره إيقاعات متلاحقة؛ وتهزه هزاً عميقاً متواصلًا لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها وتنفي عنه كل شبهة وكل ظل يشوب هذه الحقيقة . ومن ثم فهي ذات موضوع واحد متصل من بدنها إلى ختامها؛ يعرض في صور شتى¹

ومن بين الصور الشتى التي عرضتها السورة للتأكيد على قضية التوحيد هي المثل حيث قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴾ (٢٧) ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٢٨) ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٩) ﴿²

ففي هذه الآيات يبين الله قضيتين مهمتين :-

الأولى :- هي أن القرآن جاء باللغة العربية مع ما فيه من أمثال وقصص وذلك ليفهم الناس ما فيه من مواظب وأوامر ونواهي ، فيتقوا غضب الله تعالى ويحذروه ويعودوا إلى عبادته وإفراده بالألوهية وذلك في قوله تعالى :- " وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴾ (٢٧) ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ " قال الإمام الطبري معلقاً على هذه الآيات :- " ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية، تخويفاً منا لهم وتحذيراً (لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ) جعلنا قرآناً عربياً إذ كانوا عرباً، ليفهموا ما فيه من المواظب، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته، فينبوا إلى عبادته وإفراد الألوهية له، ويتبرؤوا من الأنداد والآلهة"³

¹ قطب ، في ظلال القرآن (3033/5).

² سورة الزمر (الآيات 27-29).

³ الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، مج24، تحقيق:- أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة (ط 1 / 1420 هـ - 2000 م) (283/21).

وهنا يرد تساؤل لم قدم "يتذكرون" في الآية الأولى على "التقوى" في الآية التالية، حيث قال الله تعالى: - "قُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ أَلْعَلَّهُمْ يَنْقُونَ"

ويرد على هذا التساؤل الإمام الخازن قائلاً: - "سبب تقديم التذکر: أن الإنسان إذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشيء واختلط بمعناه اتقاه واحترز منه"¹

الثانية: - فبعد ان ذكر الحكمة في ضرب الامثال للناس جاء بمثل هنا فيه عبرة وتأکید على قضية التوحيد وأن الله واحد أحد لا شريك له. ووضح ذلك من خلال المثل حيث قال الله تعالى: -

" ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ ² وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

وهناك ثلاثة أقوال في المقصود من المثل في هذه الآية: -

الأول: - ضربت مثلاً للمشرك والمخلص ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ولقد أيد هذا القول الإمام الطبري حيث قال " - مثل الله مثلاً للكافر الذي يعبد آلهة شتى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، ضرب الله مثلاً لهذا الكافر رجلاً فيه شركاء. هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، ورجلاً مسلماً لرجل، يقول: ورجلاً خلوصاً لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية"³

الثاني: - ضربت مثلاً لله وللصنم ورد عن عكرمة⁴

¹ الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن (ت: - 741هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، مج4، تحقيق: - تصحيح محمد علي شاهين دار الكتب العلمية بيروت (ط1/1415 هـ) (56/4).

² متشاكسون: - (والتشاكس) في اللغة: شدة الاختلاف والتنازع؛ يقال: الليل والنهار متشاكسان، أي: أنهما متضادان ومختلفان، إذا جاء أحدهما ذهب الآخر. ابن منظور، لسان العرب، (6/113). الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة تحقيق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط1/2001م) (6/10).

³ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر بيروت (213/23).

⁴ عكرمة أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس الهاشمي المدني الشيباني لم يثبت تكذيبه عن بن عمر ولا تثبت عنه بدعة من الثالثة، توفي في 107 أو 104 أو 105 وهو ابن ثمانين. أبو نصر البخاري أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن،

الثالث :- هذا المثل للراغب والزاهد فالراغب شغلته أمور مختلفة فلا يتفرغ لعبادة ربه ، فإذا كان في العبادة فقلبه مشغول بها تتجاذبه أشغال الدنيا شُغْلُ الوالدِ وشغل العيال وغير ذلك من الأشغالِ المختلفةِ والخواطرِ المُشتتةِ، والزاهد أو المؤمن قد يتفرغ عن جميع أشغال الدنيا فهو يعبد ربه خالصاً لله ليس لأحدٍ فيه نصيب؛ ولا للدنيا معه سبب إذ ليس منها شيء ولا للرضوان معه شُغْلٌ إذ ليس له طاعات يُدِلُّ بها وعلى الجملة فهو خالص لله قال تعالى لموسى : ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (٤١) "أي أبقيتك لي حتى لا تصلح لغيره".²

والرأي الراجح هو الأول حيث قال الإمام الرازي :- " وهذا مثل ضرب في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد إذ المقصود من ضرب هذا المثل إقامة الحجة على المشركين، وتعنيفهم لأجل مواقفهم الراضية للاعتراف بالواحد الأحد، وكشف سوء حالتهم في الإشراك".³

وبعد أن بالغ سبحانه في تقرير وعيد الكفار في بداية السورة ، أتبع ذلك بذكر مثل يدل على فساد مذهبهم، وقبح طريقتهم، مبيناً حال العبد الموحد الذي يعبد الله وحده، ولا يشرك معه أحداً من خلقه، وحال العبد المشرك الذي يعبد شركاء عدة، لا يعرف كيف يرضيهم جميعاً فانه يقول لنبيه الكريم اضرب لقومك مثلاً وقل لهم : ما يقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدّعي أنه عبده فهم يتجادبونه في حوائجهم وهو متحير في أمره فكلما أَرْضَى أحدهم غضب الباقيون ، وإذا احتاج إليهم في أمر فكل واحد منهم يردّه إلى الآخر ، فهو يبقى متحيراً لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه ، وأيهم يعينه في حاجاته ، فهو بهذا السبب في عذاب دائم وتعب مقيم ، ورجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الإخلاص ، وذلك المخدوم يعينه على مهماته ، فأَيُّ هذين العبيدين أحسن حالاً وأحمد شأناً

(المنوفى : 398هـ) الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تحقيق :- عبد الله الليثي دار المعرفة بيروت (1407/1) (ت922) (583/2). ابن جر ، تقريب التهذيب (397/1).

¹ سورة طه (آية: 41)

² السمرقندي بحر العلوم (176/3). القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي(ت:- 465هـ) تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، مج3 ، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن دار الكتب العلمية - بيروت /لبنان (ط1420/1هـ-2000م) (119/3).

³ الرازي ، التفسير الكبير (241/26).

ولا شك فإن هذين العبدین غیر مستویین فی المنزلة ، و غیر مستویین فی الخدمة، ولا يمكن لعاقل أن یصرح باستوائهما؛ لأن أحدهما فی منزلة محمودة، والآخر فی منزلة مذمومة غیر محسودة؛ وذلك أن العبد الذي یخدم عدة شركاء، یرید كل واحد منهم أن یرتفعه لحسابه الخاص قدر المستطاع، ولو كان ذلك على حساب تقصيره فی خدمة الآخرين، وبالتالي فإن المهمة على هذا العبد تكون مضاعفة، وهو مع هذا لا ینال من الرضا شيئاً ینكر، بل الغاضب علیه أكثر من الراضي، والذام له أكثر من الشاكر.¹

و قال الإمام الرازي :- " والمراد تمثيل حال من یثبت آلهة شتى ، فإن أولئك الآلهة تكون متنازعة متغالبية ، كما قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾² وقال : ﴿ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾³ فبقي ذلك المشرك متحيراً ضالاً ، لا یدري أي هؤلاء الآلهة یعبد وعلى ربوبية أيهم یعتمد وممن یطلب رزقه ، وممن یلتمس رفقه ، فهمه شفاع ، وقلبه أوزاع . أما من لم یثبت إلا إلهاً واحداً فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه ، فكان حال هذا أقرب إلى الصلاح من حال الأول "⁴.

وفي نهاية الآية یختمها الله بقوله " ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾⁵ والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالتاهما ، اي لا يمكن ان تستوي حال من یعبد الهأ واحداً ومن یعبد عدة الهه وجملة (الحمد لله) مقررة لما قبلها من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وللإيدان للموحدين بما فی توحيدهم الله من النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به، أي الحمد لله على عدم استواء هذين الرجلين وهنا تقوم عليهم الحجة حيث يبطل القول بإثبات الشركاء والأنداد ، ويثبت أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الحق ، ثبت أن الحمد له لا لغيره ، فهو وحده المستحق للعبادة وفي ختام الآية یقول الله تعالى :- (بل أكثرهم لا یعلمون) وهي إضراب

¹ الرازي ، التفسير الكبير ، (26 / 241).الزحيلي ، د وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير فی العقيدة والشريعة والمنهج (285/23).

² الأنبياء : 22

³ المؤمنون : 91

⁴ الرازي ، التفسير الكبير (26 / 241).

انتقالي من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس، وهم المشركون، فإنهم لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ووضوحه، فيقعون في ورطة الشرك والضلال¹

قال سيد قطب معلقاً على هذه الآية :- "وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى لأن بصره أبداً معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوي به الطريق . ولأنه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرِّزق ومصدراً واحداً للنفع والضّر ومصدراً واحداً للمنع والمنع فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد يستمد منه وحده ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته . ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره . ويخدم سيّداً واحداً يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيه . وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء ."²

وبعد ذلك أتبع هذه الآية بقوله تعالى :- ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣٠)

والمراد أنّ هؤلاء الأقوام وإن لم يلتفتوا إلى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا ، فلا تبال يا محمد بهذا فإنك ستموت وهم أيضاً سيموتون، حيث أنّ الموت نهاية كل حي؛ ولا يتفرد بالبقاء إلّا الله وفي الموت يستوي كلّ البشر وتظهر الحقيقة التي يهربون ويتكبرون عنها ألا وهي أنّ الله واحد لا شريك له ، وأنّ كل ما يعبدون من دونه باطل لا أساس له من الصحة ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى ، والعدل الحق يحكم بينكم فيوصل إلى كل واحد ما هو حقه ، وحينئذٍ يتميز المحق من المبطل ، والصديق من الزنديق ، فهذا هو المقصود من الآية³

وفي نهاية هذا المطلب يتضح لنا :-

¹ القنوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: 1307هـ) فتح البيان في مقاصد القرآن، مج15، تحقيق :- عبد الله بن إبراهيم الأنصاري المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت (1412 هـ - 1992 م) (111/12-112).

² قطب ، في ظلال القرآن (3049/5).

³ الرازي ، التفسير الكبير (242/26)، قطب ، في ظلال القرآن (3050/5).

1. أن القرآن الكريم كتاب شامل كامل لم يترك شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا بيّنه وجلّاه حتى بالأمثال الموضحة للناس معانيه ومراميه، قال تعالى ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾¹ فالقرآن الكريم عظة وتذكير، وسبب اتقاء الكفر وتكذيب الرُّسل وهذا مثل من الأمثلة التي يضربها القرآن للناس لعلمهم يتذكرون . وهو قرآن عربي مستقيم واضح لا لبس فيه ولا عوج ولا انحراف . يخاطب الفطرة بمنطقها القريب المفهوم .
 2. أن مذهب المشركين في عبادة الأوثان وتعدد الآلهة فاسد باطل لا يقبله عاقل صحيح العقل، ومن عوامل بطلانه وتهافته أنه لا يحقق لذويه غاياتهم، وأبسط دليل على ذلك هو هذا المثل الذي ضربه القرآن هنا للمؤمن الموحد والكافر المشرك.
 3. أن الإسلام هو دين الفطرة والتوحيد ، فهو يوجه الناس إلى ما يصلحهم وينفعهم، وينسجم مع فطرتهم البشرية، وحقيقة أن الله واحد أحد لا شريك له ، فعند الاعتراف بربوبية الله وتوحيده، لا يكون هنالك مجال لما يُشوّه الفطرة.
 4. إن هذا المثل لحال المؤمن الموحد والكافر المشرك، يصلح لكل مُتَّبِعٍ للحق، ولكل مُتَّبِعٍ للباطل؛ فإن الحق هو كُلُّ ما وافق الواقع، والباطل هو كُلُّ ما خالفه، فَمُتَّبِعُ الحق لا يعترضه ما يُشوِّش عليه باله، ولا ما يتقل عليه أعماله، ومُتَّبِعُ الباطل يتعنّثُ به باطله في مزلق الخطى، ويتخبط في أعماله بين تناقض وخطأ .
 5. أن مصير جميع الخلائق إلى الله لحسابهم وتصفية منازعاتهم والقضاء العدل فيهم، سواء المؤمنون والكافرون، فيتخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم.
- وفي نهاية هذا المطلب يظهر أن مَنْ وَحَدَّ الله في عبوديته ، وأخْلَصَ له في عبادته، وأتَّبَعَ الحق الذي أمر به، كان في الدُّنيا سعيداً رضيّاً، وفي الآخرة فائزاً مرضياً؛ أمّا من أشرك مع الله آلهة أخرى، فقد ضلَّ سواء السبيل، وعاش دنياه حائراً غير آمن، فهو خاسر للدُّنيا قبل خسران الآخرة.

¹ سورة الأنعام (آية 38).

المبحث الثاني

وصف الله نفسه بالنور

جاء في كتاب الله - عز وجل - ذكر النور في آيات كثيرة " حيث تكرر لفظ النور حوالي 24 مرة ولفظ نوراً 9 مراتٍ بينما ورد لفظ نوره ولفظ نورهم 4مرات" ¹ وهذا فيه دلالة على الترغيب في العمل لاكتساب النور، وسؤالِ الله ذلك، والترهيب من الظلمات والاستعاذة بالله من

¹ عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص725).

ذلك، ولكن الله تعالى وصف نفسه بالنور وضرب مثلاً كاملاً لبيان هذا الوصف، بل وتم تسمية سورة نسبة الى هذا الوصف فسُميت بسورة النور، فما علاقة ذلك كله بصفة النور؟ وهل يجوز أن نقول إن النور هو اسم من أسماء الله الحسنى، وما العقيدة التي يُرسخها المثل القرآني الذي جاء فيه وصف الله لنفسه بالنور

ولقد وردت كلمتا الظلمات و النور في مواضع كثيرة في القرآن الكريم حيث وردت كلمة ظلمات 23 مرة¹، وهناك سؤال يطرح نفسه لماذا كلمة الظلمات بصيغة الجمع وكلمة النور بصيغة المفرد؟

وللإجابة على هذه الأسئلة، لا بد من أن نرجع الى تفسير الآيات القرآنية التي وردت فيها، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: "﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ لِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ 2"

لقد ضرب الله سبحانه مثلاً لنوره مبيناً في هذا المثل حقيقة ذلك النور ومادته التي تغذيه، وأثره في إستراره القلب وبصيرته، ولقد بدأ هذا المثل بأن قال: "﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾" بعد أن ذكر الله سبحانه أحكاماً عدة، تتعلق بشهوة العين والفرج، وبحدِّ الزنا وحدِّ القذف ورَمِي المحصنات الغافلات، بين في النهاية أنه أنزل دلالات وعلامات مبينات مفصلات يظهرن الحق من الباطل، ثم بين أن مهمة

¹ المرجع السابق، (ص438-439).

² سورة النور (الآيات 34-35).

القرآن العظيم بيانُ نِعَمِ الله تعالى على عباده قاطبةً فالله سبحانه وتعالى أنزل القرآن آياتٍ منيراتٍ للنفوس، وفي هذه الآية ظهرت ثلاث صفاتٍ للقرآن الكريم¹ :-

1. أن هذه السورة - سورة النور - وغيرها من السور مفصّلاتٍ الأحكام والحدود والشرائع التي يحتاج الناس إليها، وموضّحاتٍ الحق ومعالمه ودروبه.

2. أنزل الله في قرآنه أيضاً أمثلة من أخبار الأمم المتقدمة، وضرب للناس من أمثال الماضين من الأمم، ليقع التحفظ والحذر مما وقع أولئك فيه.

3. أنزل الله سبحانه مواعظَ وزواجرَ لمن اتقى الله وخاف عذابه فتلك الآيات الموضّحة، والأمثلة المؤثّرة، والمواعظ الزاجرة هي لخير الإنسان، وهي نعمة جلييلة من نعم الله على المؤمنين. فبعد أن بيّن الله تعالى أن القرآن جاء مبيناً الأحكام، انتقل الى استخدام الأمثال قال الإمام الرازي: - "إعلم أنه تعالى ذكر مثلين أحدهما: في بيان أن دلائل الإيمان في غاية الظهور الثاني: أن أديان الكفرة في نهاية الظلمة والجفاء"² فبدأ الله المثل بأن قال: -"الله نور السموات والأرض"³ وقد قيل في تفسير ذلك أقوال: -

الله هادي أهل السموات والأرض ولقد ورد عن ابن عباس³.

2 - الله يُدبّر الأمر في السموات والأرض: نجومها، وشمسها، وقمرها، فهو سبحانه مُنور السموات والأرض وورد عن ابن عباس ومجاهد والضحاك⁴

¹ الرازي ، التفسير الكبير ، (193/23). الشوكاني ، فتح القدير (4/4). الزحيلي ، د وهبة بن مصطفى التفسير الوسيط للزحيلي، مج3 دار الفكر دمشق (ط1/1422هـ) (2/1751-1752). بتصرف.

² الرازي ، التفسير الكبير، (193/23).

³ الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن مؤسسة الرسالة (177/19)، البغوي ، تفسير البغوي ، (345/3). ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (290/3)

⁴ الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد وقيل أبو القاسم صاحب التفسير كان من أوعية العلم وليس بالموجود لحديثه وهو صدوق في نفسه، توفي 102 أو 105 أو 106هـ، قال يحيى القطان كان شعبة ينكر أن يكون الضحاك لقي ابن عباس قط ثم قال القطان والضحاك عندنا ضعيف. الذهبي ، سير أعلام النبلاء (4/598-599).

3 - الله ضياء السموات والأرض ولقد ورد عن أبي بن كعب "رضي الله عنه" حيث قال :-
فبدأ بنور نفسه، فذكره، ثم ذكر نور المؤمن".²

أما الإمام الطبري فقد رجح القول الأول حيث قال :- " هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون... وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأنه عقيب قوله: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع يقع تنزيله من خلقه. ومن مدح ما ابتداء بذكر مدحه، أولى وأشبه، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس آيات مبيّنات الحق من الباط (ومثلاً من الذين خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) فهديناكم بها، وبيّنا لكم معالم دينكم بها، لأنني هادي أهل السموات وأهل الأرض، وترك وصل الكلام باللام، وابتداء الخبر عن هداية خلقه ابتداء، وفيه المعنى الذي ذكرت، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره، ثم ابتداء في الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبيّنات التي أنزلها إليهم، فقال: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) يقول: مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة".³

والراجح هو ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله: -والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبار كلها"⁴ أي أن كل هذه الأقوال تصب في معنى واحد وهو أن الله هو نور السموات والأرض بما فيها من هداية وتدبير، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من الضلالة ينجون،

¹ الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن مؤسسة الرسالة (177/19). البغوي ، تفسير البغوي ، (345/3). ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (290/3). الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي تفسير القرآن تحقيق : أسعد محمد الطيب المكتبة العصرية - صيدا ، (8 / 2593).

². البغوي ، تفسير البغوي ، (345/3). الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن مؤسسة الرسالة (177/19)، ابن كثير تفسير القرآن العظيم (290/3). الرازي، ، تفسير القرآن (8 / 2593).

³ الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن مؤسسة الرسالة (178/19)

⁴ ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، مج1 دار الكتب العلمية بيروت (ط1/1404 1984) (ص11).

وهو سبحانه منور السموات والأرض، ومُدبّر الأمر فيهما: بنجومها، وشمسها، وقمرها، وهو - عز وجل - نور؛ فقد سمى نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسوله نوراً، ودينه نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نوراً تتلألاً¹.

وقال الإمام ابن تيمية مؤكداً على هذا القول: "من قال مُنور السموات والأرض لا ينافي أنه نور وكل مُنور نور فهما متلازمان"².

أي أنّ هذه الأقوال الثلاثة صحيحة ولا تتعارض فاسم من أسماء الله تعالى النور وهو في نفس الوقت هادي أهل السموات والأرض ومنيرها .

وهناك أدلة وردت على أنّ الله صفته أو اسمه النور، ومن الأحاديث الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأكدت هذا المعنى: -

• قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): - " عن أبي ذرّ قال سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هل رأيتَ ربك قال نورٌ أنى أراه " ³ وفي رواية أخرى " قال كنت أسأله هل رأيتَ ربك قال أبو ذرّ قد سألتُ فقال رأيت نوراً " ⁴

• وقوله (صلى الله عليه وسلم): - " فقال إنّ الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفضُ القسطَ ويرفعه يرفعُ إليه عملَ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ وعملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ حجابه النورُ

¹ ابن القيم ، المرجع السابق ، (ص10)، القحطاني ، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني النور والظلمات في ضوء الكتاب والسنة، مج1 مطبعة سفير، الرياض (ص19).

² ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) مج 3 تحقيق : د. محمد السيد الجليند مؤسسة علوم القرآن - دار النشر دمشق (ط2/1404هـ) (2/479-480).

³ مسلم ، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام نورٌ أنى أراه وفي قوله رأيت نوراً (ح177)(1/161).

⁴ مسلم ، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام نورٌ أنى أراه وفي قوله رأيت نوراً (ح178)(1/161).

وفي رواية أبي بكرٍ النَّارُ لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ من خَلْقِهِ¹ وفي رواية أخرى: " ولم يذكر من خَلْقِهِ وقال حِجَابُهُ النُّورُ"²

ولقد بيَّن الإمام النووي أنَّ العلماء اتفقوا على أن معنى (سبحات وجهه) المراد بها :نوره وجلاله وبهاؤه.³

وهنا يردُّ تساؤل لم قال حجابهُ النُّور ؟

ويجيب على هذا التساؤل الإمام الترمذي حيث يقول : - " وأما الحجابُ فأصله في اللُّغة المنع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للجسام المحدودة والله تعالى مُنَزَّهٌ عن الجسم والحد والمراد هنا المانع من رؤيته وسمى ذلك المانع نوراً أو ناراً لانهما يمنعان من الإدراك في العادة لشاعهما والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأنَّ بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من لبيان الجنس لا للتبويض والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً لوتجلى لخلقهِ لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته "⁴

• وقوله (صلى الله عليه وسلم) في قيام الليل : -" أنت نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ

¹ مسلم ، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب في قولِهِ عليه السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وفي قولِهِ حِجَابُهُ النُّورُ لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ من خَلْقِهِ (ح179)(161/1).

² مسلم ، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب في قولِهِ عليه السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وفي قولِهِ حِجَابُهُ النُّورُ لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ من خَلْقِهِ (ح179)(162/1).

³ النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم (14/3) .

⁴ المرجع السابق ، (14/3).

وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" ¹.

ولقد ورد قوله (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ " ².

ولقد اشتهر بين الناس ما جمعه الوليد بن مسلم ³ منذ أكثر من ألف عام، حيث جمع ثمانية وتسعين اسماً بالإضافة إلى لفظ الجلالة وكان اسم الله النور بينها .

وقد يقول بعضهم لِمَ قال "الله نور السموات والأرض" ولم يقل ضياء السموات والأرض وهنا يرد الإمام السهيلي: "أَنَّ الضياء هو المنتشر عن النور والنور هو الأصل" ⁴ وقال الإمام ابن القيم: "فالنور الذي هو من أوصافه قائمٌ به ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين إضافة صفة إلى موصوفها وإضافة مفعول إلى فاعله" ⁵

وهذا يعني أن الله عندما ذكر أنه نور ذكره إما كصفة له كمثل قوله تعالى :- " "

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ^{٦٩} وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ⁶

¹ بخاري ،صحيح البخاري ، كتاب الدعوات، باب قولِ اللَّهِ تَعَالَى (وهو الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) (ح6950)(6/2323). مسلم ، صحيح مسلم كتاب الإيمان،باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (ح769)(1/533).

² البخاري ، صحيح البخاري كتاب الدعوات ، باب لِلَّهِ مِائَةٌ اسْمٍ غَيْرِ وَاحِدَةٍ (167/5).

³ الوليد بن مسلم الأموي بالولاء، الدمشقي، أبو العباس: عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث. له 70 تصنيفاً في الحديث والتاريخ، منها " السنن " و " المغازي ". وكان يقال: من كتب مصنفات الوليد، صلح أن يلي القضاء. توفي بذي المروة، قافلاً من الحج عام (195هـ - 810م). الزركلي ، الأعلام (8/122).

⁴ السهيلي ، عبد الرحمن (ت:581هـ)، الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام،مج7 ، تحقيق :- عبد الرحمن الوكيل ،مكتبة ابن تيمية مصر ،(ط1/1410هـ -1990م)(2/255).

⁵ ابن القيم ، اجتماع الحيوث الإسلامية ، ص11.

⁶ سورة الزمر (آية 69).

أو أن النور مضاف إلى الله جل جلاله كقوله تعالى : "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"

وعندما نقول النور الثابت لله تعالى ليس كنور الشمس والقمر أو غيرهما ، بل هو نور يليق بالله تعالى جل جلاله فالله تعالى : "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" ¹ وهناك من قال إنَّ نوره ليس حقيقياً والله تعالى ليس كمثله شيء فإنه ليس كشيء من الأنوار كما أنَّ ذاته ليست كشيء من الذوات لكنَّ ما ذكره له حجة عليهم فإنه يمكن أن يكون نورا يحجبه عن خلقه كما قال في الحديث حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ².

وقال الإمام ابن تيمية ردّاً على من ينكر أن النور هو اسمٌ من أسماء الله جل جلاله قائلاً: " قلنا الواجب في ذلك أن يجابوا بجواب الشرع فيقال لهم إنَّه نور فإنه الوصف الذي وصف الله به نفسه في كتابه العزيز على جهة ما يوصف الشيء بالصفة التي هي ذاته فقال الله نور السموات والأرض وبهذا الوصف وصفه النبي صلى الله عليه وسلم" ³

وهنا يردُّ تساؤل كيف يكون نور الله ؟

نور الله نوعان حسيٌّ ومعنوي كما بيَّن الإمام السعدي قائلاً: - " الحسي والمعنوي ، وذلك أنَّه تعالى بذاته ، نور ، وحجابه نور ، الذي لو كشفه ، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وبه استتار العرش ، والكرسي ، والشمس ، والقمر والنور ، وبه استتارت الجنة . وكذلك المعنوي ، يرجع إلى الله ، فكتابه نور ، وشرعه نور ، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين ، نور . فلولا نوره تعالى لتراكت الظلمات ، ولهذا ، كل محل ، يفقد نوره فثم الظلمة والحصر" ⁴

¹ سورة الشورى (آية 11).

² ابن تيمية ، دقائق التفسير (482/2).

³ ابن تيمية ، أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، مج2 تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم مطبعة الحكومة - مكة المكرمة (ط1/1392هـ) (28/1).

⁴ السعدي ، تفسير السعدي (568/1).

وهنا وردت لطيفة جميلة عن الإمام الزمخشريّ قائلاً :- " فإن قلت : لم أفرَدَ النور ؟ قلت :
للقصْد إلى الجنس ، كقوله تعالى : (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) أو لأن الظلمات كثيرة ، لأنّه ما من
جنس من أجناس الأجرام إلّا وله ظلّ ، وظلّه هو الظلّمة ، بخلاف النور فإنّه من جنس واحدٍ
وهو النّار"¹

أي للظلمات والشرك عدة مذاهب وعدة وجوه ولكن لإيمان والهدى وجه واحد ألا وهو دين الله
الحق وهو الإسلام ، فطاعة الله تعالى ، والإبتعاد عن كل نواهيّة من قذف المحصنات ، والزنا
وإطلاق البصر وغيرها من الأمور التي يجب على كلّ شخص أن ينتهي عنها وهذا ما يدعوا إليه
الإسلام فطرق الضلال كثيرة ولذلك جمعت كلمة الظلمات وطريق النور واحدٌ ولذلك بقت كلمة
النور مفردة.

بناءً على الآية والأحاديث أنّ الله سمي نفسه نوراً وأنّه نور السموات والأرض ومُنيرها ، وأنّ
حجابه النور².

وهنا يردّ تساؤل لماذا ضرب الله لنوره مثلاً من مخلوقاته ؟

تكون الإجابة فيما قاله الإمام القرطبيّ :- " أنّ هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لنوره ولا يمكن أن
يضرب لنوره المعظم مثلاً تنبيهاً لخلقه إلا ببعض خلقه لأنّ الخلق لقصورهم لا يفهمون إلا
بأنفسهم ومن أنفسهم ولولا ذلك ما عرف الله إلا الله وحده"³

فبعد أن أثبت الله لنفسه النور بين صفة هذا النور ، وكيف أنه يختلف عن باقي الأنوار الأرضية
حيث قال الله تعالى :- ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ
لَمْ تَمْسَسْهُ ﴾ النور: ٣٥ .

¹ الزمخشري ، الكشاف (5/2-6).

² ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (6 386).

³ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (12/264).

وهناك عدة أقوال وردت في تفسير الآية ولكن سأكتفي بذكر الرأي الراجح :

أولاً: - في قوله تعالى : - " مَثَلُ نُورٍ" الهاء تعود الى الله عزوجل ،وهو ما قاله ابن عباس¹ وهذا ما رجحه الإمام ابن القيم وبين سبب ترجيحه لهذا القول : - " والصحيح أنه يعود على الله - عز وجل - والمعنى: مثل نور الله - سبحانه وتعالى - في قلب عبده، وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله - صلى الله عليه وسلم - فهذا مع تضمّن عود الضمير إلى المذكور، وهو وجه الكلام، يتضمن التقادير الثلاثة، وهو أتمّ معنىً ولفظاً، وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده، وواهبه إياه، ويُضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل، ولهذا النور فاعل، وقابل، ومحل، وحامل ومادة، وقد تضمّنت الآية ذكر هذه الأمور كلّها على وجه التفصيل: فالفاعل هو الله تعالى، مُفِيضُ الأنوار، الهادي لنوره مَنْ يَشَاءُ، والقابل العبد المؤمن، والمحل قلبه، والحامل: همته، وعزيمته، وإرادته، والمادة: قوله وعمله"².

ثانياً :- وفي قوله تعالى " كَمَشْكَاهٍ" فقد وردت عدّة أقوال في معناها و أختار الإمام الطبريّ واحداً منها حيث قال :- " :-" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَنْ قال ذلك مَثَ ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به فقال مثلُ نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها وإنما جعل ذلك العمود مشكاةً لأنّه غير نافذ وهو أجوف مفتوح الأعلى فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ "³ وهذا هو الراجح عندي لأنّه يوفق بين الأقوال جميعها، والله أعلم.

ثالثاً: - ولقد ورد في سبب قوله درّيّ عن الكوكب عدة تفسيرات⁴ :-

1. الكوكب الدرّيّ واحد من الكواكب الخمسة العظام، وهي زُحَل والمريخ، والمشتري، والزهرة، وعطارد.

¹ الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير (40/6).

² ابن القيم ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (12/1).

³ الطبري ، جامع البيان ، دار الفكر ،(140/18).

⁴ البغوي ، تفسير البغوي (364- 345/3).

2. شَبَّهه بالكوكب، ولم يشبَّهه بالشَّمس والقمر، لأنَّ الشَّمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف.

رابعاً: - وفي قوله تعالى: " شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ زَيْتُونَةٌ لَّا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ" وورد ثلاثة أقوال¹ والرأي الراجح هو ما قاله الإمام الطَّبْرِيُّ: "وأولى هذه الأقوال قول من قال: إنَّها شرقية غربية، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشَّمس بالعشي دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية"²

وهنا لابد من وقفة عند هذه الشجرة المباركة شجرة الزيتون لماذا خَصَّ الله هذا المثل بشجرة الزيتون

وذكر الزمخشري أنَّ سبعين نبياً وصف شجرة الزيتون بأنها مباركة³ وحسب وصف القرآن لها حيث وصفها القرآن بأنها مباركة هنا وفي سورة " المؤمنون " وإذا كانت سورة " المؤمنون " مكية⁴ وسورة " النور " مدنية، إذا فقد أجمع القرآن المكي والمدني على أنها مباركة.

وتؤكد البحوث العلمية أنَّ هذه الشجرة وقود للإنسان ، فهي طاقة مُثَلَّى للبشر ، ووصف زيت الزيتون بأنه حوامض دهنية غير مشبعة ، تفيد الجسم ، وتمنع الترسبات الدهنية في جدران الشرايين الدموية ، لذلك ينصح الأطباء أن يتناول الإنسان ملعقة من زيت الزيتون كلَّ يوم ليقى ويعالج بها تصلب الشرايين ، وهذا الزيت يطلق البطن ، ويسكن أوجاعه ، ويخرج الدُّود وهو يقوي اللثة والأسنان ، ويُلينُ الجلد.⁵

¹ الطبري ، جامع البيان ، دار الفكر ، (141/18-142).

² المرجع السابق (142/18).

³ الزمخشري ، الكشاف ، (246/3).

⁴ عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص725).

⁵ ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : 751هـ) زاد المعاد في هدي خير العباد مج5 مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت (ط27/ 1415هـ -1994م) (317/4).
الدمشقي محمد بن أبي بن أيوب(ت: 751) الطب النبوي،مج1 تحقيق عبد الغني عبد الخالق دار الفكر- بيروت ،ص244.الناقلي محمد راتب ، موسوعة الأعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الأفق ،دار المكتبي دمشق (ط3/1428هـ-2007م)، ص268-269.السيد،عبد الباسط محمد ،التغذية النبوية (الغذاء بين الداء والدواء)،مكتبة ألفا مصر ،(ط3/1425هـ-2004م) 165-166.

وبعد معرفة الأقوال المختلفة في الآية لابد من تفسير الآية كاملة بناءً على الأقوال الراجحة وهكذا يصبح معنى الآية :-

بين الله في هذا المثل ما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبيّنات حيث شبه نوره بنور مصباح في زجاجة موضوعة في كوة أو طاقة غير نافذة من الخلف، لينبعث النور في اتجاه معين نحو المنزل مثلاً وكل ذلك منير، فكأن زجاج هذا المصباح في إضاءته وصفائه كوكب عظيم من الكواكب السيارة، وزيت المصباح مستخرج من زيت زيتون من شجرة مباركة كثيرة المنافع، زرعت في جبل عال أو صحراء، ليست فقط متعرّضة لنور الشمس وقت شروقها، ولا وقت غروبها، بل هي في مكان وسط، تتعرض للشمس وقت الطلوع ووقت الغروب، ومن أول النهار إلى آخره .

ولقد وصف النور كأنه كوكب دري - أي كأن الكوكب أكثر ضوءاً من الدر لكنه يفضل الكواكب بضيائه، كما يفضل الدرّ، سائر الحب .

قال ابن عباس :- " هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإن مسته النار زاد ضوءه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم زاده هدى على هدى ونوراً على نور كقول إبراهيم من قبل أن تجيئه المعرفة : (هذا ربي) من قبل أن يخبره أحد أن له ربا فلما أخبره الله أنه ربه زاد هدى فقال له ربه : (أسلم قال أسلمت لرب العالمين) " ¹

وأيضاً يدخل ضمن النور القرآن الكريم فهو كلام الله وكل ما يصدر عن النور فهو نور فكما أنّ هذا المصباح يستضاء به ولا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به ولا ينقص .

فإنّ القرآن نور من الله تعالى لخلق مع ما أقام لهم من الدلائل والإعلام قبل نزول القرآن فزادوا بذلك نوراً على نور ثم أخبر أنّ هذا النور المذكور عزيز وأنه لا يناله إلا من أراد الله هداه فقال :- " يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس " ، وهنا يظهر أنّ الجزاء من

¹ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (264/12).

جنس العمل فمن غضّ بصره عما حرم الله عز و جل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه فإن القلب كالمرآة والهوى كالصدأ فيها فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صور الحقائق كما هي عليه وإذا صدئت لم تتطبع فيها صور المعلومات فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون.¹

ويدل اجتماع نور المصباح وحسن الزجاج وطيب الزيت على كمال النور الممثل به ولقد قال نور على نور وذلك لأنّ هناك نوران:- نور النار ونور الزيت، حين اجتماع أضواء، ولا يضيء واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماع، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه.²

الفوائد المستخرجة من هذا المثل (الآية):-

1. بهذا المثل أثبت الله لنفسه صفة النور وأنّ النور هو اسم من أسمائه ، وبما أن الله نور فكل ما يصدر عنه نور فالقرآن كلام الله وهو نور من الله للمؤمنين الذين يتبعونه ويطبقونه في حياتهم
2. أنّ الله أخبر عن نفسه في هذا المثل ثلاثة أمور مهمة :-

أولاً :- أنّه ربّ السموات والأرض وما فيهن .

ثانياً :- أنّه قيّم السموات والأرض وما فيهن .

¹ انظر: ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مج2، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت

(ط)1395/2هـ-1975م) (48/1). الفرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (12/264).

² انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (292/3). ابن جزي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ) تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل)، مج2 بحقيق :- محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية بيروت (2/264).

ثالثاً :- أنه نور السموات والأرض فهو منورهما، فبقدرته أنارت أضواؤهما، واستقامت أمورهما، وقامت مصنوعاتها، فهو مصدر النور، وخالق النور، ومأحي الظلام، ومدبر الكون بنظام دقيق، وهذا هو النور الحسي وتقريباً لأذهان الناس وتصوراتهم المحدودة.

3. وجوب تقدير نعمة الله، وتدبر آياته في قرآنه، ومعرفة مدى فضله في تنوير الكون سمائه وأرضه، ويجب على الناس شكر المنعم وعبادته وطاعته في كل ما أمر به ونهى عنه، لأن القصد من التنوير: هو هداية أهل السموات والأرض، تلك الهداية التي بلغت الغاية في الظهور والجلال. ■

4. الإنسان كالسراج يحتاج الى زيت ليضيء ، وكذلك الإنسان يحتاج الى القرآن والدين لكي يعيش الحياة التي خلقه الله من أجلها ، متوافقاً مع فطرته غير متخبط ولا تتلاطم في قلبه أمواج الشبه الباطلة، والخيالات الفاسدة .

5. ولقد أستخدم الله سبحانه في هذا المثل طريقتان للتشبيه، وذلك دلالة على أهمية هذا المثل الطريقة الأولى :- طريقة التشبيه المفصل، والثانية :- طريقة التشبيه المركب.

ولقد وضَّح الإمام ابن القيم هاتين الطريقتين قائلاً :- "وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقرُّ به عيون أهله، وتبتهج به قلوبهم، وفي التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

أحدهما: طريقة التشبيه المركب، وهي أقرب مأخذاً، وأسلم من التكلّف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرّضٍ لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبّه، ومقابلته بجزء من المشبّه به، وعلى هذا عامّة أمثال القرآن الكريم، فتأمل صفة مشكاة، وهي كوة لا تنفذ لتكون أجمع للضوء، وقد وضع فيها مصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرّي في صفائها وحسنها، ومادته من أصفى الأدهان وأتمها وقوداً من زيت شجرة {لا شَرَقِيَّةٍ وَلَا غَرَبِيَّةٍ}: بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل تصيبها الشمس أعدل إصابة، فمن شدّة

إضاءة زيتها وصفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به.

والطريقة الثانية: طريقة التشبيه المفصل، فقيل: المشكاة: صدر المؤمن، والزجاجة قلبه، وشبّه قلبه بالزجاجة لرققتها، وصفائها، وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن، فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة: فهو يرحم، ويحسن، ويتحنن، ويشفق على الخلق برأفته، وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تعالى، ويتصلّب في ذات الله تعالى، ويغلظ على أعداء الله تعالى، ويقوم بالحق لله تعالى، وقد جعل الله القلوب كالآنية، والمصباح: هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى، ودين الحق، وهي مادة المصباح، التي يتقد منها، والنور على النور: نور الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر، فيزداد العبد نوراً على نور؛ ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه من الأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه، ونطق به، فينطق عنده شاهد العقل، والشرع، والفطرة، والوحي، فيريه عقله، وفطرته، وذوقه أن الذي جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة، بل يتصادقان ويتوافقان، فهذا علامة النور على النور عكس من تلاطمت في قلبه أمواج الشبه الباطلة، والخيالات الفاسدة¹.

6. من السنة الدعاء وطلب النور والهداية من الله حيث ورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله: - "اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً واجعل من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً واجعل من فوقني نوراً ومن تحتي نوراً اللهم أعطني نوراً"²

7. أهمية العلم والتعلم وخاصة العلم الشرعي "القرآن والسنة" والتي هي وحي الله "نور الله في الأرض" حيث شبه الله تعالى هذا العلم الواصل للقلب بالزيت الذي ينيّر القلب، وجعل العلم

¹ ابن القيم، إجماع الجيوش الإسلامية (ص13-14).

² مسلم، صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقِيَامِهِ (ح763) (530/1).

السبب للإيمان والهداية ، وكما النار تزيد وتخبوا كذلك الإيمان الذي يحتاج الى العلم ليزيد من قوته وإلا سيضعف ويختفي لذا نجد ابن القيم يقول :- "إنَّ ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة تحمله وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح يقوم بها ويدوم بدوامها فإذا ذهبت مادة الإيمان طفيء كما تطفأ النار بفراغ مادته"¹ .

8. أن القرآن جاء تهديباً وتعليماً للناس لذا تُعتبرُ سورة النُّور من أكثر السور التي أحتوت على قوانين اجتماعية ونظماً تربوية تملأ حياة من التزمها نوراً وسعادة، لترققه وتطهره وترتفع به إلى آفاق النور و بهذا التَّعليم وهذا التَّهذيب وهذا التَّوجيه عالج الله مشاكل الكيان البشري.

9. ولقد بين الله أنَّ هذا النُّور "نور الإيمان" يزيد بالطَّاعة لذا بعدما أنهى المثل قال الله تعالى في الآية التي تليها :- " ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأَعْدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ (النور: ٣٦) " حيث خصص الله نور العلم والإيمان بكونه في المساجد، أي أن نور الإيمان يزيد بالطاعة وخاصة الفرائض ، فالنور يشرق أكثر في بيوت الله عند القيام بالطاعات .

10- في هذا المثل رسالة الى كل من يتصدى الى التربية والتعليم ، أنَّ كمال الإنسانية وصلاحها لا يكون إلا بالعلم الشرعيّ من "القرآن والسنة" وأنه لا بد من تركيز الجهود على نشر العلم الشرعي الذي هو نورٌ للناس أجمعين .

وفي نهاية هذا المبحث يظهر أنَّ من الاعتقاد الصحيح الموافق لعقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ تعتقد أنَّ الله تعالى نور، وأنَّ النُّور اسمٌ من أسمائه الحسنی وصفة من صفاته تعالى العليا، وهي صفة ذات لازمة له تعالى على ما يليق به، فلم يزل ولا يزال سبحانه وتعالى متصفاً بها.

¹ ابن القيم ، إجتماع الجيوش الإسلامية (ص33).

المبحث الثالث

بشريّة سيدنا عيسى عليه السلام دليل وحدانية الله ونفي الولد عنه

لقد بعث الله سبحانه أنبيائه ورسله لإقرار عقيدة الوحدانية ونفي الشرك عنه سبحانه، وفي هذا يقول الله سبحانه: "﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾" ¹.

وكان ضلال كثير من الأمم في نسبة الولد الى الله سبحانه الغني عن خلقه، فقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح بن الله، وقال مشركو العرب: الملائكة بنات الله ولهذا كثر في النصوص تنزيه الله عن نسبة الولد اليه، وهنا نجد أنّ نسبة الولد إلى الله سبحانه، وهي بلا شك وليدة سذاجة فكرية، قائمة على أساس مقارنة كل شيء بالوجود البشري المحدود بوجوده سبحانه

فالإنسان يحتاج إلى الولد لأسباب عديدة²:

1. فهو من جانب ذو عمر محدود يحتاج إلى توليد المثل لاستمرار نسله.
2. هو ذو قوة محدودة تضعف بالتدريج، ويحتاج لذلك - وخاصة في فترة الشيخوخة - إلى من يساعده في أعماله.
3. وهو أيضاً ينطوي على عواطف وحبّ للأنيس، وذلك يتطلب وجود فرد أنيس في حياة الإنسان، والولد يلبي هذه الحاجة.
4. الولد يستلزم أن يكون الوالد جسماً والله منزّه عن ذلك.

¹ سورة الأنبياء (آية 25).

² ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن دار الكتب العلمية - بيروت (1417هـ - 1997م)، (374-369/7). السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (763/1). ابن عاشور، محمد بن الطاهر التحرير والتنوير، سحنون للنشر والتوزيع - تونس (1997م) (685-684/1). بتصرف.

5. أن في القدرة على إنجاب الولد دلالة النقص ، فهذا كمال في حق المخلوق، ولكن ليس كمالاً مطلقاً، إذ فيه نقص من وجوه وهو أن الوالد محتاج إلى ولده ولا يستغني عنه ولذلك قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾¹.

واضح أن كل هذه الأمور لا يمكن أن تجد لها قبولاً بشأن الله سبحانه، وهو خالق الوجود والقادر على كل شيء فيه، وهو الأزلي الأبدي وإن ادّعاء الولد لله هو نتيجة للخلل في تصور أسماء الله الحسنى، و صفات الله العليا.

ولقد بين الله تعالى أنه منزّة عن الولد بعدة آيات قرآنية وأهمها :-

قوله تعالى :- " ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾²

وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾³

وقال الله تعالى :- " ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾⁴

وقال الله تعالى :- " ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعُ فِي

¹ سورة يونس (آية 68).

² سورة الإخلاص (1-4).

³ سورة مريم (الآيات 88-91).

⁴ سورة الكهف (الآيات 4-5).

الَّذِينَ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ¹ فتوعد من كذب عليه بدعوى الولد بعدم الفلاح في الدارين ، وذلك باستدراجهم
في الدنيا .

إن نفي الولد عن الله أساس في معنى أسماء الله الحسنى كما أن نفي الولد عن الله أيضاً أساس
في معنى صفاته العلا سبحانه .

وهذا ما أشار اليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث القدسي حيث قال : "قال الله
تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فيزعم
أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو
ولداً"²

وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أيضاً: "لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم يجعلون
له ولداً، ويشركون به وهو يرزقهم ويعافيهم"³.

ولقد كان سيدنا عيسى عليه السلام من أكثر من اختلف في نسبته الى الله ، فقالوا فيه عدّة أقوال
أوردها ابن كثير في تفسيره :-

- " فهم يحتجون في قولهم: "هو الله" بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب،
ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً وذلك كله بأمر الله، وليجعله آية للناس"⁴
- "ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله، يقولون: لم يكن له أب يُعَلَّم، وقد تكلم في المهد بشيء لم
يصنعه أحد من بني آدم قبله"⁵.

¹ سورة يونس (الآيات 68-70)

² البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ (ح4212/4)110.

³ مسلم ، صحيح مسلم ، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ بَاب لَأَ أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَدَى مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
(ح2804/4)2160.

⁴ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (369/1).

⁵ المرجع السابق (369/1).

• " ويحتجون في قولهم بأنه ثالث ثلاثة، بقول الله تعالى: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا؛ فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ وقضيتُ وأمرتُ وخلقْتُ؛ ولكنه هو وعيسى ومريم وجبريل عليه السلام" ¹ .

حيث قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ²

فجاء ردُّ الله تعالى لكلِّ هذه الافتراءات بأنَّ ضرب المثل على بشريَّة سيِّدنا عيسى عليه السلام مع المقارنة بينه وبين سيِّدنا آدم عليه السلام حيث بيَّن الله تعالى في كتابه العزيز أنَّ آدم ما كان له أب ولا أم ولم يلزم أن يكون ابناً لله تعالى ، فكذا القول في عيسى عليه السلام ، هذا حاصل الكلام ، وأيضاً إذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم ؟ وإن كان آدم بشرا فلم لا يكون عيسى عليه السلام بشراً . والقرآن في هذا إنَّما ينظر لمنهج علميٍّ سديد، ويضع قاعدة علمية لا يختلف عليها أحد، وهي: طرح الدعاوي القائمة على الظنِّ والخرص. وبذلك هدم هذه الدعاوي لأنها غير مبنية على علمٍ وبقين.

حيث قال الله تعالى :- ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ³

وقبل أن نبدأ تفسير المثل نرى السُّورة التي ورد فيها المثل فلقد ورد المثل في سورة آل عمران وهي سورة مدنية⁴ حيث تظهر السورة الصراع بين الجماعة المسلمة وعقيدتها وبين أهل الكتاب والمشركين وعقائدهم ومجادلتهم في المواضع التي يظهر فيها الاختلاف بين

¹ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (369/1).

² سورة التوبة (الآيات 30-31).

³ سورة آل عمران (آية 59).

⁴ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1/4).

عقائدهم المنحرفة والعقيدة الجديدة القائمة على التوحيد الخالص الناصع وبخاصة فيما يتعلق بصفة عيسى عليه السلام.¹

ولقد وردت عدة روايات عند المفسرين² أسباب نزول هذه الآيات من أول سورة آل عمران إلى الآية ثمانين .

وكُلُّها تدور حول قدوم وفدِ نجرانِ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألونه عن عيسى بن مريم، فنزل فيهم فاتحةُ آلِ عمرانِ إلى رأسِ الثمانين منها³، وقد سموا هذه الآيات وما بعدها بأياتِ المباهلة⁴ ولكن بعد البحث لم أجد سوى رواية صحيحة⁵ تتعلق بالموضوع وهي ما أشار إليه الإمام البخاري في حديثِ قِصَّةِ أَهْلِ نَجْرَانَ حيث قال : -"جاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبًا نَجْرَانَ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يَلَاعِنَاهُ قَالَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعِنَا لَا نَفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا قَالَا إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا فَقَالَ لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقًّا أَمِينًا فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ فُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ"⁶

ولقد علّق الإمام ابن حجر العسقلاني على شرح الحديث قائلاً : -" قوله:(يريدان أن يلاعناه) أي يباهلاه...وفي قصة أهل نجران من الفوائد...وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة. وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي⁷، ووقع ذلك لجماعة من العلماء. ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة. ووقع لي ذلك مع

¹ قطب ، في ظلال القرآن (708/1).

² الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الفكر ، (295/3). البغوي ، تفسير البغوي ، (309/1). ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (446/1). الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير (398/1).

³ ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد (631/3).

⁴ المباهلة : الملاعة ، وهي أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء ويقولوا : لعنة الله على الظالم منا . ابن منظور ، لسان العرب (72/11).

⁵ فكل الروايات الواردة في الموضوع أما فيها إرسال أضعف وهذا ما أشار إليه ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري عندما شرح الحديث . ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ح4119)(94/8).

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران ، (ح4119)(1592/4).

⁷ الأوزاعي : -هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهدي، وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبك عام 157هـ ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها عام 707هـ ، الزركلي ، الأعلام (320/3).

شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقد بعدها غير شهرين¹ وتكون المباهلة في أمور الدين وليس الدنيا.

وعندما نتتبع سورة آل عمران نجد أنّ معظم السورة دارت حول بني إسرائيل وأنبيائهم خاصة آل عمران وسيدنا عيسى عليه السلام وكان المحور الرئيسي حول حوار أهل الكتاب لتحديد عدد من ركائز العقيدة الإسلامية وتشريعاتها، حيث تتحدث السورة عن السيدة مريم وكيف أنجبت سيدنا عيسى وعن رفع سيدنا عيسى وأيضاً عن المقارنة بينه وبين سيدنا آدم عليه السلام ومدار ذلك كله إثبات وحدانية الله وأنّ سيدنا عيسى ما هو إلا بشر مثل باقي البشر، إلا أن الله ميزه بطريقة خلقه كما ميز سيدنا آدم عليه السلام .

يخبر تعالى محتجاً على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكاً لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلاً أن يكون حجة، لأنّ خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبعاً لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحداً لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فأدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لأدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأخرى، فإن صحّ ادّعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعائها في آدم من باب أولى وأخرى، وهنا نجد أنّ الله في المثل أستخدم قياس الأولى للاستدلال على بشرية سيدنا عيسى عليه السلام ، أي كنتم قد عجبتم من أنّ عيسى خلق بدون أب فكان ينبغي عليكم أن تعجبوا أكثر من خلق آدم؛ لأنه جاء بلا أب وبلا أم وإذا كنتم اتخذتم عيسى إلهاً؛ لأنه جاء بلا أب فالقياس إذن يقتضي أن تكون الفتنة في آدم لا في عيسى.²

فإنه تعالى شاء أن يعلم خلقه عن طلاقة قدرته في أنه لا يخلق بشكل مخصوص إنّما يخلق كما يشاء سبحانه من أب وأم أو من دون أب ومن دون أم ويخلق من أب فقط أو من أم

¹ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ح4119)(8/94-95).

² الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الفكر، (3/295). السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1/133). ابن كثير ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (1/368). بتصرف

فقط، وهو يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء عليهم السلام فلا تكن يا محمد من الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك .

وهنا يتضح أن مسألة الإنجاب والخلق لا تخضع للأسباب إنما لإرادة المسبب سبحانه فإذا أراد قال للشيء "كُنْ فيكون" .

وهنا نجد أن الله تعالى بعدما ختم هذه الآية أتبعها بقوله : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾¹

قال الإمام السعدي معلقاً على هذه الآية: - " وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهي أن ما قامت الأدلة على أنه حقٌ وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورده عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدر فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل"²

ونجد أن الله أكد على بشرية سيدنا عيسى عليه السلام في موضع آخر حيث قال الله تعالى :-
﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾³

ولقد نزلت هذه الآيات في معرض سورة الزخرف وهي سورة مكية⁴ و عالجت السورة دعوتين مهمتين الأولى دعوى أن الملائكة بنات الله والثانية أن عيسى ابن الله .

¹ سورة آل عمران (آية 60).

² السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1/133).

³ سورة الزخرف (الآيات 57-60).

⁴ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (4/123).

حيث قال الله تعالى :- ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ١

ويذكر ابن كثير عدّه أخطاء وقع بها المشركون وهي² :-

الأول: جعلهم لله ولدا، تعالى وتقدّس وتنزّه عن ذلك علوا كبيرا.

الثاني: دعواهم أنّهم اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كلّه، بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من الله عز وجل، بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء، والخبط في الجاهلية الجهلاء.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرأ .

ولقد تولى الإمام السّعدي الردّ على هذه الأخطاء وبيان بطلانها من عدّه وجوه³ :-

1. أن الخلق كلّهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.
2. أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن عن خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.
3. أنهم يزعمون أنّ الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أنّ البنات أدون الصنفين لديهم ، فكيف يكون لله البنات، ويصطفاهم بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

¹ سورة الزخرف (الآيات 17-20).

² ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (126/4).

³ السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (763/1).

4. أن الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين لديهم، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراحتهم لذلك " إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا " من كراحتة وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

5. أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقتها وبيانها، ولهذا قال تعالى: أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَيَةِ " أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ " وَهُوَ فِي الْخِصَامِ " أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، " غَيْرُ مُبِينٍ " أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبون لله تعالى؟

6. أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثًا، فتجروا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

7. أن الله ردَّ عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

ولقد أحتج المشركون بعبادتهم للملائكة بمشيئة الله تعالى حيث قالوا: - " وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ " وهي حجة باطلة في نفسها، عفا وشرعا.

فكلُّ عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلا ولهذا قال هنا: " مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ " أي: يتخرصون تخرصا لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، قال الله تعالى: - " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ

عَبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿١﴾ وقال الله تعالى: -
﴿ وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾³²

ولقد رد عليهم الله في موضع آخر بأن قال - ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ
الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾⁴

أنَّ هذا المثل من أمثال السوء التي نسبها المشركون الى الله تعالى وهنا ينفي الله عن نفسه صفة
السوء وهي الاحتياج إلى الولد، وكرهية الإناث، ويثبت لنفسه الصفة العليا، وهي التوحيد وأنه
لا إله إلا هو، وأنه الغني عن العالمين والمنتزعة عن صفات المخلوقين.⁵

أما سبب نزول الآيات في سيدنا عيسى فهو إحتجاج المشركين أن الملائكة هي بنات الله وأنهم
يعبدونها بقولهم "أكل من يعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة و
اليهود تعبد عزيزا و النصارى تعبد عيسى" حيث أعجب المشركون بهذا القول وأيضا أرادوا
أن يظهرها أنهم أهدى من النصارى ؛ لأنهم عبدوا آدمياً وهم عبدوا الملائكة .

ولقد أورد أكثر من مفسر⁶ هذه الرواية و أوردتها الإمام الألباني في كتابة صحيح السيرة
النبوية⁷ ولقد بحثت في سند لهذه الرواية فوجدتها لدى الحاكم⁸ ولم أجد غير هذه الرواية .

¹ سورة النحل (آية 36).

² سورة الزخرف (آية 45).

³ انظر: السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (763/1). ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (123/4).

⁴ سورة النحل (آية 60).

⁵ البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (ت:- 516 هـ) معالم التنزيل، مج8، تحقيق :- محمد عبد الله النمر - عثمان

جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر والتوزيع (ط4/1417هـ- 1997 م) (25/5). بتصرف

⁶ الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، (976/2-977). ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (132/4). السيوطي ،

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت:-911هـ) لباب النقول في أسباب النزول دار إحياء العلوم

بيروت (148/1). الزمخشري، الكشاف (262/4).

⁷ الألباني محمد ناصر الدين صحيح السيرة النبوية ط1 المكتبة الإسلامية - عمان الأردن (ص197).

⁸ الحاكم ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله (ت:-405هـ) المستدرک علی الصحیحین تحقیق : مصطفى عبد القادر عطا ،

دار الكتب العلمية - بيروت (ط1/1411هـ - 1990م) (416/2). قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم

يخرجاه قال الذهبي في التلخيص : صحيح.

فلما ضرب عيسى بن مريم مثلاً وحاج المشركون الرسول به ،إذا يرتفع لهم جلبه وضجيج فرحا وجدلا، وما هذا المثل إلا للجدل والغلبة في القول لا لإظهار الحق.

ولقد بين الله وصفاً عيسى أنه عبدٌ مخلوقٌ وعبادته كفرٌ حيث نسوا ان عيسى لم يعبد برضى منه ولا عن إرادة ولا له في ذلك ذنب ثم بين الله تعالى ان عيسى عبدٌ من عبيده الذين أنعم عليهم " إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ " وما عيسى بن مريم إلا عبدٌ أنعمنا عليه بالنبوة وقد جعلناه آيةً (مثلاً لبني اسرائيل) بأن خلقناه من غير أبٍ كمثل آدم خلقه الله من تراب ولو نشاء لجعلنا في الأرض عجائب كأمر عيسى كأن نجعل لبعضكم أولاداً ملائكة يخلفونهم كما خلقنا عيسى من غير اب لو نشاء لأسكننا الأرض الملائكة وليس في إسكاننا إياهم السماء شرف حتى يعبدوا أو يقال لهم بنات الله ، وهنا بين الله تعالى أن مذهب النصارى شرك بالله ، ومذهب المشركين (قريش) شرك مثله ، وما تتصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل.¹

وفي نهاية الآيات قال الله تعالى :- ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمَّزَّتْ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ ² " ولقد ورد في الهاء التي في قوله: (وَإِنَّهُ) عدة أقوال ³ :-

القول الأول :- أنها جاءت دليل خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة. وهذا كما ورد عن أبي هريرة وابن عباس ومجاهد وغيرهم .

القول الثاني :- المراد بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يعني هو آخر الأنبياء فقد تميزت الساعة به نوعاً وقدرها من التمييز وبقي التحديد التام الذي انفرد الله بعلمه .

القول الثالث :- أنها إشارة إلى القرآن أي جاء القرآن يعلمكم بها وبأهوالها وصفاتها.

¹ انظر: ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (61/5).الرازي ، التفسير الكبير ،(190/27). الألويسي روح المعاني (92/ 25).القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (103/16-105). الزمخشري، الكشاف (263/4).

² سورة الزخرف (آية 61).

³ ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (61/5-62) . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (133/4).الشوكاني فتح القدير (562/4).

وقال الإمام الشنقيطي مؤكداً على القول الأول :- " وإطلاق علم الساعة على نفس عيسى ، جار على أمرين ، كلاهما أسلوب عربي معروف .

أحدهما :أن نزول عيسى المذكور ، لما كان علامة لقربها ، كانت تلك العلامة ، سبباً لعلم قربها فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب وإطلاق المسبب وإرادة السبب ، أسلوب عربي معروف في القرآن ، وفي كلام العرب من الأمرين...

ثانيهما :- أن غاية ما في ذلك ، أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير ، وأنه لذو علم للساعة أي وإنه لصاحب إعلام الناس ، بقرب مجيئها ، لكونه علامة لذلك ، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كثير في القرآن ، وفي كلام العرب ...¹

وهذا هو الرأي الراجح حيث أكد ذلك الإمام ابن كثير قائلاً :- " وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً"².

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم - صلى الله عليه وسلم - حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"³

وفي نفس الوقت نستطيع أن نقول الأقوال الثلاثة لا تعارض بينهما ، بل نستطيع الجمع بينها وذلك أن الرسول هو آخر الأنبياء فقد تميزت الساعة به نوعاً وقدرًا من التمييز وبقي التحديد التام الذي انفرد الله بعلمه وأن القرآن جاء يعلمنا بها وبأهوالها وصفاتها فكان من علامتها خروج عيسى بن مريم.

وفي هذا السياق نستنتج مجموعة من العقائد والتي جاءت الأمثال لترسيخها :-

¹ الشنقيطي ، أضواء البيان (128/7-129).

² ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (133/4).

³ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، 50 باب نُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام (ح3264)(150/3).

1. تنزية الله عن الولد والشريك ، وأن سيدنا عيسى عليه السلام ليس ابن الله والملائكة ليست بنات الله

2. إثبات صفات الكمال لله والولد صفة نقص تدل على الحاجة وهذا لا يليق بالله تعالى جل جلاله
لذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾¹ وقال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ﴾²

3. إثبات عبودية سيدنا عيسى عليه السلام وأنه مخلوق كباقي مخلوقات الله تعالى .

4. إبطال جميع عقائد النصرانية في عيسى عليه السلام وإثبات أنه بشر من طين مثله مثل سيدنا آدم عليه السلام وإن كان لا بد من إدعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعاهما في آدم من باب أولى وأحرى وكلاهما باطل.

5. إثبات نبوة عيسى عليه السلام وفيه رد على اليهود الذين رفضوا نبوته وهذا نستنتجه من قوله تعالى : -"إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ" فَإِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَشْبَهُ سَيِّدَنَا آدَمَ فِي بَشْرِيَّتِهِ وَعِبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ وَأَيْضًا نُبُوَّتِهِ فَكَمَا تَوَّامُونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ بِأَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ ، يَجِبُ أَنْ تَقْرُوا بِأَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَيْضًا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ .

6. إثبات أن الرسل جميعا سواسيه ولا يجوز أن نفرق بين نبي وآخر في الإيمان بهم .

7. إثبات أن خلق سيدنا عيسى عليه السلام لم يكن مثل باقي البشر بل إن في خلقه إعجاز كخلق سيدنا آدم عليه السلام .

8. إثبات قدرة الله تعالى على الخلق وأن مسألة الإنجاب والخلق لا تخضع للأسباب إنما لإرادة المسبب سبحانه فإذا أراد قال للشيء "كُنْ فَيَكُونُ" .

¹ سورة مريم (آية 92)

² سورة مريم (35).

9. إثبات القاعدة القائلة :- إنَّ ما قامت الأدلة على أنه حقٌّ وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنَّه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورده عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدر فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل¹

10. إن الله من أجل التأكيد على بشرية سيدنا عيسى عليه السلام أستخدم أسلوبين في المثل حيث بين أنه كآدم عليه السلام في بشريته واستخدم قوله " فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ " ففي استخدامه هذا الأسلوب في الكلام فائدتين ذكرهما الإمام الألويسي :- " إحداهما : أنه صلى الله عليه وسلم إذا سمع مثل هذا الخطاب تحركت منه الأريحية فيزداد في الثبات على اليقين نوراً على نور .

وثانيتها : أنَّ السامع يتتبع بهذا الخطاب على أمر عظيم فينزع وينزجر عما يورث الامتراء لأنه صلى الله عليه وسلم مع جلالته التي لا تصل إليها الأمانى إذا خوطب بمثله فما يظن بغيره ففي ذلك زيادة ثبات له صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولطفه بغيره وجوز أن يكون خطاباً لكل من يقف عليه ويصلح للخطاب.²

11. أنَّ مَنْ عَظَّمَ مَخْلُوقاً فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا، بِحَيْثُ أُخْرِجَهُ عَنِ مَنْزِلَةِ الْعِبُودِيَةِ الْمُحَضَّةِ، فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَعَبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، وَذَلِكَ مُخَالَفٌ لِجَمِيعِ دَعَوَاتِ الرَّسُولِ.

12. أنَّ عِيسَى بَوْلادَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَبٍ لِدَلِيلٍ عَلَى قِيَامِ السَّاعَةِ " فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا " فكما خلقه من غير أب قادر على أن يعيد خلقنا يوم القيامة ومحاسبتنا فهو القادر على كل شيء .

13. إثبات أنَّ سيِّدنا عيسى لم يمِت بل مازال حيا وسيخرج آخر الزمان قبل قيام الساعة.

14. إنَّ الملائكة هم عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية طائعون قولاً وفعلاً.

¹ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (133/1).

² الألويسي ،روح المعاني (187/3).

15.المشركون والنصارى ليس لديهم حجة ولا دليل على ما يدعون ويزعمون ، بل كل دعواهم قائمة على الظن والهوى والتقليد .

16.التأكيد على قاعدة علمية وهي :- طرح دعاوي القائمة على الظن والخرص. وبذلك فهذه الدعوى لأنها غير مبنية على علم ويقين.

17.إثبات صفة العبودية للملائكة فهم عباد كسائر العباد، ولا مقتضى لتخصيصهم بصفة غير صفة العبودية في علاقتهم بربهم وخالقهم، وكل خلق الله عباد له .

18. وجوب التأدب مع الله عز وجل عند الحديث عنه .

19.أن القرآن الكريم فيه أخبار الساعة وأحوالها وصفاتها.

20.أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام هو آخر الأنبياء فقد تميزت الساعة به نوعاً وقدراً من التمييز وبقي التحديد التام الذي انفرد الله بعلمه .

وهنا يظهر لنا أن الله تعالى في هذا المثل قام بالتشنيع بأهل هذه الفرية ، وتقبيح مقالتهم وبيان

أن سيدنا عيسى والملائكة ما هم إلا عباد له ومن يقول خلاف ذلك فهو كافر وبين ذلك على

لسان سيدنا عيسى عليه السلام حيث قال الله تعالى:- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ

مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ ۗ ﴾¹ وقال الله تعالى : - ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ

مَكْرُومٌ ﴿٣٦﴾².

وفي نهاية هذا المبحث نوقن أن الله واحدٌ أحدٌ وأنه لا شريك له ولا ولد يستحيل أن يكون الله

ولد فهي دعوة بلا حجة ولا دليل . وإنما يتبعون الظن والتقليد الأعمى للأباء والأهواء. قال

¹ سورة المائدة (آية 72).

² سورة الأنبياء(آية 26).

الله تعالى" ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ (٨١) ¹ . لو أراد الله أن يتخذ ولدا

لاصطفى من يشاء، وما أوكل ذلك إلى هؤلاء الجاحدين أن يدعوا له ولدا .

وفي نهاية المبحث نقول بقول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ (١١١) ²

¹ سورة الزخرف (آية 81).

² سورة الأسراء (آية 111).

الفصل الرابع

الأمثال التي أبطلت آلهة المشركين.

لقد خلق الله الكون وكل ما فيه من أشياء وأحياء ودبر أموره كلها في آن واحد ، وهو وحده المحيط بكل ما في الكون وما يقع فيه ويعلم ما هو كائن وما يحدث في كل لحظة سواء ما يراه الناس ويسمعونه أو ما هو غائب عنهم لا يرونه ولا يسمعونه. بل ويعلم ما في باطن الأرض أو ظلمات البحار ويعلم ما في نفس الإنسان وفكره قبل التعبير عن ذلك بالقول والعمل قال تعالى : -" أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"¹

فالله تعالى خلق الإنسان واستخلفه لعمارة الأرض وسخر له ما في الكون بشرط أن يطيع الله تعالى ويعبده ويلتزم بالشرع الذي ينزله إليه ، وبالرغم من نعم الله الكثيرة على الإنسان إلا أنه أشرك مع الله فضرب الله للإنسان الأمثال من أضعف مخلوقاته على الأرض .

وقد جاء هذا الفصل على ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول الأمثال الدالة على عجز آلهة المشركين عن الخلق

المبحث الثاني الأمثال الدالة على عجز آلهة المشركين عن حماية نفسها

المبحث الثالث الأمثال الدالة على إثبات قدرة الله

¹سورة الملك (آية14).

المبحث الأول

الأمثال الدالة على عجز آلهة المشركين عن الخلق

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم المثل على عجز الآلهة التي تعبد من دونه عن الخلق بالذباب ، وأوضح أنّ هذه الآلهة التي يعبدها المشركون لن تستطيع خلق ذبابة فلماذا خص الله هذا المثل بالذباب ؟

وقبل البدء بتفسير وبيان المثل لابد أن ننظر الى السورة التي ضرب فيها هل هي مكية أم مدنية، وهي سورة الحج، والذي يغلب عليها موضوعات السور المكية . وجو السور المكية . فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة وإثبات البعث وإنكار الشرك .

فمشاهد القيامة وآيات الله الماثلة في صفحات الكون . . بارزة في السورة وإلى جوارها الموضوعات المدنية من الإذن بالقتال وحماية الشعائر والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد العدوان والأمر بالجهاد في سبيل الله والله لم يأمر بالقتال إلا عند قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، وذلك لردّ أذى المشركين عن المسلمين والدفاع عن حرية العقيدة وحرية العبادة للمؤمنين¹ .

إذا فسورة الحج سورة مدنية ومكية كما قال المفسرون² ويؤكد الإمام القرطبي ذلك ويقول :-
لأن الآيات تقتضي ذلك لأن { يا أيها الناس } مكي و { يا أيها الذين آمنوا } مدني³
ولقد حوت سورة الحج عدة عقائد أرادت التركيز عليها ألا وهي :-

1. الإيمان بالله رباً وحده لا شريك له ولا صاحبة ولا ولداً .
2. الإيمان بأنّ الله تعالى يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله وخاصة القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية.

¹ سيد قطب ، في ظلال القرآن (2406/4). بتصرف

² القرطبي ، الجامع لإحكام القرآن (1/12). الألويسي ، روح المعاني (110/17). سيد قطب ، في ظلال القرآن (2406/4).

³ القرطبي ، الجامع لإحكام القرآن (1/12)

3. تعظيم شعائر الله وضرورة تقواه والإعتصام بحبله.

4. التصديق بحقيقة البعث وحميته وضرورته وبالْحَسَابِ والجزاء وبالجنة والنار.

5. التسليم بعدم جدوى الجدل في الأمور الغيبية غيبة مطلقة.

ولقد بدأ الله التمهيد للمثل بأن قال في الآية التي تسبقه " ﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارِ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ " 1

وصف الله القرآن في هذه الآيات بأنَّ فيه آيات بينات وذلك لأنَّ فيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام بين الحق والباطل لذلك أيها الناس استمعوا لما فيه من أمثال ومواعظ لتنجوا من النار ثم بعد ذلك قام الله بذكر المثل ليبين الحق ويزيل الباطل ويبين ما ينتج عن هذا البيان من أحكام .

قال الله عز وجل :- " ﴿ يَتَأْتِيهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فٱسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ ٱجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ ٱلطَّالِبِ وَٱلْمَطْلُوبِ ﴾ " 2

واختلف المفسرون في معنى قوله: (ضَعْفَ الطَّالِبِ وَٱلْمَطْلُوبِ) في الآية على قولين 3 :-

الطالب :- هو الصنم أو العابد

المطلوب :- هو الذباب أو الصنم .

¹ سورة الحج (آية 72).

² سورة الحج (آية 73).

³ الطبري ،جامع البيان في تأويل القرآن (203/17). الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (741/2)

والرأي الرَّاجح هو ما قاله الإمام الطبري حيث قال :-

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فأن يكون ذلك خبراً عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبراً عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقرّيعاً منه بذلك عبثتها من مشركي قريش.¹

وكانه تعالى يقول: - يا أيها الناس يا من تجعلون مع الله شركاء من الأصنام تعبدونها أستمعوا لهذا المثل وتدبروه حق تدبره فإن الاستماع بلا تدبر وتعق لا ينفع إن الذين تدعون من دون الله من الأصنام لن يستطيعوا أن يخلقوا ذباباً (أي حتى ولو ذبابة واحدة) وهي صغيرة بالنسبة لكم وضعيفة فلو هذه الأصنام وماتعبدون من دوني أجمعوا كلهم وأتفقوا أن يخلقوا ذباباً لن يستطيعوا فكيف تعبدونها وتستجدون بها وهي عاجزه حتى عن خلق أضعف مخلوقات الله تعالى بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه ، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك ومن كان بهذه الصفة فسَاء المثل مثلهم ،وقلَّ خَطْرُهُمْ ولقد جاء هذا المثل منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديه وإذلال لها ولعابديها وإظهار لكونها لا تضر ولا تنفع ولا تدفع عن نفسها²

وجاء عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث القدسي مؤكداً على هذا المعنى :- " قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة فليخلقوا ذرة"³

وفي رواية أخرى تؤكد نفس المعنى "" :- وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فليخلقوا ذرةً وليخلقوا حبةً أو شعيرةً⁴

¹ الطبري ،جامع البيان في تأويل القرآن (203/17).

² المرجع السابق،(203/17). ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (236/3). النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم (130/12) . بتصرف .

³ البخاري، صحيح البخاري،كتاب الباس،باب نفص الصور (ح5609)(2220/5).

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى (والله خلقكم وما تعلمون) (إنا على كل شيء قادرون) (ح7120)(2747/6).

وفي رواية أخرى : " ومن أظلم ممن يخلق كخلقي فليخلقوا بعوض أو ليخلقوا ذرة"¹

قال الإمام ابن حجر مُعلِّقاً على الحديث : -"الغرض تعجيزهم تارة بخلق الجماد وأخرى بخلق الحيوان"²

وقد أظهر الله بعض آياته العظيمة على يد أضعف خلقه ، وذلك حين أهلك أبرهة الحبشي لما أراد هدم الكعبة بجيشه الجرار ، ولكن الله سبحانه وتعالى أهلك هذا الجيش بواسطة الطير الأبايل ، تحمل في أرجلها حجارة من سجل ، فكانت آية عظيمة إلى يوم القيامة .

يقول الإمام أبوزهرة : -"وإنَّ هذا التصوير السَّامي الذي سماه جلَّ جلاله مثلاً، هو برهان على عدم صلاحيتهم للألوهية؛ لأنها عاجزة محتاجة، والمعبود قادر غير عاجز... ونقف هنا وقفة قصيرة، فنسأل الذين ينكرون وجود الله، وهم ملاحدة هذا الزمان الذين يحسبون إلحادهم يقوم على فلسفة عقلية: لقد اخترتم الكون وعلمتم علمه، وعرفتُم النواميس التي خلقها الله، وإن كنتم تحسبون ظواهر الأشياء، وعلوتم إلى داخل الفضاء حتى وصلتُم إلى القمر وإلى المشتري، وعلمتم تكوين الأشياء وأجزاءها وعناصرها، فهل استطعتم أن تخلقوا ذبابة، إن لله في كل شيء آية، فأمنوا به ولا تنكروه"³

وهنا يردُّ سؤال لماذا خصَّ الله الذباب بهذا المثل ؟

ويردّ عليه الإمام القرطبيّ قائلاً : "وخصَّ الذباب لأربعة أمور؛ لمهانتة وضعفه ولاستقذاره وكثرتة، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر مَنْ عبوده من دون الله على خلق مثله ودفع أذيتة؛ فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابا مطاعين؟! وهذا من أقوى الحجج وأوضح البراهين"⁴

¹ ابن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ،مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة مصر ،(ح7513) (259/2).

² ابن حجر ،فتح الباري شرح صحيح البخاري (386/10).

³ أبو زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ)، زهرة التفاسير،مج10 دار الفكر العربي (5030/9).

⁴ القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن (97/12).

ومن الإعجاز العلمي لضرب المثل في الذباب أنه لو عملت على القضاء على كل الذباب بمادة قاتلة وبقيت ذبابة واحدة فإن هذه الذبابة ستنتج جيلاً كاملاً من الذباب الذي لديه مناعة ومقاومة لهذه المادة فتصنيع المضادات الحيوية تعتبر من الأمور المعجزة لدى الذباب ، فأَيُّ شَيْءٍ يقضي على الذباب تصنع الذبابة في أجهزتها مضاداً حيويًا له ، حتى وإن مات الذباب من البرد فإنه سينتج جيلاً مقاوماً للبرد .¹

ولقد قال الله تعالى في وصفها : - " وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِهَا : - " وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يستطيعون أخذه منها ، وأتضح أيضاً أن هناك إعجازاً علمياً في هذه اللفظة فلماذا قال الله تعالى " يَسْلُبْهُمُ " ولم يقل يأخذ منهم ؟ وهنا لابد أولاً من الرجوع لمعنى اللفظة لغويًا .

يَسْلُبْهُمُ مأخوذة من لفظ "يسلب" أو "الإستلاب" وهي تعني الإختلاس² والسلب هو نزع الشيء من الغير على القهر³

وعند تعريف المعنى يظهر الإعجاز حيث سُمِّي ذباباً لكثرة حركته واضطرابه و لأن الذباب يختلس ما يأخذه من أشربة وأطعمة الناس اختلاسا، وينزعها منهم نزعاً على القهر لعجزهم عن مقاومته في أغلب الأحوال فهذا المخلوق الذي يشتمز منه الناس يستطيع أن يناور بطريقة مذهلة بحيث يسير بسرعة فائقة بالنسبة الى حجمة فحركات الذبابة المنزلية على درجة عالية من التعقيد.⁴

وهل يستطيع أحد أن يُعيد ما أخذه الذباب من طعامه على جناحيه أو أ رجله أو خرطومه؟

ولقد كان الكفار يذبحون القرابين عند الأصنام ويضعون أمامها الطعام ليباركوه وكانوا يضعون العسل على فم الألهة فيحطّ عليها الذباب ويأخذ من هذه الدماء والطعام والعسل

¹ النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الأفق) ص409. بتصرف

² ابن منظور ، لسان العرب (1/471).

³ الزيات وآخرون ، المعجم الوسيط (1/440).

⁴ انظر: ابن حجر ، فتح الباري (10/250). النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الأفق) ص 409-410. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (12/97).

على أَرْجُلِهِ النَحِيفَةَ هَذِهِ أَوْ عَلَى أَجْنَحَتِهِ أَوْ عَلَى خَرْطُومِهِ فَتَحَدَّاهُمْ أَنْ يَعِيدُوا مِنَ الذُّبَابِ مَا أَخَذَهُ وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ أَسْهَلُ مِنْ مَسْأَلَةِ الْخَلْقِ¹.

وهناك أمر آخر يدل على أن في الذُّبَابِ نفسه إعجاز لن تستطيع هذه الآلهة تحقيقه مهما عملوا وسيعجزون عنه ألا وهو ما قاله سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم): "إذا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنْ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْآخَرَى شِفَاءً"²

ولقد قال الإمام ابن الجوزيّ موضحاً الإعجاز في هذا الحديث: "واعلم أن في الذُّبَابِ عندهم قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعة وهي بمنزلة السلاح فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السميّة بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء فيغمس كلّه في الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة فيزول ضررها وهذا طب لا يهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم بل هو خارج من مشكاة النبوة"³

إذاً ففي الذُّبَابِ نفسه الداء والدواء ، ولكن كيف يمكن استخدام الذُّبَابِ في العلاج ؟

وهذا ما بيّنه ابن البيطار عن طريق بعض الأمثلة على كيفية استخدام الذُّبَابِ في العلاج قال: " وإن أخذ الذُّبَابَ الكبير فقطعت رؤوسه ويحك بجسدها على الشعيرة التي تكون في الأجناف حكاً شديداً فإنه يبرئه ، وإن أخذ الذباب وسحق بصفرة البيض سحقاً ناعماً وضمدت به العين التي فيها اللحم الأحمر من داخل الملتصق بها الذي يسمى كرماشيش فإنه يسكن من ساعته ، وإن مسحت لسعة الزنبور بذباب سكن وجعه وإن حك الذباب على موضع داء الثعلب حكاً شديداً فإنه يبرئه"⁴

ومما لا يصدق أن الذُّبَابِ يشبه الإنسان من حيث جملة العصبية وعين الذُّبَابِ في غاية القوة والأبصار وتتصرف بغضب إذا لاح لها خطر ، فهي كالإنسان تغضب وتتعلم وتحسن بالألم ،

¹ انظر: السمرقندي ، بحر العلوم (2/470).

² البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ (ح3142)(3/1206).

³ ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي (1/89).

⁴ ابن البيطار ، ضياء الدين أبي محمد عبد اله بن أحمد الأندلسي المالقي(646هـ) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان (1422هـ- 2001م) (2/413).

ووزن دماغها واحد من مليون جزء من الغرام ، وهو يعمل بكفاية عالية وفيها عدد من الغدد،
ولها ذاكرة تستمر لدقيقتين¹.

وقد يعترض بعض الناس على الحديث حيث تعاف نفسه فعل ذلك ثم تناول الطعام ولقد أجاب
الدكتور زغلول النجار هؤلاء الناس قائلاً : -"وقد أمتعض بعض الناس من إمكانية غمس الذبابة
في شراب أو طعام ثم يتناوله الإنسان ونسى هؤلاء أن ذلك في حالات الضرورة القصوى ، كأن
يكون الإنسان في الصحراء ولا يملك إلا هذا الكأس من الماء أو غيره من الشراب ، وقد يوشك
على الهلاك إذا فقدته ، فدرءاً للخطرين :خطر الهلاك من الجوع والعطش أو خطر الهلاك مما
أنزل الذباب في شرابه من جراثيم وبكتيريا وفيروسات، فإن الحديث يشير الى غمس الذبابة في
الشراب حتى يتقي بمقومات الشفاء في أحد جناحي الذبابة ما في جناحها الآخر من داء"²

إذا ففي هذا المثل رسالة لكلّ النَّاس للمسلم والكافر فيقول الله لهم انظروا الى الذبابة وهي
المخلوق الضعيف التي تعدوه من أقذر المخلوقات حيث قال أفلاطون³ في وصف الذباب : -"
الذباب أحرص الأشياء حتى أنه يلقي نفسه في كل شيء ولو كان فيه هلاكه ويتولد من العفونة
ولا جفن للذبابة لصغر حدقتها والجفن يصقل الحدقة فالذبابة تصقل بيديها فلا تزال تمسح
عينها ومن عجيب أمره أن رجعيه يقع على الثوب الأسود أبيض وبالعكس وأكثر ما يظهر في
أماكن العفونة ومبدأ خلقه منها ثم من التوالد وهو من أكثر الطيور سفادا ربما بقي عامة اليوم
على الأنثى"⁴ هل تستطيع هذه الألهة التي تعبدون على خلقه ؟

فقد ضرب الله سبحانه مثلاً في الذباب وهو من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستصغار
عقولهم . والشهادة على أنّ الشيطان قد ربطهم برباطه حيث وصفوا بالإلهية صور وتمثيل
يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه وأذلّه وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا .

¹ انظر : النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الأفق)، ص411.

² النجار ، زغلول ، الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، نهضة مصر - القاهرة ، (ط2/2007م)، ص411.

³ أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس من أثينة وهو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين معروف بالتوحيد والحكمة ولد في
زمان أردشير بن دارا في سنة ست عشرة من ملكه وفي سنة ست وعشرين من ملكه كان حدثاً متعلماً يتلمذ لسقراط .
الشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت:-548هـ) الملل والنحل، مج2 تحقيق : محمد سيد كيلاني دار
المعرفة - بيروت (1404هـ) (88/2).

⁴ ابن حجر ، فتح الباري (250/10).

وهذا المثل يضع قاعدة ويقرر حقيقة: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، كل من تدعون من دون الله من آلهة مُدَّعاة من أصنام وأوثان ومن أشخاص وقيم وأوضاع، تستنصرون بها من دون الله وتستعينون بقوتها وتطلبون منها النصر والجاه كلهم لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له.

والذباب صغيرٌ حقير، وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل؛ لأنَّ الذباب يحتوي على ذلك السرِّ المعجز سر الحياة، فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل، لكنَّ الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير؛ لأنَّ العجز عن خلقه يلقي في هذا الحس ذل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل دون أن يخلَّ هذا بالحقيقة في التعبير، ولقد سوى الله في قوله " ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ" بين هذه الالهة المعبودة من دونه وبين الذباب من حيث الضعف وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب.¹

وفي نهاية المثل قال الله تعالى :- ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾²

فإنَّه تعالى قادر على خلق كل شيء عزيز غالب لا يغالبه أحد بخلاف آلهة المشركين، فإنَّها جماد لا يعقل ولا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء.

وهنا لابد من ذكر أهم العقائد المستخرجة من المثل :-

1. إثبات أن الله واحد أحد وأن كل ما يدعى من دونه باطل .
2. إثبات عجز الألهة المعبودة من دون الله عن الخلق .
3. أنَّ هذه الألهة المدعوة لا تستطيع أن تنقذ الطَّعام المقدم لها من أعجز وأقدر مخلوقات الله فكيف تستطيع أنقاذكم ورزقكم بل بالأحرى كيف تدعونها وتطلبون منها وتعبدون لها وهي عاجزة "ففاقد الشيء لا يعطيه".

¹ انظر: الزمخشري، الكشاف (173/3).

² سورة الحج (آية 74).

4. هذا المثل يدخل فيه كل ما عبد من دون الله تعالى سواء الأوثان أو السادة أو الشياطين، فلا طاعة لأحد سوى الله الذي خلق فأبدع "فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".
5. انَّ الله خلق كل شئٍ لحكمة حتى الذباب الذي يستقذره الناس فهناك حكمة وإعجاز في خلقه .
6. دعوة الى التّفكر والتأمّل في مخلوقات الله التي تدلُّنا على عظمة الله وقدرته في خلقه .

المبحث الثاني

الأمثال الدالة على عجز آلهة المشركين عن حماية نفسها

في المبحث السابق بيّن الله تعالى عجز آلهة المشركين عن إنقاذ القرابين المقدمة لها من الذباب وأظهر مدى ضعفها حيث قال الله تعالى:- " ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ" حيث سوى بين هذه الآلهة المعبودة من دونه وبين الذباب من حيث الضعف ثم جاء بعد ذلك وبين في مثل آخر عجز آلهة المشركين عن حماية نفسها فكيف ستحمي من يدعوها وبين ذلك في قوله تعالى :- " مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" ¹

ونلاحظ أنّ هذا المثل لأهميته سميت السورة على اسمه فهو وارد في سورة العنكبوت وهي سورة مكية ² وموضوعها العقيدة في أصولها الكبرى (الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء) وهذه الآية هي الوحيدة في القرآن التي جاء ذكر العنكبوت فيها.

ولقد بدأت هذه السورة في الحديث عن سُنَّةِ الله في ابتلاء الذين يختارون كلمة الإيمان وفتنتهم حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين .

وقد أشار إلى الفتنة بالأذى والفتنة بالقرابة والفتنة بالإغواء والإغراء ، وعرضت نماذج من الفتن التي اعترضت دعوة الإيمان في تاريخ البشرية الطويل من لدن نوح عليه السلام . يعرضها ممثلة فيما لقيه الرسل حملة دعوة الله منذ فجر البشرية مفصلاً بعض الشيء في قصة إبراهيم ولوط مجملاً فيما عداها وفي هذا القصص تتمثل ألوان من الفتن ومن الصعاب والعقبات في طريق الدعوة لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلاً وعذب من كذب آجلاً

¹ سورة العنكبوت (آية 41).

² ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (405/3).

ولم ينفعه في الدارين معبوده ولم يدفع ذلك عنه ركوعه وسجوده ، ضرب الله المثل حيث أستغرب وأستعجب بكيفية عبادة الهة لا تستطيع حماية نفسها ولا مَنْ يعبدها .¹

فقد شبه الله لجوء الكفار للآلهة المعبودة من دون الله طلباً للحماية كمن يطلب الحماية من بيت العنكبوت وهي كما قال الله تعالى " وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ " وأوهن مأخوذة من وَهَنَ: أي الضعف في العمل وفي الأشياء.²

وهنا بيّن الله تعالى أنّ الذين اتّخذوا أي عبدوا من دون الله أولياء أي بالرّبوبيّة لا ينفعهم في الآخرة فهذه الأصنام المعبودة من دونه ضعيفه وعاجزة عن حماية نفسها وغيرها مثلها مثل بيت العنكبوت حيث أنّ بيت العنكبوت لا تحميه لا في حر ولا قر بحيث لا يستر ولا ينفع ولا يدفعن فكذا ضعف الصنم وكل معبود فالذين اتّخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم وقبح رواياتهم وسوء اختيارهم لأنفسهم كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتاً لنفسها كي يحميها فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتّخذوهم من دون الله شيئاً ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم.³

وهنا لابد من طرح سؤال لم قال الله "بيت العنكبوت "

1. عندما نقول كلمة بيت أول ما يخطر في بال الإنسان حائط حائل ، وسقف مظل ، وباب يغلق ، وأمور ينتفع بها ويرتفق وهذا غير موجود لدى بيت العنكبوت ، ولقد قال الإمام الرازي : - " إن البيت ينبغي أن يكون له أمور : حائط حائل ، وسقف مظل ، وباب يغلق ، وأمور ينتفع بها ويرتفق ، وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين . إما حائط حائل يمنع من البرد وإما سقف مظل يدفع عنه الحر ، فإن لم يحصل منهما شيء فهو كالبيداء ليس ببيت لكن بيت العنكبوت لا

¹ أنظر: الرازي ، التفسير الكبير (60/25).قطب ، في ظلال القرآن (272/5).

² الفراهيدي ، العين (92/4).

³ انظر : الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن دار الفكر ، (152/20). الترمذي ، الأمثال من الكتاب والسنة (39/1).

يجنّها¹ ولا يكنّها² وكذلك المعبود ينبغي أن يكون منه الخلق والرزق وجر المنافع وبه دفع المضار فإن لم تجتمع هذه الأمور فلا أقل من دفع ضرر أو جرّ نفع ، فإنّ من لا يكون كذلك فهو والمعدوم بالنسبة إليه سواء ، فإنّ كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شيء ، كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معاني الأولياء شيء³

2. إنّ الهدف الأساسي للبيت هو الاستئصال وبيّن الإمام الرازي هذا الهدف حيث قال : - " هو أنّ أقلّ درجات البيت أن يكون للظلّ فإنّ البيت من الحجر يفيد الاستئصال ويدفع أيضاً الهواء والماء والنّار والتراب ، والبيت من الخشب يفيد الاستئصال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهواء القوي ولا الماء ولا النار ، والخباء الذي هو بيت من الشّعْر أو الخيمة التي هي من ثوب إن كان لا يدفع شيئاً يظلّ ويدفع حرّ الشمس لكن بيت العنكبوت لا يُظِلّ فإنّ الشّمس بشعاعها تنفذ فيه ، فكذلك المعبود أعلى درجاته أن يكون نافذ الأمر في الغير ، فإن لم يكن كذلك فيكون نافذ الأمر في العابد ، فإن لم يكن فلا أقل من أن لا ينفذ أمر العابد فيه لكن معبودهم تحت تسخيرهم إن أرادوا أجلّوه وإن أحبّوا أدلّوه⁴

3. أنّ الناس يلتجئون للبيت ليتجمعوا فيه هم وأسرهم ويبقوا فيه فهم لا يبنوه ليبقوا فيه لحظات ثم يتركوه إنما يبنوه ليبقوا فيه مدى الحياة وهذا خلاف بيت العنكبوت ، قال الإمام الرازي موضحاً: - "أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق ، لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت ، فإن العنكبوت لو دام في زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها ، فإذا نسج على نفسه واتخذ بيتاً يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت ، فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغي أن يستحق الثواب ، فإن لم يستحقه فلا أقل من أن لا يستحق بسببها العذاب ، والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب⁵

¹ يجنّها أي يسترها ، الزبيدي ، تاج العروس (364/34).

² يكنّها لا تستطيع أن تكون فيه .الزمخشري ، أساس البلاغة (553/1).

³ الرازي ، التفسير الكبير (60/25).

⁴ المرجع السابق (60/25).

⁵ الرازي ، التفسير الكبير ، (60/25)

4. ولقد ثبت في العلم الحديث أن بيت العنكبوت مَنْ تبنيه هي الأنثى، حيث إنها تغزل البيت وترغب الذكر في دخوله وتقوم بإغوائه فيأوي الى بيتها وبعد التلقيح تأكله إن لم يهرب¹ لهذا نجد أن الله تعالى قال :- " اتَّخَذَتْ بَيْتًا" وفيه إشارة الى أن الأنثى هي من تبنيه .

وهنا يظهر لنا الشبه الكبير بين العنكبوت والآلهة التي تعبد من دون الله، إذ أن عبادتها تتماشى وأهواء ورغبات الناس حيث يتبعونها إتباعا لشهواتهم وأهوائهم كما يتبع ذكر العنكبوت الأنثى ثم عندما يعبدونها لا تتفهم بل تكون سبب هلاكهم في الدنيا والآخرة مثل أنثى العنكبوت تهلك وتقتل الذكر .

فبيت العنكبوت لا فائدة منه ولا قيمة وقد يستفيد العنكبوت من نسيجه إذ لولاه لما حصل اصطياها الذباب ، كذلك اتخاذ الكفار الأوثان وإن كان يفيدهم(على حسب إعتقادهم) فإنه يفيدهم على ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا ، حيث يفوتهم ما هو أعظم منها وهي الدار الآخرة التي هي خير وأبقى.²

فالحقيقة إذاً أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة بل مذبحه يخيم عليها الخوف والترُّبُّص وإنه لأوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ ، وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معيناً ونصيراً.

وفي هذا المثل إبطال لجميع أنواع الشرك سواء الجلي أو الخفي (الأصغر) والشرك الخفي هو ما قال عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم عنه) :- " الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل"³ ، حيث أن الله تعالى لم يقل آلهة إشارة إلى إبطال الشرك الخفي أيضاً ، فإن من عبد

¹ النجار ، زغلون ،الحيوات في القرآن الكريم ، دار المعرفة لبنان ،(ط2/2007م)،ص141. النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي (آيات الله في الأفاق) ص416. بتصرف

² الرازي ،التفسير الكبير (61/25)

³.الحاكم ، المستدرک على الصحيحين (ح7936/4)(365/4). قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ،وقال

الذهبي في التلخيص : صحيح. الألباني محمد ناصر الدين صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، مج1، المكتب الإسلامي ،(ص605). قال الإمام الألباني :- حسن.

الله رياء لغيره فقد اتخذ ولياً غيره فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه بيتاً . ، فإن بيت العنكبوت إذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباءً منثوراً ، فكذلك أعمال الكفار التي تقدم للأوثان تذهب هباءً منثوراً كما قال تعالى :- ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾¹ في هذا المثل قبح الله حال أولئك المهلكين الظالمين لأنفسهم وأضرابهم ممن تولى غير الله عز وجل وفيه اشارة إلى أعظم أنواع ظلمهم فالمراد بالموصول جميع المشركين الذين عبدوا من دون الله عز وجل الاوثان وجوز أن يكون جميع من اتخذ غيره تعالى متكلاً ومعتداً آلهة كان ذلك أو غيرها ولذا عدل إلى أولياء من آلهة أي صفتهم أو شبههم².

ولقد ربط الله تعال هذا المثل بقوله تعالى :- " إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " وفي هذا تأكيد على أن قوّة الله وحدها هي القوة. وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال ومهما تجبر وطغى ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتكيل، فما عدا الله وما يملكون ليسوا سوى عنكبوت تحتمي بخيوطها وكما قال المرحوم سيد قطب :- " إن أصحاب الدعوات الذين يتعرضون للفتنة والأذى وللإغراء والإغواء. لجديرون أن يقفوا أمام هذه الحقيقة الضخمة ولا ينسوها لحظة وهم يواجهون القوى المختلفة. هذه تضر بهم وتحاول أن تسحقهم. وهذه تستهويهم وتحاول أن تشتريهم .. وكلها خيوط العنكبوت في حساب الله وفي حساب العقيدة حين تصح العقيدة وحين تعرف حقيقة القوى وتحسن التقويم والتقدير... إنهم يستعينون بأولياء يتخذونهم من دون الله والله يعلم حقيقة هؤلاء الأولياء. وهي الحقيقة التي صورت في المثل السابق .. عنكبوت تحتمي بخيوط العنكبوت"³

ولقد ختم الله تعالى الآية بقوله " وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " ومعنى كل من العزيز والحكيم هو :-

العزيز :- فهو الله تعالى كامل القوّة عظيم القدرة شامل العزّة ..فله عزّة القوة، وعزّة الغلبة وعزّة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة

¹ سورة الفرقان (آية 23).

² انظر: الرازي ، التفسير الكبير (61 / 25). الألويسي روح المعاني (160/20).

³ انظر : قطب ، في ظلال القرآن (2737/5).

وخضعت لعظمته وهي صفة العظيم الذي لا تتسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت، فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرة فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع، وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات فهي كلها مقصورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته.¹

و الحكيم هو: - الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه... فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدىً الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.²

فالله تعالى يؤكد على غلبته وقوته وعلى حكمته في خلقه حيث خلق كلَّ شيءٍ بإتقان وكلَّ شيءٍ كم من مخلوقاته يدل على وحدانيته لذا قال تعالى في ختام المثل :- ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٤٢).

وهنا لابد من ذكر أهم العقائد المستخرجة من المثل :-

1. ضعف الآلهة المعبودة من دون الله فهي كبيت العنكبوت لا يستطيع أن يصمد أمام الريح فكيف سيحمي غيره .
2. رسالة الى الذين يلجؤون ويعبدون غير الله تعالى ، أن ما تلجؤون اليهم سيكونون سبب هلاككم وشقائكم في الدنيا قبل الآخرة كمثل العنكبوت يدخل البيت سعيدا معتقدا أنه محمي فيؤكل من الأنثى وتكون نهايته ومقتله في هذا البيت .
3. في هذا المثل تحذير من جميع أنواع الشرك سواء الجليّ أو الخفيّ .
4. ليس هنالك حماية إلا حماية الله تعالى فهو العزيز القادر على كل شيء.

¹ أنظر : السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد(ت:1376هـ) تفسير أسماء الله الحسنى، مج1، تحقيق : - عبيد بن علي العبيد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ط1421/112هـ) (214-215).
² المرجع السابق (186).

5. تحريم اللجوء وطلب الحماية والمعونة من غير الله تعالى ، وفيه رسالة الى كل من يزور المقامات والمزارات ويقدها ويطلب العون من سكانها فهم كمن يهرب من المطر ليحتمي ببيت للعنكبوت .

6. دعوة الى التفكير والتأمل في مخلوقات الله تعالى فهو حكيم لا يخلق شيئاً عبثاً .

7. من أسماء الله الحسنى الحكيم والعزيز .

8. بيان أهمية العلم والعلماء وذلك لقوله تعالى : " وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ " وحثّ الناس على العلم ليفهموا هذه الأمثال .

9. دعوة الى التّفكّر في أمثال القرآن الكريم وتعلّمها .

المبحث الثالث

الأمثال الدالة على قدرة الله

من الآيات والأمثال الدالة على قدرة الله وعظمتته قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾¹

يضرب الله المثل على قدرته وعظمه بأهون مخلوقاته بالنسبة للإنسان، بحيث لو وقفت بعوضة على يد إنسان لقتلها ، ولا يشعر بشئ ، لهوانها عليه وهذا الكائن الضعيف المهين عند الإنسان من أكبر الأدلة على قدرة الله تعالى .

من العجيب أن الله ذكر هذه الدآبة في أول القرآن حيث نزل هذا المثل في سورة البقرة وهي سورة مدنية² بالرغم من أنها سورة مدنية إلا أنها تحدثت في بعض آياتها عن العقيدة وذلك إما جوابا على اسئلة مطروحة أو بيانا لبعض نواح العقيدة أما عن سبب نزول هذا المثل فقد أورد المفسرون³ عدة روايات :-

1. لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ " الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: " هُمُ الْخَاسِرُونَ " .

2. لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا " .

¹ سورة البقرة (آية 26).

² عبد الباقي ، العجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،ص660.

³ الطبري ،جامع البيان (177/1-178). ابن الجوزي ، زاد المسير (53/1-54).الرازي ، تفسير القرآن (68/1).الرازي التفسير الكبير (122/2).

3. أي أن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئاً ما، قل أو كثر، وأن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله: " إِنْ اللّٰهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا "

4. هذا مثل ضربه الله للدنيا؛ إذ البعوضة تحيا ما جاءت، فإذا سمنت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن، إذا امتلأوا من الدنيا رياءً أخذهم الله تعالى عند ذلك ثم تلا " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ "

وقد اختار ابن جرير الرأى الأول لأنه أسّ بالسورة، وهو مناسب، ومعنى الآية: إنه تعالى أخبر أنه لا يستحيي، أي: لا يستنكف، وقيل: لا يخشى أن يضرب مثلاً ما، أي: أيّ مثل كان، بأيّ شيء كان، صغيراً كان أو كبيراً.¹

و اختلف المفسرون في معنى كلمة ما في الآية وذلك في قوله تعالى " مَا بَعُوضَةً " قد وردت فيها عدة أقوال² :-

1. " ما " هاهنا للتقليل وتكون " بَعُوضَةً " منصوبة على البدل، كما تقول: لأضربن ضرباً ما، فيصدق بأدنى شيء (أو تكون " ما " نكرة موصوفة ببعوضة) .

2. أن ما موصولة، و " بَعُوضَةً " معربة بإعرابها، قال: وذلك سائغ في كلام العرب، أنهم يعربون صلة ما ومن بإعرابها لأنهما يكونان معرفة تارة، ونكرة أخرى.

3. ويجوز أن تكون " بَعُوضَةً " منصوبة بحذف الجار، وتقدير الكلام: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها.

وبناءً على هذه الأختلافات يظهر أن الله ضرب هذا المثل شاملاً ما فوق البعوضة حجماً وما هو أقل منها ، وما هو أشدّ منها خطراً وما هو أهون منها ، وتكرار ما في الآية يشير الى تعدد أنواع البعوض حيث يبلغ عددها مابين ألفين الى ثلاثة آلاف نوع.³

¹ الطبري، جامع البيان (178/1).

² انظر: المرجع السابق، (178/1). ابن عطية ، المحرر الوجيز (110/1). ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (65/1).

³ انظر: النجار ، الحيات في القرآن الكريم، ص 177-179.

ولقد بدأ الله تعالى المثل بقوله " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً " ولقد جعل المشركون ضرب المثل بمخلوقات الله من ذباب وعنكبوت وغيرها ذريعة ليُدَّعوا أن هذا القرآن ليس من عند الله تعالى ،فإن الله تعالى بيّن أنّ الحياء ليس بمانع له من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة والصغيرة بنظركم كالبعوض فإن هذه المخلوقات فيها دلائل قدرته وبدائع صنعته مما يجعل العقول تحار وتشهد بحكمته وقدرته .¹

ولقد ذكر الإمام الرازي تأولين للحياء بحق الله تعالى² :-

الأول : وهو القانون في أمثال هذه الأشياء ؛ أن كل صفة ثبتت للعبد مما يختص بالأجسام فإذا وصف الله تعالى بذلك فذلك محمول على نهايات الأعراض لا على بدايات الأعراض مثاله أن الحياء حالة تحصل للإنسان لكن لها مبدأ ومنتهى أما المبدأ فهو التغير الجسماني الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إلى القبيح ، وأما النهاية فهو أن يترك الإنسان ذلك الفعل ، فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه ذلك الخوف الذي هو مبدأ الحياء ومقدمته ، بل ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته ، وكذلك الغضب له ، علامة ومقدمة وهي غليان دم القلب ، وشهوة الانتقام وله غاية وهو إنزال العقاب بالمغضوب عليه ، فإذا وصفنا الله تعالى بالغضب فليس المراد ذلك المبدأ أعني شهوة الانتقام وغليان دم القلب ، بل المراد تلك النهاية وهو إنزال العقاب ، فهذا هو القانون الكلي في هذا الباب .

الثاني : يجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ، فجاء هذا الكلام على سبيل إطباق الجواب على السؤال ، وهذا فن بديع من الكلام .

ويظهر هنا أن الله تعالى ذكر صفة من صفاته وهي صفة الحياء حيث نقول إنّ الله تعالى حيٌّ وأطلق عليه الاستحياء على سبيل المشاكلة³ ، كما في قوله : ﴿ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا

¹ النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود تفسير النسفي مج4 تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار دار النفائس بيروت 2005م،(69/1). بتصرف

² الرازي ، التفسير الكبير (122/2).

³ المشاكلة ، وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته فلما قال المنافقون : أما يستحي رب محمد يذكر الذباب والعنكبوت في كتابه ، أجيّبوا : بأن الله لا يستحي ، والمراد : لا يترك ضرب المثل بهذه الأشياء ، فأطلق عليه الاستحياء على سبيل المشاكلة . العيني بدر الدين محمود بن أحمد(ت:-855هـ) عمدة القاري شرح صحيح البخاري دار إحياء التراث العربي بيروت (177/1).

يَسْتَحْيِيءُ مِنَ الْحَقِّ^٤ "1 ، وحياء الله تعالى صفة يتصف بها على الوجه الذي يليق به فحياءه تعالى لا يشبه حياء المخلوقين وأكد الإمام ابن القيم الجوزية هذا المعنى قائلاً : - " وأما حياء الرب تعالى من عبده : فذاك نوع آخر لا تتركه الأفهام ولا تكيفه العقول فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال"².

فقدرة الله تعالى المبدعة في الخلق تتجلى في أدق المخلوقات حجماً كما تظهر في أضخمها بناءً، وتجليها في الكائنات المتناهية في الحجم وقد يكون أبلغ وضوحاً من الكائنات العملاقة ، فالبعوضة من رغم ضآلة حجمها حيث يبلغ حجمها بين ثلاثة الى التسعة مليمترات إلا أن جسمها يتكون من رأس وصدر وبطن ولها ثلاثة أزواج من الأرجل وزوج من الأجنحة الدقيقة القادرة على الخفق المتواصل والسريع حيث يصل الى ستمئة خفقة في الدقيقة ، ومن صغر جناح البعوض نجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما أراد أن يبين مدى هوان الدنيا قال : - " لو كانت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"³

بل من شدة صغر جناحها بحيث لا يزن شيئاً شبة الرسول(صلى الله عليه وسلم) الرجل ذو الشأن الكبير أو الحجم الكبير الذي لم يعمل في طاعة الله بأنه بحجمه وصغره وقله عمله بجناح البعوضة فقال (صلى الله عليه وسلم) : - " إِنَّ لِيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ"⁴

¹ سورة الأحزاب (آية 53)

² ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي(ت:- 751هـ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،مج3 تحقيق : محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي بيروت (ط2/1393 1973) (261/2). إسماعيل ، لبنى خالد ،خلق الحياء في ضوء القرآن والسنة (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية-نابلس 2012م،ص50.

³ .الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى(ت:279هـ) الجامع الصحيح سنن الترمذي 13 باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي بيروت (ح2320)(4/113). قال أبو عيسى هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه. الألباني محمد ناصر الدين السلسلة الصحيحة -مختصرة، مج7 مكتبة المعارف الرياض (ح686)(2/299). ولقد صحح هذا الحديث الشيخ الألباني قائلاً : - (صحيح).

⁴ البخاري ، الجامع الصحيح المختصر كتاب التفسير، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم (ح4452)(4/1219).

وللبعوضة قرنا إستشعار في قمة الحساسية والكفاءة ، وعين البعوضة مركبة حيث تتألف من مئات العينات المستقلة تشريحيا المتكاملة وظيفيا مما يعطيها قدرة هائلة على الرؤية بالليل والنهار في كل أطراف الضوء ، ولها جميع الأجهزة الحيوانية كاملة بالرغم من ضآلة حجمها.¹

ومع ضآلة حجم البعوضة فإنها تُمثّل خطراً لا يُستهان به على صحّة كلّ من الإنسان والحيوان فالبعوض الأنثى التي تتغذى على دماء الإنسان وعلى دماء غيره من الحيوانات ذوات الدم الحار تصبح وسيلة خطيرة لنقل العديد من مسببات الأمراض من مثل الفطريات وغير ذلك من الكائنات الدقيقة التي تصيب كلا من الإنسان والحيوان ومن الأمراض التي تنقلها البعوضة :- الملاريا ، داء الفيل ، الحمى الصفراء ، الحمى الدماغية ، الحمى النازفة ، مرض حمى أبي الركب (حمى تكسير العظام أي الركب النازفة) ، حمى الوادي المتصدع ، مرض دودة القلب ، الإلتهاب السحائي الإلتهاب المخي الشوكي ، ومن أخطر ما تحمله البعوضة فيروسات تغزو الجهاز العصبي للإنسان مما قد يصيبه بعدد من الأمراض فائقة الخطورة من مثل التهاب الدماغ والسحايا ، ومرض التهاب الدماغ والنخاع.²

وكان الجهل بأخطار البعوض وبوجود كائنات أدق منه بكثير من وراء إستنكار واستخفاف المشركين والكفار ضرب المثل فيه ، فاستنكر القرآن الكريم عليهم ذلك واتخذها مثلا يتحدى به المشركين .

وفي هذا المثل أشار الله تعالى الى أنّ أنثى البعوضة هي وحدها الناقلة للأمراض وقد كان بها التحدي حيث أفرد الله تعالى لفظ (بعوضة) وأنته وهنا أشار الى طريقة عيش البعوض حيث يعيش حياة فردية ويظهر تمايز الأنثى عن الذكر في هذه الحشرة الخطيرة وتفرد الأنثى بهذا الخطر الداهم وهي حقيقة لم يعرفها الإنسان إلا أوائل القرن العشرين .³

¹ انظر :النجار ،الحيوات في القرآن الكريم ،ص175.النايلسي ،موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الأفاق)،،ص406.

² انظر :النجار ،الحيوات في القرآن الكريم،ص176-177. النجار ،زغلول ،تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ،مج3، مكتبة الشروق القاهرة ،(ط1428/1هـ-2007م) (82/1).

³ انظر :النجار ،الحيوات في القرآن الكريم،ص179. النجار ،تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم (84/1).

بل ذكر الإمام الأصبهاني أنّ سبب هلاك نمرود الذي ألقى إبراهيم عليه السلام في النار ، هو البعوض¹ فإنه لا يضرب المثل بشيء تافه أو حقير كما يظن هؤلاء بنظرهم القاصر، ولو أنهم تفكروا في هذا المخلوق الضعيف لأبصروا فيه طلاقة قدرة الله تعالى التي لا حدود لها.

وفي نهاية المثل بين الله تعالى سبب ضربه المثل بهذه المخلوقات حيث قال الله تعالى : -" فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين" فبين الله أن هذا المثل جاء ابتلاء للناس لتمييز المصدقين من المكذبين فالمثل إذا جاء في كتاب الله - عز وجل - ازداد به المؤمن هداية وتوفيقاً وإيماناً بإذن الله؛ حيث يصدقه المؤمن ويعلم أنه من عند الله، وأما الكافر والمنافق والفاسق، فإذا ضرب الله - عز وجل - المثل ارتاب فيه وتحيّر وتردد في أمره واعترض، فينصرف عن القرآن؛ فيصرف الله قلبه عنه، كما قال سبحانه وتعالى: -"

﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾² والله تعالى في هذه الآية لم يقل وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليقابل سابقه لما في هذا من المبالغة في ذمهم والتنبيه بأحسن وجه على كمال جهلهم لأن الاستفهام إمّا لعدم العلم أو للإنكار وكل منهما يدل على الجهل دلالة واضحة لم يقل وأما الذين آمنوا فيقولون الى أخرة إشارة إلى أن المؤمنين اكتفوا بالخضوع والطاعة من غير حاجة إلى التكلم والكافرون لخبثهم وعنادهم لا يطيقون الأسرار.³

ولقد قال المرحوم سيّد قطب :-" والله - سبحانه - يطلق الابتلاءات والامتحانات تمضي في طريقها ويتلقاها عباده كل وفق طبيعته واستعداده وكل حسب طريقه ومنهجه الذي اتخذه لنفسه والابتلاء واحد . . ولكن آثاره في النفوس تختلف بحسب اختلاف المنهج والطريق . .

¹ الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد(ت:- 369هـ) العظمة،باب39 ذكر نمرود وعظم سلطانه وعوته وتمرده وتسليط الله تعالى أضعف خلفه عليه احتقاراً له وتهواناً بشأنه، مج4 تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري دار العاصمة الرياض (ط1/1408هـ) (4/1513).

² سورة التوبة (آية 127)

³ انظر: الألويسي ، روح المعاني (1/208).

الشدة تسلط على شتى النفوس فأما المؤمن الواثق بالله وحكمته ورحمته فتزيده الشدة التجاء إلى الله وتضرعاً وخشية . وأما الفاسق أو المنافق فتزلزله وتريده من الله بعداً وتخرجه من الصف إخراجاً . والرخاء يسلب على شتى النفوس فأما المؤمن التقى فيزيد الرخاء يقظة وحساسية وشكراً . وأما الفاسق أو المنافق فتبطره النعمة ويتلفه الرخاء ويضله الابتلاء . . وهكذا المثل الذي يضربه الله للناس . . { يضل به كثيراً } . . ممن لا يحسنون استقبال ما يجيئهم من الله { ويهدي به كثيراً } ممن يدركون حكمة الله . { وما يضل به إلا الفاسقين } . . الذين فسقت قلوبهم من قبل وخرجت عن الهدى والحق فجزاؤهم زيادتهم مما هم فيه¹

ثم يذكر الله تعالى في الآية التي تليها صفات هؤلاء الفاسقين الذين لا يهتدون بالمثل فيقول الله تعالى: " ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ " ²

فهؤلاء الفاسقين يتصفون بثلاثة صفات: -

1. الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .
2. الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصد .
3. الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن .

ولقد اختلف المفسرون حول معنى العهد الذي وُصف هؤلاء الفاسقون بنقضه ولكن كلها تدخل ضمن مقاله الإمام الزحيلي: "فالتمثيل بالبعوضة ونحوها ضلّ به كثير من الناس، واهتدى به كثير من الناس، ولا يضلّ به إلا الخارجون عن طاعة الله، الذين ينقضون ما عاهدوا الله عليه من الإيمان بمحمد والتصديق به، وهم هؤلاء الضالّين الإفساد بين الناس، وإثارة الفتن والشكوك، وقلب الحقائق، وتصديق جبهة الأمة الداخلية، والتآمر مع الأعداء، إذ لا مبدأ عندهم يردعهم عن

¹ قطب، في ظلال القرآن (50/1).

² سورة البقرة (آية 27).

موالاة الأعداء، ففسروا الدنيا بافتضاحهم والآخرة بغضب الله عليهم، وذلك هو الخسران المبين¹

وفي نهاية هذا المثل نستنتج: -

1. الله خالق كل شيء وهو أعلم بخلقه.
2. الله تعالى من أسمائه الحسنی الحيّ فهو يتصف بالحياء، وحياء الله تعالى صفة يتصف بها على الوجه الذي يليق به فحياءه تعالى لا يشبهه حياء المخلوقين.
3. الأمثال التي ضربها الله - عزّ وجل - تحمل الكثير من الحكم والمواعظ التي قد لا نفهمها بدون تأمل وتدبّر .
4. الدعوة الى التدبر والتأمُّ ففي الأشياء التي يظن أنها صغيرة وتافهة حكم عظيمة فالذي يستصغر الأمور الصغيرة ولا يهتم بها هو في الحقيقة جاهل بمعرفتها لا يعلم من علمها شيء.
5. من خصائص المثل إن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا كان أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ،قال الإمام الزمخشريّ موضحاً :- " ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج كيف تمثّل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بصد صفته كيف تمثّل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار انداداً لله تعالى لا حال أحقر منها وأقلّ ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضّعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخسّ قدراً وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلاً لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقم للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق²

وفي نهاية هذا الفصل يظهر أن الله تعالى ضرب هذه الأمثال ليظهر حال آلهة المشركين وضعفها فحال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله لا حال أحقر منها وأقلّ ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة؟

¹ الزحيلي التفسير الوسيط (19/1).

² الزمخشري ،الكشاف (1/ 139).

الفصل الخامس

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

إن من لطف رب العباد بنا أن أخبرنا بنهاية الحياة ومآل البشر يوم القيامة ، فالحقيقة الراسخة لدى كل الناس هي أنهم سيموتون ولكن ماذا بعد الموت هذا ما اختلف به الناس فجاءت آيات القرآن الكريم لتوضح ماذا بعد الموت .

إن الإيمان بيوم القيامة (الآخرة) هو من أساسيات العقيدة وذلك لعظمته وأهميته ، فإن الإنسان إذا آمن بيوم القيامة كان رادعا له عن الذنوب والمعاصي وظلم غيره من الناس وكان الإنسان متوجها في كل لحظة الى الدار الباقية وهي الآخرة، بل إن كان في ضيق ومحنة وتذكر الآخرة سهل عليه ما هو فيه وعلم أنه لن يدوم وأن هناك أشد من محنته وهي محنة الموت ويوم القيامة لذا ضرب الله لنا الأمثال ليبين ما بعد الموت ، وهذه الأمثال تدخل ضمن أربعة مباحث: -

المبحث الأول :- تعظيم الآخرة والتقليل من شأن الدنيا

المبحث الثاني:- البعث

المبحث الثالث :- الحشر (الحساب)

المبحث الرابع :- الجنة والنار

المبحث الأول

تعظيم الآخرة والتقليل من شأن الدنيا.

إن الله تعالى عندما تكلم عن الإيمان باليوم الآخر عظم هذا اليوم وقلل من شأن الدنيا التي يعيشها الناس ويتعلقون بها فتكون سبباً في هلاكهم ولقد بين الله تعالى أن هذه الدنيا تافهة زائلة وأن الآخرة باقية دائماً وهي ما يجب أن يعمل ويتعب من أجلها الإنسان ، ولقد ضرب الله الأمثال ليبين الفرق بين الدنيا والآخرة هذه الأمثال :-

1. قال الله تعالى :- ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أْتَنَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ 1

2. قال الله تعالى :- ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ 2

3. قال الله تعالى :- ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرثُهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ لِّلْغُورِ ﴿٢٠﴾ 3

¹ سورة يونس (آية 24)

² سورة الكهف (آية 45)

³ سورة الحديد (آية 20)

عند قراءة الأمثال الثلاثة نلاحظ أنّ الله سبحانه عندما تكلم عن الدنيا شبَّهها بالماء الذي ينزل على الأرض فيسقي الحرث ، فينبت الزرع نباتاً مختلفاً بعضه مع بعض مما يأكل الناس والأنعام ، من زرع وثمار، على اختلاف النوع والصنف.

فإذا أصابت هذه النباتات ريح أو عاصفة يبس ورقها وذبل ، وتلفت ثمارها فكأنها لم تكن جميلة وخضراء من قبل ، وهذه الأمثال مطابقة لحال الدنيا، فإنّ لذاتها وشهواتها وجاهها، يزهو لصاحبه إن زها وقتاً قصيراً، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحةً، فإذا استكمل وتمّ اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همّها وحزنها وحسرتها لم يتزود منها سوى الكفن.¹

ولقد ذكر الله تعالى صفات لهذه الحياة الدنيا وهي²:-

- أنّها لعبٌ:- أي لا فائدة ولا ثمر له، فكلُّ ما يقوم به الإنسان ولا ينفع به سواء في الدنيا أو الآخرة يعتبر لعباً.
- أنّها لهوٌ:- يشغل الإنسان عمّا ينفعه وهي الآخرة والعمل لها ، أي كلّ عمل يشغل عن الآخرة حتى لو كان فيه منفعة في الدنيا كالتجارة والزواج ، والولد وغيرها ■

إذاً الفرق بين اللعب واللهو هو أن كل لعب يدخل في اللهو وليس كل لهو يدخل في اللعب.

- إنها زينةٌ:- والزينة مؤقتة لا بقاء لها فهي غير دائمة ، لذا قال الله تعالى في آية

أخرى عن الدنيا:- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ

¹ أنظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (414/2). السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (361/1).

² انظر : الزحيلي ،التفسير الوسيط (2597/3). الفرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (254-255). القنوجي ، فتح

البيان في مقاصد القرآن (415/13). الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن (450-455)

ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴿١٤﴾¹ ، فالدُّنْيَا وما فيها زينة ، مظهر خادع ، متاع زائل لا بقاء له .

• أنها تفاخرُ بالأنساب :- كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها.

• أنها تكاثر بالأموال والأولاد :- كل يريد أن يكون هو الأكثر من غيره في المال والولد.

• أنها متاع الغرور :- هي متاع فانٍ، ومن يركن إليها ويغتر بها معجبا بها معتقدا أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها فقد خسر خسرانا مبينا وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة.

ولقد بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) حجم الدنيا عند الله تعالى عندما قال :- " لو كانت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"².

فالدُّنْيَا وما فيها من نعيم وملك ومتاع ، لاتساوي حتى جناح البعوضة ولونظر الإنسان الى مدى صغر وحقارة جناح البعوضة لما إغترّ بهذه الدنيا ولأدرك مدى صغرها وحقارتها عند الله تعالى .

وبعد الإنتهاء من ذكر الدنيا ذكر الله الآخرة وبيّن الفرق بينها وبين الدُّنْيَا فلقد أعقب الله المثل الأول بأن قال :- ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾³

حيث سمى الجنة بدار السلام، ورجب بها وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاه، أما سبب تسميتها بدار السَّلَام فالإمام السَّعْدِيّ يجيب قائلا :- "وسمى الله الجنة "دار السلام" لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه"⁴.

¹ سورة آل عمران (آية 14).


² سبق تخريجه (ص 148).

³ سورة يونس (آية 25).

⁴ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (362/1).

ودار السلام (دار النعيم) للمؤمنين للذين أحسنوا وذلك بأن عبدوا الله حق عبادته ، وأحسنوا الى خلقه ، ولهم زيادة على الجنة (دار السلام) هي النظر الى وجه الله عزوجل ، بحيث لا يغشاهم العذاب ولا سواد ولا كآبه بعد النظر الى وجهه الكريم .

ولقد أكد هذا المعنى حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل"¹

ولقد بين الله ما يبقى للإنسان في آخرته في أعقاب المثل الثاني قائلا: " **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً** "  ² فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا، والذي يبقى للإنسان هي الصالحات .

ولقد ورد في معنى الباقيات الصالحات عدة أقوال ³ والراجح أنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة وهذا يشمل جميع أعمال الخير، فثوابها يبقى، ويتضاعف وهذا ما رجحه الإمام الطبري رحمه الله حيث قال :- " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هنّ جميع أعمال الخير"⁴

و أكد الله تعالى على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة آتية لا محالة، فحذر من عذابها ورغب فيما فيها من الخير والمغفرة والرضوان وذلك بقوله تعالى :- " **وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ** " ⁵ ، ولقد

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (ح181)(163/1).

² سورة الكهف (آية 46)

³ أنظر :- الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن (253/15-256) النحاس ، معاني القرآن الكريم تحقيق : محمد

علي الصابوني جامعة أم القرى - مكة المكرمة (ط1/1409هـ) (249/4).ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، (86/3).

⁴ الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن (256/15) .

⁵ سورة الحديد (آية20).

أتبع الله تعالى هذه الآية بقوله :- " ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ " ¹ وذلك تأكيدا على أن الآخرة هي مجال التسابق في الخيرات حيث تنتظركم المغفرة من ربكم بالأعمال الصالحة والإيمان المنجّي، مما يوصل إلى جنة عرضها مثل عرض السماء والأرض معا.

قال الإمام الزُّحَيْلِيُّ :- "وهذه الآية حجة عند جميع العلماء في الندب إلى الطاعات"².

فهذه الأمثال الثلاث أراد الله تعالى بها أن ينبّه الإنسان الى حال الدنيا وأنها زائلة فانية، وحقبة الآخرة وأنها هي الباقية وهي ما يجب أن يعمل الإنسان من أجلها ويتعب ، حتى لا يندم حيث لا ينفع الندم .

ما نستنتجه من الآيات :-

1. الدّنيا دار فناء والآخرة دار البقاء .
2. الدنيا لها صفات وهي :- لهو ، زينة ، تفاخر بالأنساب ، تكاثر بالأموال والأولاد ، وهي متاع الغرور لذا حذر الله من الركون إليها وتعظيمها ونسيان الآخرة .
3. الدعوة الى التفكير بالدنيا وحالها وعدم بقائها وذلك بالتفكير بمخلوقات الله تعالى كالنباتات وكيف تكون خضراء يانعة ثم تصبح يابسة ذابلة لاحياة فيها فالدنيا لاتساوي عند الله تعالى جناح بعوضة وذلك دليل على مدى قلة شأنها وحقارتها مقابل الآخرة وعظمتها.
4. الحرص على القيام بالياقيات الصالحات والمسارعة والتسابق في فعل الخيرات، فهي ما تنفع الإنسان وتنجّيه يوم القيامة .
5. دار السلام اسم من أسماء الجنة ومن نعم الله تعالى ومكافئته لأهل الإيمان يوم القيامة هو النظر الى وجهه سبحانه وتعالى علاوة على الجنة .

¹ سورة الحديد (آية 21).

² الزحيلي ، الوسيط، (2598/3).

المبحث الثاني

البعث

إنَّ الموت حقيقة راسخة في هذه الحياة حيث قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾¹ و ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾² و ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾³ ولكنَّ النَّاسَ اختلفوا فيما بعد الموت فهناك من أنكر عذاب القبر وأنكر البعث والنشور بل هناك أناس يعتقدون أنَّ ما بعد الموت يكون الفناء ولا شئ بعده ولقد أورد الله تعالى هذه الشبهة وردَّ عليها عن طريق المثل حيث قال الله تعالى " ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾^{٧٧} وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ " ⁴.

ورد هذا المثل في سورة يس وهي سورة مكية⁵ ، وأخرج الإمام الحاكم عن سبب نزول هذه الآيات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعضهم حائل ففته فقال : يا محمد أبعث الله هذا بعدما أرم قال : نعم يبعث الله هذا

¹ سورة الزمر (آية 30).

² سورة آل عمران (آية 185).

³ سورة الرحمن (آية 26).

⁴ سورة يس (الآيات 77-83).

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (564/3).

بميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم قال فنزلت الآيات : " أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين"¹ ولقد أورد الإمام الألباني هذه الرواية عن أبي بن خلف² .

ولقد استدلل الله تعالى على مَنْ أنكر البعث ببدء الخلق ، فانه الذي خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين " أولم يرَ الإنسانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ أليس بقادر على إعادته بعد موته؟

وعندما استبعد الكفار إعادة الله تعالى للأجساد والعظام الرميمة، ونسو أنفسهم وأن الله خلقهم من العدم، جاء الرد عليهم بقوله تعالى : - " قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ".

ولقد علقَ المرحوم سيد قطب على هذه الآيات قائلاً: " ويبدأ هذا المقطع بمواجهة الإنسان بواقعه هو ذاته في خاصة نفسه . وهذا الواقع يصور نشأته وصيرورته مما يراه واقعاً في حياته ويشهده بعينه وحسه مكرراً معاداً . ثم لا ينتبه إلى دلالاته ولا يتخذ منه مصداقاً لوعده الله ببعثه ونشوره بعد موته ودثورهِ . { أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين } فما النطفة التي لا يشك الإنسان في أنها أصله القريب؟ إنها نقطة من ماء مهين لا قوام ولا قيمة! نقطة من ماء تحوي ألوف الخلايا . . خلية واحدة من هذه الألوف هي التي تصير جنينا . ثم تصير هذا الإنسان الذي يجادل ربه ويخاصمه ويطلب منه البرهان والدليل! والقدرة الخالقة هي التي تجعل من هذه النطفة ذلك الخصيم المبين . وما أبعد النقلة بين المنشأ والمصير! أفهذه القدرة يستعظم الإنسان عليها أن تعيده وتشره بعد البلى والدثور؟³

فهذه الآية وما بعدها جاءت براهين على البعث يوم القيامة ورداً على من أنكر ذلك.

ولقد نبه الله تعالى في الآيات التي تليها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، وبهذا أرشد الله تعالى إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة.

¹ الحاكم ، المستدرک علی الصحیحین (ح3606/2)466). قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه قال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم.

² الألباني، صحيح السيرة النبوية (1/200-201).

³ قطب ، في ظلال القرآن ، (1/2977).

ولقد ذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) قصة رجلٍ من بني إسرائيل بيّن فيه البعث حيث قال: -" كان رجلٌ يُسرفُ على نفسه فلما حضره الموتُ قال لبنيهِ إذا أنا مُتُّ فأحرقُوني ثمّ اطحنُوني ثمّ ذرُوني في الرّيحِ فواللّهِ لئنُ قدرَ عليّ ربّي ليعذبنيّ عذاباً ما عدّهُ أحدًا فلما ماتَ فُعلَ به ذلك فأمرَ الله الأرضَ فقال اجمعي ما فيكِ منه ففعلتْ فإذا هو قائمٌ فقال ما حملك على ما صنعتَ قال يا ربّ خشيتُكَ فَعَفَرَ له"¹

وفي هذا الحديث دلالة على أنّ الإنسان حتى ولو أصبح رماداً ، فإن الله سيجمعه ويعيد خلقه ويحاسبه ، ولقد قال الإمام ابن حجر مُعلّقاً على الحديث: -" فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى والجواب أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب وقد ظهر إيمانه بإعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله"².

عندما يأذن الله تعالى بالبعث يجمع الله تعالى ما تفرّق من أجساد البشر ولو كان في بطون السّباع، أو حيوانات الماء، أو بطن الأرض، أو ما استحال رماداً بالحرق وذرتة الرياح، يجمعه الله تعالى، ولو أكل إنسانٌ إنساناً لجمع الله تعالى الأكل والمأكول أما كيفية بعث الله الناس وإعادة إحيائهم فينبتون كما ينبت النبات؛ ذلك أن الإنسان إذا مات وبلى وتحطّ بقي منه عجبُ الذنب فمنه ينبت ويركب، وهذا ما أشار إليه الله تعالى في المثل إذ تحدث عن كيفية الخلق، وبين الشبه بينه وبين خلق النبات حيث قال الله تعالى: -" الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ".

أي أنّ الله هو الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر وينبع، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً، توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء.³


¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قولِ الله تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ) وَأَنْ أَعْمَلَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُونَ وقال مُجاهدُ القُسْطَاسُ العَدْلُ بالرُّومِيَّةِ (ح3294/3) (1283).

² ابن حجر، فتح الباري (522/6).

³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (583/3).

قال الإمام الزُّحَيْلِيُّ معلقاً على هذه الآية :- "وهذا دالٌّ على القدرة على البعث، فإنه تعالى جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب. وإبراز الشيء من ضده: وهو اقتداح النار من الشيء الأخضر أبدع شيء، وهو دالٌّ على قدرة الله تعالى".¹

أما صورة وكيفية هذا البعث فقد ورد في حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه : " ما بين النفختين أربعون قال أربعون يوماً قال أبيت قال أربعون شهراً قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة"² فالله تعالى الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه ترجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المتفضّل القادر على إخراج الضد من الضدّ وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، فالَّذِي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرّق وتمزّق، من باب أولى .

ولقد قال الإمام ابن القيم :- " لما وعد الله سبحانه وهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده أنه يعيد الخلق كما بدأهم أول مرة كان من صدق وعده أن يعيده على الحالة التي بدأه عليها من تمام أعضائه وكمالها قال الله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطِيٍّ السَّجِلِّ لِّلْكَتَبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾  ³ وقال تعالى ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ⁴ ... وإلا فوقت قيامهم من القبور يكونون على صورتهم التي كانوا عليها في الدنيا وعلى صفاتهم وهيئاتهم وأحوالهم فيبعث كل عبد على ما مات عليه ثم ينشئهم الله سبحانه كما يشاء ⁵

حيث بيّن الله تعالى في هذا المثل الفرق الشاسع بين قدرته جل وعلا وقدرة البشر ، وأنّ الأمر إذا كان مستبعداً على قدرة المخلوق فهو غير مستبعدٍ على قدرة الخالق ، ونهى عن قياس قدرة

¹ الزحيلي، التفسير المنير (54/23).

² بخاري، صحيح البخاري ، 415 باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا زمرا (ح4651)(4/1881).

³ سورة الأنبياء (آية 104).

⁴ سورة الأعراف (آية 29).

⁵ ابن القيم ، تحفة المودود بأحكام المولود، مح1، تحقيق: - عبد القادر الأرناؤوط مكتبة دار البيان دمشق (ط1/1391هـ - 1971م) (ص207-208).

الخالق الى المخلوق حيث قال :- " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا " فلو فطن لخلقهِ بعد أن لم يكن شيئاً
مذكوراً، لم يضرب هذا المثل، ولم يفسد قدرته وهو العاجز الى قدرة الله القوي القادر على كل
شيء¹.

فإنه تعالى في هذا المثل ذكر صفتين مهمتين له :-

الأولى : الخلق والإعادة فإنه كما خلق الناس قادر على إعادتهم وبعثهم للحياة ومحاسبتهم .

أمَّا الصِّفَةُ الثانيةُ : فهي أنَّ علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها في جميع
الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشَّهادة، فإذا أقر
العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

نستنتج من هذا المثل أن الله أثبت البعث و ردّ فيه على شبهات منكريه بعدة أدلة :-

1. أن الذي أنشأ الإنسان أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون عليه.
2. أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، وفي جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص
الأرض من أجساد الأموات وما يبقى.
3. أن الله يخرج الأشياء من أضدادها، كإخراج النار من الشجر الأخضر، وإخراج الأحياء من
الأموات
4. أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فالذي خلقهم قادر على إعادة بعث الناس
وإحيائهم .
5. أن الكون هو كلّ من خلق الله تعالى ، ولا يستعصي عليه صغيره ولا كبيره فكيف يستعصي
عليه بعث الناس من قبورهم .

¹ أنظر : السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (699/1)..

6. أن من تمام عدل الله تعالى إعادة الناس وبعثهم من القبور وذلك لينفذ فيهم حكم الجزاء أي
ليحاسب كل إنسان على عمله وما قدم من خير أو شر .

7. في هذا المثل تنزيه الله عما نسبته الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدروا الله حق قدره
وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى ■

8. النهي عن مقارنة قدرة الله تعالى بقدرة المخلوقات ،فإنه تعالى القادر على كل شيء لا يعجزه شيء
في الأرض ولا في السماء إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .

9. دعوة الى التفكر في الموت والبعث والخلق .

10 -عقيدة الإيمان بالبعث بعد الموت

المبحث الثالث

الحشر (الحساب)

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل الحياة الدنيا دار اجتهاد وعمل ، وجعل الآخرة دار حساب وجزاء ، يحاسب فيها الناس ، قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ¹ ، ففي ذلك اليوم يقف العباد بين يدي ربهم خاضعين أذلاء ، يكلمهم ربهم شفاهاً من غير ترجمان ، فيسألهم عن الصغير والكبير ، مع ما هم عليه من العنت والمشقة ، ومعاناة أهوال ذلك اليوم العظيم ، فياله من موقف ، وياله من مقام تخشع فيه القلوب وتتكس فيه الرؤوس ، وإن من أهم مشاهد يوم القيامة هو الحساب فعندما نخرج من القبور لا يعرف بعضنا البعض وإذا عرفه يفر منه ، فالإنسان يفر من أمه وأبيه وحتى زوجه وأخيه لأن لكل منهم يومئذ شأن يغنيه .

وتشرق الأرض بنور ربها ، فإذا البشر من لدن آدم عليه السلام - الى أن يرث الله الأرض ومن عليها مجتمعون في أرض المحشر الكل منتظر لما سيحدث فلا تسمع صوتا ولا همسا ، حتى الملائكة لا تصدر صوتا من شدة الخوف ، لأن الجميع ينتظرون الحساب ، وفي وسط هذا الموقف المرعب يقف إبليس ويتبرأ من الذين أتبعوه من الناس حيث قال الله تعالى : - ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ²

¹ سورة إبراهيم (آية 51).

² سورة إبراهيم (آية 22).

ولقد وضح الله تعالى موقف الشيطان وكيف أنه يتبرأ ممن أتبعه في مثل حيث قال الله تعالى :-
 ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ
 اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ 1

وعندما نرجع الى هذا المثل نجد أنه نزل في سورة الحشر وهي من السور المدنية² التي نزلت في بني النضير حيث قال بشر عن سعيد بن جبيرة قلت لابن عباس سورة الحشر قال قل سورة النضير³ ونرى أن الله تعالى أراد أن يبين للمشركين كيف أن الشيطان سيتخلى عنهم يوم القيامة كما تخلى عنهم بنو النضير في غزوة الخندق وتركوهم وحدهم ضد المسلمين مما أدى الى هزيمتهم وخسارتهم ، كذلك الشيطان سيتخلى عنهم يوم الحشر ، ويتركهم خائبين خاسرين في الدنيا والآخرة .

قال سيد قطب رحمه الله معلقاً على الآية :- " وصورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بني الإنسان تتفقان مع طبيعته ومهمته . فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان . وحاله هو هذا الحال! وهي حقيقة دائمة ينتقل السياق القرآني إليها من تلك الواقعة العارضة . فيربط بين الحادث المفرد والحقيقة الكلية في مجال حي من الواقع؛ ولا ينزل بالحقائق المجردة في الذهن . فالحقائق المجردة الباردة لا تؤثر في المشاعر ولا تستجيش القلوب للاستجابة . وهذا فرق ما بين منهج القرآن في خطاب القلوب ومنهج الفلاسفة والدارسين والباحثين!⁴
 ولكن لماذا قال الشيطان في آخر الآية " إني أخافُ الله ربَّ العالمين"؟ وهل يخاف الشيطان ربَّ العباد فإن كان يخافه فلماذا يعمل على نشر الكفر والمعصية بين عباده ، هذه التساؤلات أجاب عنها الإمام الفيرواني قائلاً " - إنما هو على طريق التبرؤ من الإنسان، لأنه لا يخاف الله على الحقيقة، لأنه لو خافه ما عصاه، ولو خافه لكان ذلك مدحاً له"⁵

¹ سورة الحشر (آية 16).

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (331/4).

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي ، باب خروج بني النضير (ح3805)(4/1478).

⁴ قطب ، في ظلال القرآن (3530/6).

⁵ الفيرواني أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي(ت: 437هـ) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه مج 13، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة (ط1429/1 هـ - 2008 م) (7402/11).

2. وقال الله تعالى ﴿ يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٥﴾¹

نلاحظ أن هذين المثليين جاء ذكرهما بعد الحديث عن سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وكلامه على إحياء الموتى فانه أكد على أنه سيحيي الموتى كما أحيا سيدنا إبراهيم بإذن الله الطير وأن أول ما سيحاسب عليه المرء هو الإيمان لأن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أول ما سأله الله قال: "قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا" فإن ثبت أنه مؤمن بدأ الحساب ويكون كما بين الله في المثل الأول أنه عند الحساب يضاعف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

ولكن لم خص الله النفقة عند الحديث عن الأعمال الصالحة التي يضاعفها الى سبعمائة ضعف؟ وهنا يقول الإمام الألويسي: "وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق هو تزكية للنفس عن البخل وحب المال الذي هو الداء العضال والرأس لكل خطيئة"².

فانه تعالى بين حال الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ووجوه الخير وأنهم ينالون على ذلك ثواب الله المضاعف أضعافاً كثيرة كحال من يبذر حبة في الأرض طيبة فتنتبت منها شجيرة فيها سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة وهذا تصوير لكثرة ما يعطيه الله من جزاء على الإنفاق في الدنيا .

¹ سورة البقرة (آية 264-265).

² الألويسي، روح المعاني (36/3).

قال الإمام ابن كثير في تفسيره :- " وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل، لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة"¹

ولقد أكد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أن الله يضاعف الحسنة الى سبعمائه ضعف في عدة أحاديث من بينها ما ورد عن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجلٌ بناقةً مخطومةً فقال هذه في سبيلِ اللهِ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" - لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقةً كلها مخطومة"²

وقد يقول قائل أليس في هذا مبالغة وهنا يجيب الإمام السعدي :- " وهذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتتقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤمّلة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنّة الجليّة... فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة، لأنّ الله تعالى لا يتعاضمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرتة، ومع هذا فهو { عليم } بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لا يستحقها، فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته"⁴

ولقد أكد الله تعالى على طريقه حسابهم بقوله " وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" فالمؤمنون لا يخافون فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ومن ضياع عملهم ، ولا يحزنون على ما خلفوه من الأولاد وما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها ولا من عذاب نار جهنم وأهوالها .

ثم بعد أن بيّن الله أنه سيضاعف الحسنات الى سبعمئة ضعف بين شروط قبول هذا العمل يوم القيامة حتى يضاعف أجره وهذه الشروط ظهرت بالمثل الثاني :-

¹ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (317/1).

² مخطومة مأخوذة من الخطام وهو كل ما وضع في أنف البعير ليقاد به ، والجمع خطم . و خطمه بالخطام يخطمه خطما و خطمه ، كلاهما : جعله على أنفه ، وكذلك إذا حز أنفه حزا غير عميق ليضع عليه الخطام ، وناقة مخطومة ، ونوق مخطمة : شدد للكثرة . ابن منظور ، لسان العرب (12/187).

³ مسلم ، صحيح مسلم، كتاب الإمارة ، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها،(ح1892)(3/1505).

⁴ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1/113).

1. عدم المنّ والإذى في العمل ، والمنّ هو كما قال الإمام أبو جعفر الطّبري : -" لا تبطلوا أجورَ صدقاتكم بالمنّ والأذى، كما أبطل كفر الذي ينفق ماله (رياء الناس) وهو مرآءاته إياهم بعمله، وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه، وهو غيرُ مریدٍ به الله ولا طالب منه الثواب، وإنما ينفقه كذلك ظاهراً ليحمده الناس عليه فيقولوا: هو سخيّ كريم، وهو رجل صالح" فيحسنوا عليه به الثناء، وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية في إنفاقه ما أنفق، فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر"1 .

فَشَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَنَّ بِالرِّيَاءِ، لِأَنَّ كِلَيْهِمَا يُحْبِطَانِ ثَوَابَ الْعَمَلِ، وَلَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ رِيَاءٍ وَمَشْتَقَاتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَوْلِي خَمْسَ مَرَّاتٍ² .

ولقد بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) أهمية النية في قبول العمل وأنّ العمل إذا كان لغير الله فلن يقبل وذلك في قوله : -" إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"³.

و من مبطلات العمل الأذى وهو قد يدخل ضمن معنى المنّ فكلّ من يعمل عملاً ثم يذكر غيره به كمن يعطي غيره ثم يمن عليه فيقول له ألا تذكر يوم كذا أعطيتك كذا وأحسننت إليك والأذى للفقير يكون بالقول، ومنه ما سبق، فإنه يجرح مشاعر الفقير ويكسر نفسه، ويكون بالفعل كضربه واستخدامه ونحو ذلك.

ويؤكد هذا المعنى أيضاً ما ورد من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : -" قال ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ وَالْمُنْفِقُ سَلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْفَاجِرِ وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ"⁴

¹ الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (64/3).

² عبد الباقي ، المعجم المفهرس (ص285).

³ البخاري ، صحيح البخاري ،باب بدئ الوحي (ح1)(3/1)

⁴ مسلم ،صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ غَلْظِ تَحْرِيمِ اسْتِبَالِ الْإِزَارِ وَالْمَنَّ بِالْعَطِيَّةِ وَتَنْفِيْقِ السَّلْعَةِ بِالْحَلْفِ وَبَيَانِ

الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (ح106)(102/1).

فإنه عزَّ وجلَّ بيّن أنَّ المن والأذى يبطلان العمل كما تبطل نفقة المنافق الذي إنما يعطي وهو لا يُريدُ بذلك العطاء ما عند الله، إنما يعطي ليُوهم أنه مؤمن.

ولقد قال الإمام ابن عرفة: -" فالمنّ أعم من الأذى فإذا لم يمنوا فأحرى أن لا يسبوا عليها ، و الإنسان قد يشكو بإعطائه النفقة لغيره ويذم معه ولا يمن عليه لأنه إذا رآه يستحي منه (فلا يمن عليه). بينما المن على المعطي يكون بمحضه وفي غيبته. وإنما عادتهم يجيبون بأن سبب المن أخف من سبب الأذى، فإنهم اعتبروا الفاعل ونحن نعتبر المفعول. سبب المن مجرد بذل المال للفقير فقط، وأما الأذية (والتشكي) والسبب فما يصدر إلا عن موجب وهو إذابة المعطي للفاعل ونحو ذلك. فلا يلزم من نفي المنّ نفي الأذى"¹

وبعد أن بين الله وجوب عدم المنّ والأذى في العمل بيّن في صورة جمالية كيف يكون شكل من يعمل هذه الأعمال حيث شبّهه بصفوان وماله بتراب، وإنفاقه بالوابل وبيّن أن إنفاق هذا المرئي مع كون الإنفاق في نفسه شيئاً نافعاً لم يفده إلا زوال ترابه، كما أنّ المطر الذي أتى على الصفوان مع كون المطر نافعا في نفسه لم يفده إلا زوال ثراه.

ولقد قال الإمام علاء الدين الخازن : -" فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرئي والمؤمن المنان بصدقته يؤذي الناس يرى الناس أن لهؤلاء أعمالا في الظاهر، كما يرى التراب على الصفوان فإذا جاء المطر أذهب وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة، تبطل أعمالهم وتضمحل لأنها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب لا يقدرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا أَي لا يقدرُونَ عَلَى ثَوَاب شَيْءٍ مِمَّا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا"²

فالذي يتصدق ويتبع صدقته بالمن والأذى إنما يبطل صدقته وخسارته تكون خسارتين : الخسارة الأولى أنه أنقص ماله لأن الله لن يعوض عليه، والخسارة الأخرى هي الحرمان من الثواب، فعلى الإنسان أن يعمق إيمانه ، ويزهد في الدنيا ويعلم حقارتها ، ويدرك عاقبة المنّ والأذى في الآخرة ، فالمؤمن ليس من يعمل من أج الناس بل يعمل من أجل رب الناس.

¹ ابن عرفة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: 803هـ) تفسير ابن عرفة، مج4، تحقيق: - جلال الأسيوطي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (ط1/ 2008 م) (320/1).

² الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (200/1).

2. أن يكون العمل خالصاً يراد به وجه الله وتثبيت النفس على الإيمان ويكون موافقاً للشَّرْع ومايرضي الله تعالى ، فالعمل إذا أراد العبد به التقرب الى الله دون أي شئ آخر ، من تصنع للناس أو اكتساب محمده أو محبة الخلق ،يقبله الله تعالى ويضاعف عليه الأجر والثواب .

قال الإمام أبوزهرة موضحاً : - " أولئك المتقين من المنفقين ينفقون طلباً لرضى الله الدائم عليهم وتثبيتاً من أنفسهم أي تقوية لليقين والإيمان والاحتساب إلى الله تعالى، وتلك التقوية وهذا التثبيت صادر عن أنفسهم، فهم يربون أنفسهم على الإيمان واليقين، فـ " من " في قوله تعالى: (وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ) هي " من " التي تكون بمعنى الابتداء، أي أن التثبيت مبتدئ من أنفسهم، فهم يزكونها وينفقونها ويراقبونها، لكيلا يدخلها أي معنى من معاني الرياء والنفاق، أو الاتجاه إلى المَنِّ والأذى وفي هذا إشارة واضحة إلى أنهم ينفقون ما ينفقون قاصدين وجه الله تعالى، وأن ذلك القصد يستمر دائماً، فلا يجيء وقت يمنون فيه ويؤذون؛ لأن الثبات يقتضي الاستمرار على حال واحدة، وهي حال ابتغاء رضا الله وحده، لما يرجون من غيره جزاء ولا حمداً ولا ثناء، ولا يبتغون بغير رضا الله بديلاً" ¹

فالمؤمنون الذين ينفقون ويعملون الأعمال الصالحة لينالوا رضى الله ، شبههم الله ببستان بريرة مرتفعة ولقد سقيت من المطر الشديد فأثمرت ضعفين ما تثمر غيرها من البساتين ، ويبين الله أن المطر حتى ولو كان خفيفاً فإن الأرض جيدة التربة و حسنة الموقع،فهي دائماً مثمرة ومنتجة كعمل المؤمن لا يبور ودائماً يتقبله الله وينميه .

يقول الإمام الألويسي معلقاً على هذا المثل :- " وحاصل هذا التشبيه أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وإن كانت تتفاوت بحسب تفاوت ما يقارنها من الإخلاص والتعب وحب المال والإيصال إلى الأحوج التقي وغير ذلك" ²

يبين الله تعالى في هذين المثليين حالة أهل الإيمان عندما تعرض أعمالهم على الميزان وكيف يكون حسابهم ويبين الله لهم شروط قبول العمل ويؤكد لهم أنه إن طبقت هذه الشروط فإن الحسنه ستكون بسبعمئة ضعف .

¹ أبو زهرة ، زهرة التفاسير (985/2).

² الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (36/3).

ثم بيّن الله سبحانه حال فريق الكافرين عندما تعرض أعمالهم على الميزان ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾¹

فقد بين الله سبحانه أن لا قيمة لأعمالهم يوم القيامة مهما كانت صغيرة أو كبيرة لأن القاعدة الأساسية لحساب الأعمال غير متوفرة الا وهي الإيمان به سبحانه وتعالى ، فالإيمان هو القاعدة الأساسية لقبول الأعمال ونفعها يوم القيامة ، فمهما عمل هؤلاء الكفار (وهم اليهود والنصارى والمنافقون والمشركون جميعا) لن تجزي عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا .

وهنا لابدّ من سؤال لماذا خصّ الله الأموال والأولاد ولم يذكر غيرهما من متاع الدنيا ؟ وتأتي الإجابة من الإمام الزحيليّ حيث يقول :- " وخص الأموال والأولاد بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد لأنهم أقرب أنسابهم إليهم"²

ولقد ضرب الله لنا هذا المثل ليقرب صورة وحال الكافرين لنا يوم القيامة حيث شبههم بإنسان حرث الأرض وزرعها وبعد ذلك أصابها ريح فيها صر (وهو برد شديد محرق)، فهذا الإنسان لم يحصل على نتيجة إلا التعب والعناء .³

ولكن لماذا قال الله تعالى " فَأَهْلَكَتْهُ" عندما تحدث عن تدمير الزرع ؟

وهنا يجيب الإمام الألويسي عن هذا التساؤل قائلا :- " إنَّ الإهلاك عن سخط أشد وأفظع أو لأن المراد الإشارة إلى عدم الفائدة في الدنيا والآخرة وهو إنما يكون في هلاك مال الكافر وأما غيره فقد يثاب على ما هلك له لصبره"⁴

يستفاد مما سبق أنّ سبب إحباط أعمال الكفار يوم القيامة ولو كانت صدقة في الخيرات، هو فقد الإيمان، وبناءؤهم العمل على قاعدة الكفر، فالكفر أساس بلاء الإنسان في الآخرة، وهو سبب

¹ سورة آل عمران (آية 117).

² الزحيلي ، التفسير المنير (51/4).

³ انظر: السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (144/1) .

⁴ الألويسي ، روح المعاني (36/4).

ضياح ثمرة أعماله التي عملها في الدنيا، فيكون جزاء الكافرين النار خالدين فيها أبداً، ولن تفيدهم نفقاتهم المنفقة في دنياهم إلا الحسرة والندامة.

وقد يقول قائل أليس في هذا ظلم، أن يعمل الإنسان أعمال خيرة كثيرة ولا تقبل منه لأنه كافر بينما غيره من المؤمنين قد لا يعملون ربع ما يعمل وتقبل الأعمال منهم؟

يتولى الإمام الزحيلي الرد على هذا التساؤل قائلاً: "وليس عدم قبول نفقاتهم ظلماً من الله لهم، وإنما هم الظالمون لأنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول فكفروا وعصوا ومنعوا حق الله تعالى، وأنفقوا أموالهم رياء وسمعة ومفاخرة، ولم يبتغوا بها وجه الله تعالى... فإن توافر الإيمان، وصح اليقين، وكان الإنفاق بقصد وجه الله تعالى، لا للرياء والسمعة، كان مقبولاً عند الله، لقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَنْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَأَفْتُنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾² 211

فهؤلاء حالهم كحال من قيل له: إنَّ عليه أن ينتسب إلى الجامعة أو المدرسة ليأخذ الشهادة فلم ينتسب ودرس واجتهد ثم عمل على تقديم الإمتحانات وعند نهاية الفصل طالب بشهادة فقيل له أنت لم تنتسب فلا شهادة لك ، فهنا الجامعة لم تظلمه بل هو ظلم نفسه لأنه لم يطبق الشرط الأساسي ليأخذ الشهادة ، ولكنه إستفاد من العلم الذي تعلمه في حياته كذلك الكافر يستفيد من عمله في الدنيا سواءً بسمعة أو شهرة بين الناس أو مكسب مادي وغير ذلك ، وخسر في الآخرة إذ أن الله لن يقبل عمله حيث قال الله تعالى :- " ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ

ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ۗ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾³ 91

قال الإمام ابن كثير معلقاً على الآية :- " الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله، لم يجد له شيئاً بالكلية قد قبل، إما

¹ سورة المائدة (آية 27).

² الزحيلي التفسير المنير (52/4).

³ سورة آل عمران (آية 91).

لعدم الإخلاص، وإما لعدم سلوك الشرع، كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ

فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ " 1" 2

ولقد شبّه الله الكافرين عند قدومهم يوم القيامة بأعمالهم بدون الإيمان بالله تعالى بالذي يجري خلف السراب ويظنها الكافر أعمالا نافعة، حتى إذ قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئا، وهذا مثال لقلوبهم، لا خير فيها ولا بر، فتزكو فيها الأعمال وذلك بسبب الكفر.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٩﴾ أَوْ كظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۗ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۗ سَحَابٌ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرِنَهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ " 3

فإنه تعالى بين في هذين المثليين، أنّ أعمال الكفار باطله، وأنّ الكافرين واقعون في أربع ظلمات وهي: -

1. ظلمة البحر اللّجّي وهي ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها.
2. ظلمة الأمواج المتراكمة وهي ظلمة الكفر.
3. ظلمة السّحب المُدْهِمَة وهي ظلمة الجهل.
4. ظلمة اللّيل البهيم وهي ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر.

قال الإمام السّعدي معلقاً على هذه الظّلمات :- " بحيث أنّ الكائن في تلك الحال { إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا } مع قربها إليها فكيف بغيرها .. فبقوا في الظلمة متحيّرين، وفي غمرتهم يعمهون،

¹ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (297/3).

² سورة الفرقان (آية 23).

³ سورة النور (الآيات 39-40).

وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره، { وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطها مولاها، ومنحها ربها يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال جميع الكفار، كل منهما، منطبق عليها، وعددهما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم¹

ففي يوم القيامة ستعرض الأعمال على العباد وسينقسم الناس الى قسمين قسم سيقبل عمله وقسم سيرد عمله ولن يقبل وتكون له الخسارة في الدنيا والآخرة .

ما نستنتجه من الآيات :-

1. أن أول ما يحاسب عليه العبد هو الإيمان .
2. أن الناس سيجمعون ويحشرون في صعيد واحد يوم القيامة إنتظاراً لبدء الحساب والشيطان سيخطب في الناس يوم القيامة ويبين براءته منهم وأنه يعبد الله تعالى، وسيتخلى عن الإنسان يوم القيامة وكل من عبد من دون الله ، وستعرض أعمال الناس على الله تعالى حيث سينقسمون يوم القيامة إلى مؤمنين وكافرين .
3. شروط قبول العمل :- عدم المن والأذى في العمل وأن يكون العمل خالصاً لله وتثبيتاً للنفس على الإيمان، فإن تحققت هذه الشروط فإن الله تعالى يقبل العمل ويضاعف الأجر من حسنة الى سبعمئة ضعف .
4. إن العبد إذا لم يكن مؤمناً وكان كافراً فإن الله تعالى لن يقبل من عمله شيئاً ولو كان ملء الأرض ذهباً كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَئِنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ﴾² .

¹ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (570/1).

² سورة آل عمران (آية 91).

5. إنَّ الله لا يظلم عباده فالكفار يجازون على أعمالهم في الدنيا من سمعة أو شهرة أو مكسب مادي ويخسرون في الآخرة ،وذلك بناءً على قاعدة أنَّ الذي يدفع الأجر هو من قُدِّم له العمل فمن عمل إبتغاء مرضاة الناس يأخذ منهم الأجر ومن عمل لله فإله يعطيه خير الأجر والثواب لذا قال الله تعالى في الحديث القدسي : -" أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" ¹

6. عقيدة الإيمان بالحساب والحشر يوم القيامة.

¹ مسلم ،صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرفائق،باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم

الرياء (ح2985)(4/2289).

المبحث الرابع

الجنة والنار

فبعد إنتهاء الحساب وعرض الحسنات والسيئات ووزن الأعمال في الميزان يكون المصير إما الى جنة وإما الى نار ؟

وهنا ضرب الله تعالى لنا أمثلة ليقرب إلى أذهاننا الجنة والنار فبدأ بوصف الجنة ليرغب الناس بها وما فيها من نعيم دائم ووصف النار ليرهب الناس منها فينقوها ويؤمنوا ولقد ضرب الله لنا ثلاثة أمثلة للجنة والنار :-

المثل الأول: قال الله تعالى :- ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ^ط أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ^ع تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ^ط ﴾¹

المثل الثاني: قال الله تعالى :- ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ^ط وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ^ط كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ^ط ﴾²

المثل الثالث : قال الله تعالى :- ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ^ع كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ^ع وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلبَشَرِ ^ع ﴾³

¹ سورة الرعد (آية 35).

² سورة محمد (آية 15).

³ سورة المدثر (آية 31).

ولقد قمت بتقسيم هذه الأمثلة الثلاثة بعد استقرارها الى مطلبين :-

المطلب الأول :وصف الجنة :- فالله تعالى وصف الجنة بالمثلين الأولين بعدة أوصاف:-

أكلها دائم :- وهذا يعني أنّ ثمرها غير منقطع ولذتها في الأفواه باقية ، وكما قال الإمام ابن كثير:- " فيها المطاعم والفواكه والمشارب، لا انقطاع ولا فناء"¹ فأنت لا تمل من شبع ولا تتعرض لمجاعة.

ولقد وردت عدّة روايات عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يبين فيها وصف طعام أهل الجنة ومن هذه الروايات قوله :- " يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءً"² كَرَشِحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كما يلهمون النفس"³

و ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:- " خَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَكَ تَنَاطَلُ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْتَكَ تَكَعَّكَتُ"⁴ قال إني أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاطَلْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا وَلَوْ أَخَذْتَهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا"⁵

ولكن لماذا وصف الله طعام أهل الجنة والظلّ بأنه دائم وهنا يجيب الإمام الزّحيليّ قائلا :-"والمراد أن ثواب المتّقين منافع خالصة عن الشوائب، موصوفة بصفة الدوام. والآية إطماع للمؤمنين المتّقين، وإقنات للكافرين"⁶.

1. ظلّها⁷ دائم:- أي أنّه دائم البقاء ودائم اللذة⁸، فالظّ في الدّنيا ليس دائم البقاء بحيث نتمتع به متى شئنا بينما في الجنة الظلّ دائم مع لذة فيه ، فظلّها لا يزول ولا ينقص ولقد ورد عن

¹ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، (518/2).

² مأخوذة من جشأ وهو تنفس المعدة عند الإمتلاء .ابن منظور ، لسان العرب (48/1).

³ مسلم ، صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا(ح2835) (2181 /4).

⁴ أي أحجمت وتأخرت إلى وراء. ابن منظور ،لسان العرب (8 /313).

⁵ البخاري صحيح بخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب رَفَعِ الْبَصَرَ إِلَى الْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ (ح715)(1/261).

⁶ الزحيلي ، الوسيط (2/1172).

⁷ ظلها أو ظل مأخوذة من ظلل، والظل في الحقيقة ضوء شعاع الشمس دون الشعاع . الرازي ،مختار الصحاح (1/170).

⁸ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450هـ) النكت والعيون،مج6 تحقيق :- السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان (3/115-116).

الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله : - " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَأَ يَقْطَعُهَا وَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ وَظِلٌّ مَمْدُودٌ " ¹

وقال الإمام الزحيلي موضحاً : - " كذلك ظلُّها دائم، لا ينسخ ولا يزول، فليس فيها شمس ولا حرّ ولا برد تلك الجنة هي عاقبة ومصير أهل التقوى، وعاقبة الكافرين النار، بسبب كفرهم وذنوبهم. " ²

2. جريان الأنهار من تحتها: - لقد بيّن الله تعالى من صفات الجنة أنها تجري من تحتها الأنهار وذكر القرآن الكريم أربعة أنواع وهي :-

• أنهار من ماء غير آسن أي الصافي الذي لا يتغير ريحة ولا طعمة لا كدر فيه ولقد قال الإمام السعدي :- " غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاهها، وأطيبها ريحاً وأذها شرباً " ³ فالماء الراكد ضارٌّ لما فيه من الجراثيم.

• أنهار من لبن لم يتغير طعمه أي أنّ هذا النهر من لبن لا يتغير طعمة بحموضة وهو في غاية البياض والنقاء حيث قال ابن كثير عن هذا الوصف " بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة " ⁴ وهذه هي صفات اللبن الذي يرغب به الناس .

و بيّن الإمام ابن جرير سبب أنّ هذا اللبن لم يتغير طعمه قائلاً: - " وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار، فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه " ⁵

• أنهار من خمر لذة للشاربين : حيث يتلذذ به شاربه لذة عظيمة، وهنا يكون السؤال كيف يحرم الله في الدنيا الخمر وفي الآخرة تكون المكافأة أنهاراً من خمر ؟

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله (وَظِلٌّ مَمْدُودٌ) (ح4599)(4/1851).

² الزحيلي، الوسيط (2/1172).

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1/786).

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (4/177).

⁵ ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (26/49).

ويأتي الردّ في آيات أخرى من القرآن تبين أنّ خمر الآخرة ليس كخمر الدنيا الذي حرم لأضراره من كره مذاقه وذهابه للعقل وتصديعة للرأس فخمر الآخرة كما وصفه الله تعالى حسن المنظر والمطعم والرائحة والفعل، حيث قال الله تعالى: ﴿لَا فِيهَا عَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾¹ وقوله تعالى: - ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾² وقوله تعالى: - ﴿بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾³.

• أنهارٌ من عسل مصفى :ومعنى عسل مصفى أي لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع⁴ فهو في غاية الصفاء، وحسن اللون والطعم والريح ولقد بين الإمام محمد الخطيب وصف الله له بالمصفى: -"وهو مصفى لأنه خلق في الأنهار ابتداءً سائلاً جارياً سيل الماء واللبن المخلوقين فيها، فهو من أجل ذلك مصفى، قد صفاه الله من الأقداء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأقداء إلا بعد التصفية، لأنه كان في شمع فصفي منه... ولقد خصّ الله العسل لأنه من أفضل أنواع الحلوى: مذاقاً، ولوناً، وريحاً، ونفعاً"⁵

3. إحتواؤها على جميع أنواع الثمار: - من نخيل، وعنب، وتفاح، ورمان وتين، وغير ذلك مما لا نظير له في الدنيا، إنّ جنّات الدنيا لا يدوم ورقها وثمرها ومنافعها أما جنّات الآخرة فثمارها دائمة غير منقطعة وفيها من كل ما تشتهي النفس ويطيب لها، يقول الإمام الرازي معلقاً على الآية الكريمة: -" فيكون سبحانه قد عرفنا الجنة التي لم نرها بما شاهدناه من أمور الدنيا وعائنا"⁶

عندما ذكر الله سبحانه هذه الصفات في الجنة ذكرها على سبيل المثال لا الحصر ففي الجنة أكثر من ذلك بكثير وإنما ضرب المثل بهذه الأمور لتقريب الجنة الى ذهن البشر وذلك بما رأوه

¹ سورة الصافات (آية 47)

² سورة الواقعة (آية 19).

³ سورة الصافات(آية 46)

⁴ الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه (9/5).

⁵ الخطيب ، محمد محمد عبد اللطيف(ت:-1402هـ) أوضح التفاسير، الطبعة المصرية مصر (ط6/1964م) (1/624).

⁶ الرازي ، التفسير الكبير (47/19).

وعرفوه في الدنيا ، ولقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) مبيِّناً نعيم الجنة على لسان ربِّه في الحديث القدسي : " أَعَدَّتْ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَعْيُنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)"¹

4. لهم مغفرةً من الله :- وهذه هي أعظم نعمة من نعم الله وفضله على أهل الجنة حيث إنَّ الله تعالى يغفر جميع ذنوبهم وخطاياهم ، كأنهم لم يذنبوا قط ويرضى عنهم ، لذا قال الله تعالى واصفاً نعيم الجنة:- ﴿ جَزَاءُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾².

قال الإمام ابن كثير معقِّباً على الآية الكريمة :- " ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم"³ ، فكل ما نقوم به في الدنيا من أعمال إنما لنيل هذه الدرجة وهي المغفرة من الله تعالى التي تعد أفضل ما يتمناه الإنسان المؤمن وذلك أن خالفة وسيِّده ومولاه تجاوز وصفه عن زلاته وسيئاته وأكرمه برضاه فما عاد يخاف من النار فهو بمأمن منها يرتع في جنات ربِّه بسلام وأمان مطمئن لمصيره وسعيد فيما قدم وعمل .

5. الخلود في الجنة :- حيث بيَّن الله أنَّ أهل الجنة أيضا خالدون فيها لا يخرجون منها الى الأبد وهذا دلالة على أفضلية أهل الجنة ومن باب الأمان لهم بأنهم ما أن دخلوا الجنة لن يخرجوا منها لذا نجد الله يوضِّح ذلك في آيات أخرى منها قوله تعالى :- ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾⁴

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (ح2824)(2174/4).

² سورة البينة (آية 8).

³ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (539/4).

⁴ سورة إبراهيم (آية 23).

فإنه تعالى عندما وصف الجنة وصف فيها كل ما يُرغَّب الإنسان فيها، ويسعى إليه في حياته الدنيا، وقد لا يستطيع في الدنيا الحصول عليه بسبب أنها دار الفناء وليست دار البقاء، ولكن في الآخرة سيناله ويتنعم به وبين الله أن ما يرغَّب كل الناس به هو الظل الدائم والأكل الدائم والأنهار والمغفرة والخلود أي المسكن الجيد والمطعم والمشرب والسعادة والبقاء وكل هذا لا يتحقق إلا بالجنة .

المطلب الثاني :وصف النار وجحيمها :-

حيث وصف الله تعالى النار في نهاية المثل الثاني وفي المثل الثالث وبين عدة صفات لها ولأهلها وهذه الصفات :-

1. أن من يدخلها خالد فيها :- أي من يدخل نار جهنم من الكافرين لن يخرج منها الى الأبد ولكن هنالك من يقول إنَّ هذا يتعارض وقوله تعالى :- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾¹

ولقد ورد في تفسير قوله تعالى :- "إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ" سبعة أقوال² إلا أن القول الراجح هو ما رحبه الإمام ابن كثير رحمه الله حيث قال :- "إنَّ الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين، من الملائكة والنبیین والمؤمنين، حين يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين، فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، وقال يوما من الدهر: لا إله إلا الله"³.

ولقد أكدَّ هذا القول الراجح ما ورد من أحاديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث قال في حديث طويل عن الشفاعاة :- "فَيَأْتُونَنِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَاسْتَأْذِنِي عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ

¹ سورة هود (الآيات 106-107).

² الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (117/12).

³ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (461/2).

أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقَالُ أَنْطَلِقْ فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعْبِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقَالُ أَنْطَلِقْ فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ أَنْطَلِقْ فَأَخْرَجَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجَهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ"¹

يستدل بهذا أن كل من يدخل نار جهنم سيبقى خالدًا فيها إلا من رحمه الله بالشفاعة وأخرجه منها برحمته وكرمه وهذا لا يكون إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله أي شرط الخروج من النار التوحيد أما من دخلها وهو مشرك كافر بالله تعالى فلا يخرج منها أبدا .

2. **ماؤها (ماء حميم) :-** فالله تعالى بيّن أن أهل النار نتيجة التعذيب الشديد يطلبون الماء فيؤتى

لهم بماء حميم أي ماء شديد الحرارة حيث بيّن الزمخشري أن معنى حميم :- "الماء الحار"² فأهل النار بعد العذاب والتعب الشديدين يشربون ماءً من شدة حرارته تنقطع أمعاؤهم

وتذوب ولقد وصف الله هذا الماء في آيات أخرى في القرآن حيث قال :- ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۗ

وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۗ ﴾³

أي: من حره، إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه، شواه حتى يسقط جلد وجهه فيه.

¹ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب كلام الله عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (7072/6)(2727/6).

² الزمخشري، أساس البلاغة (143/1).

³ سورة الكهف (آية 29).

3. للنار ملائكة عددهم تسعة عشر ملكاً : - فالله تعالى بيّن في المثل الثالث أنّ من يقوم على النار ويعذب الناس هم ملائكة ووضح في الآية التي تسبق المثل عددهم ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ¹ فلماذا خصّ الله هذا العدد فقط من الملائكة أليسوا بقليل ؟

وهنا يجيب الله عن هذا التساؤل بالمثل قائلاً : - ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ² أَي أَنْ اللهُ جعلهم ملائكة فمن يغلب الملائكة وخصّ عددهم تسعة عشر لأنه مكتوب ذلك في التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر فهذا دليل على صدق نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بحيث يدفع أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإيمان به واتباع دين الإسلام الذي جاء موافقا لما ورد لديهم في التوراة والإنجيل .

ولقد قيل تسعة عشر صنفاً، أو صفاً، أو نقيباً ³ أي أنّ تسعة عشر هم كبار ملائكة النار (خزنة النار) ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم إلا الله عزّ وجلّ ودليل ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : - " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا " ⁴

قال الإمام القرطبي رحمه الله : - " : جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعدّبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرفقة ولا يستروحون إليهم ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هواتهم ولأنهم أشد خلق الله بأساً وأقواهم بطشاً " ⁵

¹ سورة المدثر (آية 30).

² سورة المدثر (آية 31)

³ الكوراني أحمد بن إسماعيل بن عثمان شهاب الدين الشافعي ثم الحنفي (ت: 893هـ) غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني، مج1 تحقيق: محمد مصطفى كوكسو (رسالة دكتوراه) جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية تركيا (1428هـ - 2007 م) (275/1).

⁴ مسلم ، صحيح مسلم ، 51 كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، 12 بَابُ فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ (ح2842)(4/112).

⁵ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (81/19).

وفي نهاية المثل يدخل نوع من الإعجاز الغيبي وذلك في قوله تعالى : - " وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا " حيث فيه إخبار بالغييب عما يكون؛ لأن السورة مكية، والنفاق إنما نجم بالمدينة. أو الشك والارتياب، وكان أكثر المشركين كذلك¹.

ولقد ذكر الله تعالى صفات ملائكة النار في الآيات بعد ذكر صفات نار جهنم نفسها حيث قال في الآيات السابقة للمثل :- " **﴿ إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾** *²

وسقر هي دركة من دركات النار ووصفها الله تعالى أنها نار (لا تَبْقِي) من فيها حياً (ولا تَذَرُ) من فيها ميتاً، ولكنها تحرقهم كلما جدّد خلقهم³.

فالله تعالى عندما وصف النار عن طريق المثل فذكر أكثر ما يكره الإنسان فيها وهو الخلود في العذاب حيث لا أمل بانتهائه ولا راحة حتى بماء يخفف حرّ نار جهنم بل الماء الذي يلجأ اليه الإنسان عادة لتخفيف الحر سيكون سبباً من أسباب زيادة العذاب ، إضافة الى كل ذلك من يتولى عذابهم ملائكة لا تأخذهم الرأفة والرحمة بمن يعذبون بل هم يزيدون العذاب فهم أشد خلق الله بأساً وأقواهم بطشاً.

ما نستنتجه من الآيات :-

1. أن النَّاسَ بعد الحساب إمّا الى جنة أو الى نار .
2. وصف الله الجنة بعدة صفات :- أكلها دائم ، ظلّها دائم ، فيها جميع أنواع الثَّمَرَات ، فيها أنهار من عدة أنواع (العسل ، الخمر ، اللبن ، الماء) ثم أنّ هذه المكافآت بأهم شيء وهو مغفرة الله تعالى والخلود حيث لا خروج من نعيم الجنة بل البقاء الى الأبد .

¹ أنظر: الكوراني غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (276/1).

² سورة المدثر (الآيات 25-29).

³ أنظر: الطبري جامع البيان في تأويل القرآن (158/29).

3. من يدخل النار خالداً فيها لا يخرج منها إلا من رحمه الله بالشفاعة أو برحمته وكرمه وهذا لا يكون إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله أي شرط للخروج من النار التوحيد أمّا من دخلها وهو مشرك كافر بالله تعالى فلا يخرج منها أبداً.
4. ماء نار جهنم ماء حميم يقطع الأمعاء من شدة غليانه.
5. هنالك ملائكة خاصة بالنار حددهم الله بتسعة عشر وهم نقباء أي المسؤولون عن ملائكة النار .
6. وصف الله الجنة بكل ما يرغب به الإنسان لكي يرغب بدخولها ، والنار بكل ما يرهّب به الإنسان ليرهبها ويتجنبها.
7. التّوحيد هو الشرط الأساسي لدخول الجنة والخروج من النار .

الفصل السادس

عقيدة الوحي وتعامل الناس معه

لقد تكفل الله سبحانه بتبليغ دينه وأحكامه للناس عن طريق الوحي ،والوحي للرسول (صلى الله عليه وسلم) تمثل بشقين :- وحي باللفظ والمعنى (وهو القرآن الكريم) ووحى بالمعنى دون اللفظ (وهو السنة النبوية).

وبهذا فإنَّ العقائد والأحكام التي جاء بها القرآن وجاءت بها السنة النبوية تختلف عن الشرائع الوضعية لأنَّ مصدرها هو الله تعالى ، ولقد تضمَّن هذا الفصل إثبات أنَّ الوحي وخاصة (القرآن) هو من عند الله وذلك عن طريق الأمثال التي ضربها الله تعالى للناس ، وتنوع موقف الناس في التَّعامل مع هذا الوحي، ما بين مؤمن ومنافق وكافر ، لذا قسَّمت هذا الفصل الى أربعة مباحثَ وهي

المبحث الأول: - الوحي من عند الله تعالى

المبحث الثاني :- موقف المؤمنين من الوحي

المبحث الثالث :- موقف المنافقين من الوحي

المبحث الرابع :- موقف الكافرين من الوحي

المبحث الأول

الوحي من عند الله تعالى

القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله على قلب نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ولقد أودع الله فيه العقائد السليمة والأحكام والتوجيهات الحكيمة ولكن هناك من شكك في القرآن وادعى أنه من عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) وليس من عند الله تعالى ، لذا ضرب الله لنا الأمثال ليؤكد أن هذا الكتاب هو وحي من عنده .

من ذلك قوله تعالى :- ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ¹ فقد نسب الله تعالى إنزال القرآن الكريم اليه وذلك عندما قال :- " لَوْ أَنْزَلْنَا " ولم ينسبه لسيدنا محمد ولا لأي أحد من خلقه .

وبما أن القرآن هو من عند الله فلا بد أن يكون عظيماً لأن ما صدر عن العظيم يكون عظيماً وأراد الله أن يبين عظمة هذا القرآن فبين أنه لو نزل على جبل وهو جماد لا يشعر ولا يعقل ، لتصدع هذا الجبل من شدة خشية الله تعالى ، وشدة عظمة القرآن وجودة ألفاظه وقوة مبانيه وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب وتخضع لها العقول .

وفي هذا المعنى قال الإمام الرازي رحمه الله :- " واعلم أنه لما وصف القرآن بالعظم ، ومعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف ، أتبع ذلك بشرح عظمة الله فقال : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) " ² .

ولما أراد الله تعالى ذم الناس الذين أعرضوا عن داعي الله بين أن القرآن الذي نزل عليهم وفهموه وأعرضوا عنه ، لو نزل على جبل وفهم الجبل منه ما فهم الإنسان لخضع واستكان

¹ سورة الحشر (آية 21).

² الرازي، التفسير الكبير (254/29).

وتصدع خشية الله تعالى وإذا كان الجبل على عظمه وقوته يفعل هذا، فلما يعرض الإنسان ويصدع بالرغم من حقارته وضعفه وضرب الله تعالى هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه.¹

وإلى هذا المعنى أشار الإمام الخطيب قائلاً: - "كقول القائل للسامع المعاند: لقد قلت لك قولاً يفهمه الحمار. ومن المعلوم أن الحمار لن يفهم؛ ولكنه دليل على قوة الحجّة، وأنها مفهومة لمفهمه ولكن السامعين لها كانوا أخط من البهائم، وأخس من السوائم، وأصم من الجمادات"²

وفي هذا المثل حثّ الله على التأمل والتفكير في موعظ القرآن وذلك في قوله تعالى: "لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" إذ لا عذر في ترك التدبّر والتأمل في آياته وأحكامه .

ولقد أورد الإمام المفسر الشوكاني معنى آخر للمثل³ وذلك أن الله بيّن أن هذا القرآن من عنده وأراد أن يبين منته وفضله على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث خاطبه وقال له لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت ولتصدع من نزوله عليه وقد أنزلناه عليك وثبتناك له وقويتك عليه فيكون على هذا من باب الامتنان على النبي لأن الله سبحانه ثبتته لما لا تثبت له الجبال الرواسي.

ثم بيّن الله تعالى في مثل آخر أثر هذا القرآن في القلوب حيث قال :- ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ⁴

في هذه الآية الكريمة ضرب الله لنا مثلاً للقرآن ، بالماء النازل من السماء (وكلاهما منزل من السماء) وشبه قلوب الناس بالأودية فكما أن الأودية مختلفة في صغرها وكبرها وبقدرة

¹ انظر: ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (291/5) .

² الخطيب أوضح التفاسير (679/1).

³ الشوكاني ، فتح القدير (207/5).

⁴ سورة الرعد (آية 17).

تحملها للماء في القلة والكثرة - كذلك القلوب تختلف في استيعابها وتشربها لهذا القرآن ، وكما أن السيل إذا حصل في الوادي يُطهرُ الوادي فكذلك القرآن إذا حصل حفظه في القلوب نفي الوسوس والهوى عنها ، وكانت كالجواهر الصافية من الخبث كالذهب والفضة والنحاس وغيرها ، والماء عادة يصحبه ما يكدّره، من خبث وهذا الخبث هو وسوس الشيطان وهو اجس النفس بحيث يصبح زبدًا يعلو الماء فإن فهم الناس القرآن وأتبعوه تخلّصوا من نزغات الشيطان ومن الخواطر الرديئة وكما أن الجواهر التي تتخذ منها الأواني إذا أديبت خلّصت من الخبث كذلك مثل الحق والباطل إذا اجتمعا، فالحق في استقراره ونفعه كالماء المستقرّ النافع، وكالمعدن النقي الصافي والباطل في زواله وعدم نفعه كالرغوة التي يقذفها السيل على جوانبه، وكشوائب المعدن التي يطرحها ويتخلّص منها عند انصهاره، فيبقى الحق ويثبت، ويزول الباطل ويتبدّد.¹

ولقد ضرب الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثلا آخر مؤكداً على هذا المعنى حيث قال : " إن مثل ما بعثني الله عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تتبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"²

وفي نهاية المثل بيّن الله تعالى أن هذه الأمثال، جاءت لإيضاح الفارق المتميز بين الإيمان والكفر، والحق والباطل وهذا لخير الإنسان الذي كرّمه الله بالعقل ليختار النافع وهو الإيمان، وترك الضارّ المتلاشي وهو الكفر.

¹ انظر : الرازي ، التفسير الكبير ، (28/19).القشيري، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات (105/2). الزحيلي تفسير الوسيط (1158/2).

² مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم (ح2282)(787/4).

ثم ضرب الله المثل للقرآن وأثاره وبين الفرق بينه وبين غيره حيث قال الله تعالى : - ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾¹.

وعندما عدت الى تفسير هذا المثل وجدت معظم المفسرين² فسروا الكلمة الطيبة : - بشهادة أن لا إله إلا الله ، وذلك بناءً على قوله تعالى في آخر الآيات : - ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِأَلْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾³ ﴿٢٧﴾^{١٣}

ولكن هناك من فسّر المثل بالإيمان⁴ (ويدخل ضمن الإيمان بالإيمان بالقرآن بأنه من عند الله تعالى) ، وهناك من فسرها بالمؤمن نفسه⁵ ولقد ورد حديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يؤكد هذا المعنى حيث قال : - " إنَّ من الشَّجَرِ شَجَرَةٌ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ"⁶

والرأي الراجح هو الإيمان إذ يدخل فيه شهادة أن لا إله إلا الله إذ هي أصل الإيمان ويدخل فيها أثر هذا الإيمان على المؤمن نفسه ، ويدخل بالإيمان كل ما هو أصل لهذا الإيمان كالقرآن فكل ما ينطبق على الإيمان ينطبق على فروعه كالقرآن وغيره.

¹ سورة إبراهيم (الآيات 24-26).

² الطبري ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن (203/13). القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن (359/9).

³ سورة إبراهيم (آية 27).

⁴ الطبري ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن (203/13).

⁵ الطبري ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن (204/13). القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن (359/9).

⁶ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدَّثْنَا أَوْ أَخْبَرْنَا وَأَنْبَأْنَا، (ح61)(34/1) باب الفهم في العلم (ح72)(39/1).

فإنه تعالى أشار في هذا المثل الى أكثر من خاصية من خواص الإيمان وهذه الخواص هي أيضا خواص للقرآن (الوحي) حيث بين :-

1. أن كل ما في الإيمان طيب وذلك بقوله إنها شجرة طيبة لذا فالقرآن أيضا كل آياته طيبه حتى آيات العذاب والوعيد لأن فيها الزجر والترهيب من المعاصي والذنوب .

2. أن أصل هذا الإيمان ثابت لأنه من عند الله فبتالي أصل القرآن ثابت من عند الله لا يتعرض الى تغير ولا تحريف.

3. أن فروع هذا الإيمان في السماء وهذا دلالة على أنه وحي من الله تعالى وأنه هو الطريق المؤدي الى السماء فمن أراد أن ينال رضى الله عليه اتباع ما فيه من أوامر واجتناب ما فيه من نواه وهذا ينطبق على القرآن أيضا.

4. يؤتي أكله كل حين فهذا الدين (الإيمان) مناسب بما فيه من أحكام وعقائد لكل زمان ومكان ، وفيه معجزات وأسرار تظهر لنا في كل زمن وهذا يكون من جوهر وإعجاز القرآن أيضا .

وبعد أن بين الله تعالى صفات هذا الدين والوحي قال في ختام الآية :- " وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" فهذا المثل والأمثال التي يضربها الله للناس هي للتذكّر والتفكر والتأمل بحيث يجب ألا نمر عليها مرور الكرام، بل لا بد لنا من وقفة معها ، فالله تعالى ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه للناس حتى لا يبقى حجة لأحد من خلقه بعدم إدراك المراد ■

ولقد أتبع الله تعالى المثل الذي بين فيه صفات هذا الدين بمثل آخر بين مصير غيره من الديانات والعقائد الباطلة حيث قال الله تعالى :- " وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ" فكل عقيدة أو دين أو كتاب غير الدين الإسلامي والقرآن الكريم لا أصل له ولا ثبات، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يُتَقَبَّلُ منه شيء.

ولقد استخدم الله في وصف غير الدين الإسلامي كلمة (اجْتَنَّتْ) وهذا فيه نوع من الإعجاز البياني فهي مأخوذة من جثث: فالاجتثاث هو استئصال الشيء من أصله وقَلْعُه من جذوره¹

إنَّ شجرة الكفر ليس لها جذور ممتدة في باطن الأرض، بل هي على سطحها، فهي ليست كبعض أنواع النباتات التي لها جذور تغوص في عروق الأرض، فليس لها استقرار وثبات في باطن الأرض وذلك لأن الكفر متناقض متضاد ليس له أصل صحيح ولا برهان موجب ولا دليل كاشف ولا علة مقضية وإنما شُبّه وأباطيل وضلال تقتضي وساوس ما لها من قرار لأنها حاصلة من شُبّه واهية وأصول فاسدة.²

وفي نهاية هذين المتلين أشار الله الى طريق الثبات على الحق والصواب والبعد عن الباطل بأن قال :- " يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ " حيث بيّن الله أن الثبات على هذا الدين أو اتّباعه لا بد لنا من طلب العون منه سبحانه وتعالى إذ أنه هو من يثبتنا على الحق في الدنيا والآخرة .

والثبوت في الدنيا والآخرة يكون هو أن يداوموا على هذا الدين (في الحياة الدنيا) ويستمروا حتى إذا فتتوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتتهم أصحاب الأخدود وغير ذلك .

(وفي الآخرة) أي في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب، و يوم القيامة عند البعث والحساب، وحيث إنهم إذا سُئِلُوا عن معتقدتهم ودينهم أوضحوا ذلك بالقول الثابت من دون تلعثم ولا تردّد ولا جهل.³

فالذي يؤمن بأنّ هذا الدين والقرآن من عند الله تعالى ، والذي يفهم هذا القرآن ويُطَبِّق ما فيه من أوامر ويتجنب نواهيه فإنّ الله تعالى سيثبته في الدنيا على هذا الدين، ويثبته في الآخرة مما يجعله من أهل السعادة والرضا .

¹ ابن منظور، لسان العرب (126/2).

² انظر : القشيري ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات (123/2).

³ أنظر : القنوجي ، فتح البيان في مقاصد القرآن (112/7).

ما نستنتج من الآيات :-

1. أن القرآن منزل من عند الله تعالى وليس من عند رسوله (صلى الله عليه وسلم).
2. وجوب الإيمان بالقرآن وما فيه فلو نزل على جبل لتصدع الجبل من شدة إيمانه وتأثره به.
3. عظمة القرآن الكريم بعظمة صفات منزله سبحانه وتعالى .
4. تفاوت القلوب في الدين والعلم فمنها ما يسع علماً كثيراً، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلم.
5. الله سيظهر الحق مهما علا الباطل كالماء الذي يعلوه الزبد فالماء يبقى لينفع الناس والزبد زائل لا محالة، وفيه أيضا إشارة الى كل أنواع الباطل سواء في الدين أو العلم أو العمل فإنه زائل لا محالة وهذا من بشريات المؤمن في الدنيا .
5. أن كل ما في الإيمان طيب وذلك بقوله إنها شجرة طيبة، لذا فالقرآن أيضا كل آياته طيبه حتى آيات العذاب والوعيد لأن فيها الزجر والترهيب من المعاصي والذنوب .
6. أن أصل هذا الإيمان ثابت فهو من عند الله وبالتالي فأصل القرآن ثابت من عند الله لا يتعرض الى تغير ولا تحريف.
7. إن أصول هذا الإيمان في السماء وكذلك القرآن فإن طبقنا ما فيه من أوامر وتجنبنا نواهيه ، فتحت لنا أبواب السماء وولنا رضى الله تعالى .
8. يؤتي أكله كل حين فالإيمان والقرآن مناسب بما فيه من أحكام وعقائد لكل زمان ومكان ، وفيه معجزات وأسرار تظهر لنا في كل زمن من جوهر وإعجاز القرآن الكريم .
9. الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء.
10. أن الثبات على هذا الدين هو فضل من الله إذ هو من يثبت المؤمنين في الدنيا والآخرة
11. الإكثار من الدعاء والطلب من الله تعالى الثبات على هذا الدين إذ ورد عن أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قول :- " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آما بك وبما جننت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء"¹

¹ الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن (ح2140)(4/448). قال الإمام

الترمذي هذا حديث حسن .الألباني، السلسلة الصحيحة مختصرة (ح2019)(5/126). وقال الإمام الألباني هذا حديث

حسن لغيره.

المبحث الثاني

موقف المؤمنين من الوحي

لقد تبين لنا في المبحث السابق أن الوحي (القرآن) هو منزلٌ من عنده سبحانه ، وبان لنا أن لهذا القرآن أثراً كبيراً على النفوس ، حتى أن هذا القرآن لو نزل على جبل لخضع هذا الجبل من عظمة القرآن الكريم ، ولكن كيف أثر القرآن الكريم في نفوس المؤمنين ؟ هذا ما بيّنه الله في قوله :- ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ 1

تؤكد الآية الكريمة على أمر مهم من البداية وهو أن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو رسول من الله للناس ، وبما أنه رسولٌ من الله فلا بد لنا أن نؤمن به ونصدقّه ونتبعه وفي هذا ردٌّ على كلٍّ من شكك بنبوة ورسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ أن ربَّ البشر أجمعين يؤكد على أن محمداً هو رسوله بقوله :- " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ " فهو لم يقل محمداً رسول بل أضافه إلى الله جلَّ جلاله وذلك حتى ينفي عنه أية شبهة أو تهمة ، وبما أنه رسول من الله فإن كلَّ ما يُبلِّغ به عن ربِّه هو صدق لا شك فيه، سواء أكان قرآناً أم سنة نبوية.

ولقد قدم الله سبحانه لهذا المثل بقوله :- " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ 2 وقد سبق الحديث عن النبي عليه

¹ سورة الفتح (آية 29)

² سورة الفتح (آية 28)

الصلاة والسلام بأنه أرسله بالهدى ودين الحق ثم أخرج اسمه الشريف على سبيل التنويه بفضله والتشويق إلى اسمه.

وبعدما تحدّث الله عن نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) تحدّث عن موقف المؤمنين وأثر إيمانهم بالوحي على نفوسهم ، فأول ما قال عنهم "والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" فهم آمنوا وصدقوا هذا النَّبِيَّ و آمنوا واتبعوا الوحي الذي أنزله الله عليه ، فهم عندما سمعوا (القرآن) لم يتكبروا ويجحدوا الحق بل آمنوا به واتبعوه ، ونتيجة لإيمانهم بهذا الوحي أتصفوا بصفات مهمتين هما:-

1. الصفة الأولى الرَّحْمَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالشَّدَّةُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وفي إتباع الشَّدَّةِ لِلرَّحْمَةِ نوع من الإعجاز البياني وذلك إذا وصفهم بالرَّحْمَةِ وتوقّف ، فهنا أنّهم رحماء دائماً لا تصدر الشَّدَّةُ منهم أبداً ولكن عندما أتبعها مباشرة بشَّدَّةٍ ، فهنا أنّهم مع كونهم أشداء على الأعداء رحماء على الإخوان حيث قال الإمام الألويسي :- " وفي وصفهم بالرَّحْمَةِ بعد وصفهم بالشَّدَّةِ تكميل واحتراس فإنه لو اكتفى بالوصف الأول لربما توهم أنّ مفهوم القيد غير معتبر فيتوهم الفظاظة والغلظة مطلقاً فدفع بإرداف الوصف الثاني ومآل ذلك أنهم مع كونهم أشداء على الأعداء رحماء على الإخوان" ¹

و جاء التأكيد في آيات أخرى على هذا المعنى حيث قال تعالى :- ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ²

و أكد الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا المعنى في الحديث الشريف حيث قال:- " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده

¹ الألويسي ، روح المعاني (123/26).

² سورة المائدة (آية 54).

بالسَّهَرِ وَالْحَمَى¹ وقوله (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ"²

وفي هذا المثل تظهر قضية أساسية بل ضرورة من ضرورات العقيدة وهي قضية الولاء والبراء ، حيث يكون ولاء المؤمنين ورحمتهم للمؤمنين وتكون شدتهم وقوتهم على الكافرين إذ لا يمكن أن يتصور ولاء ومحبة لأهل الإيمان، ما لم يكن معه براء وبُغْضٌ للمنحرفين والمشركين.

أمَّا المرحوم سيد قطب فيعقب على هذا ويقول: "أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً. رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين . فهي الشدة لله والرحمة لله . وهي الحمية للعقيدة والسماحة للعقيدة . فليس لهم في أنفسهم شيء ولا لأنفسهم فيهم شيء . وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها . يشتدون على أعدائهم فيها ويلينون لإخوتهم فيها . قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ومن الانفعال لغير الله"³.

2. الصفة الثانية: المحافظة على الصلاة، حيث تراهم راعين ساجدين محافظين على الصلاة ولا يريدون من وراء ذلك إلا التقرب إلى الله - تعالى - والظفر برضاه وثوابه.

ونجد أن الله ذكر الصلاة مباشرة بعد قضية الولاء والبراء وذلك لأهميتها حيث قال الإمام المناوي: "لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ومن كان أفواههم إيماناً كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتاً وإيقاناً وقد جعلها الله فروضاً وسنناً"⁴.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم (ح5665/5) (2238/5).

² المرجع السابق، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (ح467/1) (154/1).

³ قطب ، في ظلال القرآن (6/3333).

⁴ المناوي ، عبد الرؤوف (ت:-1031هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، مج6 المكتبة التجارية الكبرى - مصر

(ط1/1365هـ) (4/247). العفاني ، سيد بن حسين ، رهبان الليل ، مج3، دار العفاني مصر، (ط1427/23هـ-)

(م2006) (1/29).

فالصلاة تدل على الإقبال على الله تعالى، وإقبال الله سبحانه على العبد، فقدّر الناس من الإيمان على قدرهم من الصلاة، ورغبتهم في هذا الدين على قدر رغبتهم في الصلاة فقدّر الإسلام في القلب كقدر الصلاة.

ثم ذكر الله تعالى أن هنالك علامة تظهر على وجوه المؤمنين نتيجة محافظتهم على الصلاة حيث قال: "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ".

وقد أورد العلماء¹ في معنى سيماهم أقوالاً ستة رجح الإمام الزمخشري² منها واحداً وهو أن السيماء هي العلامة أو الأثر الذي يحدث في جبهة المصلّي من كثرة السجود، والذي يؤكّد هذا المعنى أن الله قال "مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" أي هذه العلامة تحدث بسبب السجود.

وقال المرحوم سيّد قطب معلقاً على هذه الآية: "فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة واختار لفظ السجود لأنه يمثّل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها. فهو أثر هذا الخشوع. أثره في ملامح الوجه حيث تتورأى الخيلاء والكبرياء والفراسة. ويحلّ مكانها التواضع النبيل والشفافية الصافية والوضاءة الهادئة والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلاً"³

ولقد بين الله أن صفات المؤمنين الذي يتبعون سيّدنا محمّداً (صلّى الله عليه وسلم) ويؤمنون بالوحي (القرآن) قد ذكرت في التوراة والإنجيل لتكون دليلاً على صدقهم واتباعهم للحق، ثم ذكر الله تعالى أن هذه الصفات بيّنها بصورة جمالية، واستعمل التشبيه ما بين المؤمنين وبين النباتات القوي الذي يعود بالنفع والفائدة على الزّراع حيث قال: "كَزَّرَعِ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ"⁴.

¹ ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل (56/4). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (293/16).

² الزمخشري، الكشاف (348/4).

³ قطب، في ظلال القرآن (3333/6).

⁴ سورة الفتح (آية 28).

فالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه مَثَلُهُم كمثل الزرع، أول ما يخرج من البذر يكون دقيقاً صغيراً رقيقاً ثم بعد ذلك يصبح غليظاً قويا ، يعجب الزراع بقوته ونضجه وكماله ، وكذلك حال المؤمنين ذلك أَنَّهُمْ في بدء الاسلام كانوا قليلي العدد ثم كثروا وارتقى أمرهم يوماً بعد يوم حتى أعجب الناسُ بهم لِيَغِيظَ اللهُ بهم وبقوتهم الكفار .

وللإمام الزحيليّ لغتة الدقيقة حين قال :- "ويعجبُ الزُّرَّاعُ جملة في موضع الحال، فإذا أعجب الزُّرَّاعُ، فهو أحرى أن يعجب غيرهم"¹

وهنا إشارة أيضا إلى أن من يُبغض الصحابة عليه الحذر لأنّه قد دخل ضمن الكفر ، فالله بيّن أنّهُ بالصحابة يغيض فقط الكافرين ، وفي بيان فضل ومكانة الصحابة جاء قوله (صلى الله عليه وسلم) :- " لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَأَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَةً"²

ثم وعد الله الَّذِينَ آمَنُوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثواباً جزيلاً لا ينقطع، وهو الجنة، وفي هذه الآية يدخل كل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم ، فهو في حكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، وإن كان لهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحدٌ من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وأثر الصاحب (الصديق) على صاحبه عميق ، لذا كان لزاماً على المرء أن ينتقي إخوانه ، ولقد نبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) على هذه القضية حيث قال :- " مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة"³

لذا إن كان للإنسان أصحاب يعينونه على طاعة الله عزوجل ، ويمنعونه من معصيته فعليه التمسك بهم، وتجنب مصاحبة من يزينون له طرق الغواية والظلال وذلك تأسياً بالرسول (صلى

¹ الزحيلي، التفسير الوسيط (2467/3)

² مسلم ، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (2540)(2538/4).

³ البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك (ح5214)(2104/5) .

الله عليه وسلم) إذ كان أصحابه خير صحب عرفتهم البشرية ، أعانوه ونصروه وأيدوه ، وعملوا على نشر الدين في بقاع الأرض .

وبهذه الأوصاف الجليلة بيّن الله أوصاف كلّ من آمن واتّبع الوحي (القرآن) وبهذا يكون إيمان المسلم إذا دخل في الإسلام ضعيفا، ثم يتقوى بصحبته وملازمته لأهل العلم والإيمان حتى يستوي ويكون مثلهم، وربما أقوى منهم.

ما نستتجه من الآيات :-

1. إثبات نبوة سيدنا محمّد(صلى الله عليه وسلم) ورسالته .
2. أنّ من الناس من آمن بالوحي وصدق به واتّبع سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) .
3. أنّ من اتّبع الوحي عليه أن يتّصف بصفتين مهمتين :- الشدّة على الكفّار والرّحمة على المؤمنين (الولاء والبراء)،المحافظة على الصلّاة.
4. تحذير لمن لا يتّصف بالشدّة على الكفّار والرّحمة بالمؤمنين إذ عليه مراجعه إيمانه.
5. أنّ حبّ الصّحابة واجبٌ ومن يبغضهم فعليه الحذر، فقد يكون دخل ضمن الكفر لأنّ الله بيّن أنّه بهم يغيظ الكفار ، ويدخل مع الصحابه المؤمنون ومن اتّبع هذا الوحي فمن يكره رؤيه انتصار المؤمنين وفرحهم فقد دخل ضمن الكفر .
6. بيان أهمية الصّحبة وما لها من أثر على الناس ، والدعوة الى التأسّي بالرّسول (صلى الله عليه وسلم) باتّخاذ الرّفقاء الصالحين الذين يعينون الإنسان على الطّاعة ويبعدونه عن المعصية .

المبحث الثالث

موقف المنافقين من الوحي

وبعدما تحدّث الله عن المؤمنين وموقفهم من الوحي ، وأثر هذا الوحي عليهم والصفات التي يجب أن يتّصفوا بها ، تحدّث عن فئة أخرى من الناس آمنوا في الظاهر دون الباطن ألا وهم المنافقون ولقد ذكر الله المنافقين بالمثل وذلك للدور الذي كانوا يقومون به في المدينة في إيذاء الجماعة المسلمة ومدى التعب والقلق والاضطراب الذي كانوا يحدثونه؛ كما يدلُّ على الدور الذي يمكن أن يقوم به المنافقون في كلِّ وقت داخل الصّفِّ المسلم، لذا قال الله تعالى عنهم :-
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِ آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾¹

ففي هذا المثل بيّن الله تعالى طبيعة المنافقين وكيفية تعاملهم مع الوحي الذي شبّه بالنار والماء حيث ظهر أنّ المنافقين قسمان :-

1. منافقون خالص، أي نفاقهم خالص لا إيمان فيه وهم المضروب لهم المثل الأول حيث شبّه الله نفاقهم " كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا".

2. ومنافقون متردّدون، تارة يلمع فيهم الإيمان، وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي، وهم أخفّ حالاً من الذين قبلهم ، وهم أصحاب المثل الثاني :- " أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ"

يُعَلِّقُ الْإِمَامُ إِبْنُ كَثِيرٍ عَلَى الْمَثَلَيْنِ فِيَقُولُ :- "وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم، فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ، وأكثر من ذلك

¹ سورة البقرة (الآيات 17-20).

وأقلّ من ذلك، ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء له أخرى، فيمشي على الصراط تارة ويقف أخرى. ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخُلص من المنافقين"¹

وبناءً على ما قاله ابن كثير قسّمت المبحث الى مطلبين :-

المطلب الأول :- المنافقون الذين لا إيمان فيهم (خُصّ) .

لقد استخدم الله سبحانه لفظ النَّار عندما تحدّث عن هذا النوع من المنافقين، و بيّن الإمام

الخازن سبب استخدام لفظ النَّار حيث قال :- " وفي ضرب المثل للمنافقين بالنَّار ثلاث حكم:

إحداها: أنَّ المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فإذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمته فكأنهم لما

أقروا بالإيمان من غير اعتقاد قلوبهم كان إيمانهم كالمستعار .

الثانية: أنَّ النَّار تحتاج في دوامها إلى مادة الحطب لتدوم فكذلك الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد

ليدوم

الثالثة: أنَّ الظُّلْمَة الحادثة بعد الضوء أشدّ على الإنسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبهه

حاله بذلك."²

فالنَّار مادة النُّور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السَّماء متضمناً

لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سمّاه روحاً ونوراً، ثم بيّن كيفية تعامل المنافقين مع الوحي

فهولاء المنافقون أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر فهم لم يصموا آذانهم عن السَّماع و عيونهم

عن الرؤية وقلوبهم عن الإدراك كما صنع الذين كفروا . ولكنهم استحَبوا العمى على الهدى

بعد ما استوضحوا الأمر وتبيّنوه كمن أشعل ناراً لتضيء له فهم عندما اتبعوا الوحي وآمنوا به

أضاعت نفوسهم وانتفعوا بالوحي في دنياهم وآخرتهم، ولكن عندما كفروا وناقفوا كان كمن أنزل

ماء على النار فذهب ما بها من نور وبقيت شعلة النار أي لم يكونوا مؤمنين حقاً ولم يستفيدوا

من الإيمان إلا أنهم بقوا يُسمَّون مسلمين أمام الناس ولم يحم عليهم أي حكم من أحكام الكافرين .

وقال الإمام السُّدي: -"إن ناساً دخلوا في الإسلام عند وصوله عليه السلام إلى المدينة ثم إنهم

ناقفوا ، والتشبيه هنا في نهاية الصِّحة لأنهم بإيمانهم أولاً اكتسبوا نوراً ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا

¹ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (56/1)

² الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل (29/1).

ذلك النور ، ووقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين لأن المتحير في طريقه لأجل الظلمة لا يخسر إلا القليل من الدنيا ، وأما المتحير في الدين فإنه يخسر نفسه في الآخرة أبد الأبدين"¹

و هنا يرد تساؤل لماذا لم يقل يذهب الله نارهم بل قال نورهم؟

يجيب عليه الإمام ابن القيم فيقول : -" وذهب الله بنورهم ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه ولهذا قال (فهم لا يرجعون)"²

والمناقفون عندما ادّعوا الإسلام استفادوا بالدنيا بأن أكلوا وشربوا وأمنوا وحققوا دماءهم، وكان المسلمون يناكحونهم ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء ، ولكن عندما ماتوا خسروا خسارة كبرى إذ لم ينتفعوا بما بالإسلام وأدخلوا النار فهم كمن سلب صاحب النار ضوءه.

وفي تشبيهه الله سبحانه بالإيمان بالنور والكفر بالظلمة يظهر أن النور أبلغ الأشياء في الهداية إلى المحجة القصوى وإلى الطريق المستقيم وإزالة الحيرة وكذلك الإيمان هو الطريق الواضح إلى الله تعالى وإلى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لأن الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد إلا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة إلا حيرة.³

وأما الأمام محمد رشيد رضا فيقول معقبا على الآية الكريمة : - " استَوْقَدُوا بِفِطْرَتِهِمُ السَّلِيمَةَ نَارَ الْهُدَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِتَصَدِيقِهِمْ فَلَمَّا أَضَاعَتْ لَهُمْ بُرُوقُهَا وَوَضَحَ لَهُمْ طَرِيقُهَا فَاجَأَتْهُمْ التَّقَالِيدُ الْمَوْرُوثَةُ وَبَاغَتَتْهُمْ الْعَادَاتُ الْمَأْلُوفَةُ وَشَغَلَتْهُمَ مَا يَتَوَهَّمُونَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْفَوَائِدِ وَمَا يَتَوَقَّعُونَ فِي الْبَاعِرَاضِ عَنْهَا مِنَ الْمَصَارِعِ وَالْمَفَاسِدِ عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِذَلِكَ الضَّوِّ عَلَى سُلُوكِ ذَلِكَ

¹ الرازي ،التفسير الكبير (67/2)

² ابن القيم ، الأمثال في القرآن الكريم (10-9/1).

³ أنظر : الخازن ، لباي التأويل في معاني التنزيل (29/1).

الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالتَّفْرِقَةَ بَيْنَ نَهَارِهِ الْمُشْرِقِ وَظُلُمَاتِ لَيْلِهَا الْبَهِيمِ بَلِ اسْتَبَدَّلُوا هَذَا الدِّيْجُورَ
بِذَلِكَ الضِّيَاءِ وَالنُّورِ" ¹

والنور الحقيقي هو النور المتصل بالله سبحانه ، وماعداه هو ظلمات توصل صاحبها الى الردى
والهلاك لذا نجد الله تعالى يقول : - "وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ" ²

المطلب الثاني : - المنافقون المترددون

وهم من شبَّههم الله بأصحاب صيِّب وهو المطر الذي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد
وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه ، وهذا مثله مثل المنافق
فهو لضعفه وضعف بصائره وعقله اشتدت عليه زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره
ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق ، فهو بإيمانه ثم كفره كمن وضع يديه في أذنيه خشية
الإيمان ، والله تعالى محيط بهم، قدرة وعلما فلا يفوتونه ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم،
ويجازيهم عليها أتمَّ الجزاء.

وتشير الآية الكريمة إلى أنَّ المنافقين مصابين بنوعين ³ من الصَّم 4 والبكم ⁵ والعمى :-

الأول: المعنوي وذلك في قوله: - " صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ " وذلك لأنَّهم بنفاقهم سدَّت عليهم طرق الإيمان.

والثاني: حسي حيث قال : - " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ " حيث بين الله أنه قد
يصيبهم بالعمى والصمم وذلك تحذير لهم وتخويف بالعقوبة الدنيوية، ليحذروا، فيرتدعوا عن
بعض شرهم ونفاقهم، فالله تعالى لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء.

¹ رضا، محمد رشيد بن علي (ت:- 1354هـ) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) مج12 الهيئة المصرية العامة
للكتاب، 1990م، (143/1).

² سورة النور (آية 40).

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (44/1).

⁴ الصمم : انسداد الأذن وتقل السمع ويقال رجل أصم أي لا يسمع .ابن منظور ،لسان العرب (342/12).

⁵ البكم من كم ، أي الخرس مع عي وبله . ابن منظور ،لسان العرب (53/12).

وفي بيان حالهم جاء قوله تعالى : -" يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا" ذلك أنَّ المنافقين يتخبَّطون في نفاقهم فهم قوم يظهر لهم الحقُّ تارة، ويشكُّون تارة أخرى، فهم كلُّما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به وأتبعوه، وتارة تعرَّض لهم الشُّكوك تظلم قلوبهم فيقفوا حائرين فحالهم كحال جماعة يمشون في العراء، فينصب عليهم مطر شديد، تصاحبه ظلمات بعضها فوق بعض، مع قصف الرعد، ولمعان البرق، والصواعق المحرقة، فإذا هدأت وأضاءت الدنيا مشوا ، وإذا عادت الصواعق والرعد وقفوا لا يعرفون ما يفعلون .

ثم بيّن الله أنَّ القرآن دلَّ على عوراتهم حيث إنهم كلما أصاب المنافقين من عزِّ الإسلام اطمأنوا إليه، وإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر، كما قال سبحانه وتعالى عنهم في سورة أخرى : -" ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۚ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴾ " 1

وبعدما بيّن الله أقسام المنافقين في المثليين السابقين دعاهم الى الإيمان والى عبادة الله تعالى وعدم الشك به حيث قال : -" يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " 2

وهذه الآية دعوة للناس أجمعين لعبادة الله الذي خلقهم والذين من قبلهم ، لأنَّ ربهم الذي تفرّد بالخلق وجب أن يتفرّد بالعبادة.

نستنتج من الآيات السابقة : -

1. أنَّ هناك قسماً من الناس آمنوا بالوحي ظاهراً وكانوا في باطنهم كافرين وهؤلاء هم المنافقون.
2. أنَّ المنافقين نوعان : - منافق خالص لا إيمان عنده ، ومنافق متردّد مرة يكون مؤمناً ومرة يشكُّ ويتردّد في هذا الدين .

¹ سورة الحج (آية 11).

² سورة البقرة (آية 21).

3. أن المنافقين في الدنيا يطبق عليهم أحكام المسلمين فهم آمنون في أموالهم وأعراضهم ودمائهم ، يجوز نكاحهم ووراثتهم وتوريثهم ، ولايجوز إقامه حدّ الردّة عليهم إلّا إذا أظهروا الكفر الصريح

4. المنافقون يوم القيامة يعذبون عذاباً شديداً، ويخسرون خسراناً كبيراً حيث قال الله تعالى : -

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾¹

5. المنافق لا يستقرّ على حال ، ويظهر هذا في علاقاته الاجتماعية حيث ينفر الناس من حوله ،

لأنه لا ينطلق من مبدأ ، بل من المصلحة هي التي تحركه ، لذلك هو خاسر في الدنيا والآخرة .

¹ سورة النساء(آية 145).

المبحث الرابع

موقف الكافرين من الوحي

بعدما بين الله تعالى موقف المؤمنين والمنافقين من الوحي ، بين موقف الكافرين منه وكيفية تعاملهم معه ثم حذر المؤمنين من طاعة الكافرين واتباعهم وذلك في ثلاثة أمثال قرآنية.

ولقد قسمت هذا المبحث الى مطلبين :-

المطلب الأول: - موقف الكافرين من الوحي وكيفية تعاملهم معه.

إنَّ الكافرين عندما سمعوا الوحي، أعرضوا عنه ولم يصدّقوه أو يتّبِعوه فضرب الله لهم مثلين لذلك حيث قال :-

1. ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يُلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾¹

2. ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾²

وعند استعراض المثل الأول نجد أنّ الله تعالى ذكر قصّة شخص جاءه الوحي وغمره حيث أصبح كاللباس السابغ، الذي لا يفارقه، ولكنه تعمد أن يخرج من لباسه وجسمه، وينسلخ: أي يخرج منها كما تخرج الذبيحة من جلدها وبهذا يكون قد سلك سبيل الضلال وسار فيه، فهو يتّبِع الشيطان؛ لأنه إذا انسلخ من الوحي والإيمان فقد اتجه إلى الضلال، فأتبعه الله للشيطان

¹ سورة الأعراف (الآيات 175-176).

² سورة الجمعة (آية 5).

وصار تابعاً له؛ لأنه ترك رحمة الرحمن بترك الوحي ومن ترك رحمة الله، أدخله الله تعالى حظيرة الشيطان، وصار من أتباعه.

وعندما رجعت الى كتب التفاسير وجدت المفسرين إختلفوا فيمن هو الشخص الذي أراد الله تعالى بهذا المثل وكلها لم تثبت بسند صحيح يصلح تفسيراً للقرآن، ولذلك لم أذكرها، ورأيت أنّ الرّاجح هو ما قاله المرحوم سيد قطب حيث قال: "إنّها خط قصصي عن حالة ترد بعض الروايات بأنّها وقعت في تاريخ بني إسرائيل . . ولكنّ الأرجح أنّها نموذج غير مقيد بزمان ولا مكان إنّما هو تصوير لحالة مكرورة في النفوس والتاريخ . كلّما أوتي بعض الناس نصيباً من العلم كان خليفاً أن يقوده إلى الحقّ والهدى فإذا هو ينسلخ مما أوتي من العلم فلا ينتفع به شيئاً ويسير في طريق الضلالة كمن لم يؤتوا من العلم شيئاً . بل يصير أنكد وأضلّ وأشقى بهذا العلم الذي لم تخالطه بشاشة الإيمان الذي يحوّ هذا العلم إلى مشكاة هادية في ظلام الطريق!"¹

فالذي انسلخ من آيات الله تعالى (الوحي) وقد أسبغها الله تعالى عليه حيث شاء الله رفعه بها إلى أعلى الدرجات لو كان قد سلك سبيل الله ولم يرفض نعمة الوحي البين ولكنّه أخذ إلى الأرض وسكن فيها بنزواتها وأهوائها وشهواتها، وأتبع هواه، فلم يسيطر على شهواته، وكان عبداً لها، فاستوى عنده البيّنات والظلمات صار مثله في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالإيمان والوحي كالكلب في لهته في حالتيه، إنّ حملت عليه وإن تركته، فهو يلهث في الحالين، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه، ولذلك مثله الله تعالى بالكلب الذي يندلع لسانه لاهثاً دائماً، فشيبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره فترك العمل به وأتبع هواه، وأثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق، بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدراً وأخبثها نفساً، فهمته لا تتعدى بطنه، وأشدّها شرهاً وحرصاً، ومن حرصه أنّه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم

¹ قطب، في ظلال القرآن (1391/3).

و يتروح حرصاً وشرهاً ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزائه وإذا رميت له بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا والجيف.¹

ويرد الإمام أبو زهرة سبب هذا إلى الهوى الذي هو سبب المهالك إذ يقول: "إنه عبّر عن اتّباع الهوى، والتردي في مهالكه بـ (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ) لأن السبب هو سيطرة الهوى، والهوى هو باب الشيطان الذي يدخل منه إلى القلوب، فعبر باسم المسبب وأراد السبب وهو اتّباع الهوى"²

فقلب الكافر ضعيف فارغ من الهدى، تحيط به آيات الله التي تدعم فطرته التي فطر عليها، فلا يلتفت إلى دلالتها، وينحط إلى مهاوي الشيطان، فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه، وأتبع هواه فهو كالكلب لا همّ لهم إلا في تحصيل أكلة أو شهوة.

ولقد قال الإمام الخطيب مبيناً خطر الهوى: "واتّباع الهوى من أشدّ الموبقات المهلكات؛ وهو إحدى موارد النار؛ فقد خلق الله تعالى الإنسان مزيجاً بين الخير والشر؛ وأبان له عن كليهما حقّ التبيين قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾"³ ثم ميزه بالعقل الذي يعقله عن الفجور المؤدّي إلى النار، ويمهد له سبيل التقوى المؤدّي إلى الجنة وما من إنسان - كائن من كان - إلا ويميز في نفسه بين الخير والشر، والطيب والخبيث؛ وقد نقل قدرته على هذا التمييز، أو تنعدم أصلاً؛ إذا كان مصاباً بفساد عقله، أو بذهابه، غير أنه لا يمكن القول بأنّ ثمة مخلوقاً قد عدم التمييز بين الخير والشر انعداماً تاماً؛ وهو في تمام صحته، وكمال عقله. بل لا بد أن تكون لديه فكرة كاملة عن أن بعض الأعمال شرّ وبعضها خير؛ حتى الحيوان الأعجم فإنّه يحسّ في قرارة نفسه ما هو شر، وما هو خير، وما هو مشروع، وما هو غير مشروع. أريت إلى القطة كيف استطاعت أن تميّز بين ما هو مباح، وما ليس بمباح؛ فبينما هي تأكل ما تعطيه لها أمانة مطمئنة؛ إذا بها تفرّ فراراً بما تسرق أو تخطف، وتتوارى به عن

¹ انظر: ابن القيم، الأمثال في القرآن (ص 27).

² أبو زهرة، زهرة التفاسير (3008/6).

³ سورة الشمس (الآيات 7-8).

الأعين؛ وتتنظر إليك شزراً نظر الخائف المرتعب، فالإنسان إذا ما اتبع هواه، ولم يستطع أن يقاوم في نفسه قوى الشر: فقد انحط بإنسانيته إلى مرتبة هي دون مرتبة البهائم أما إذا قاوم هواه، وحارب نفسه، وألزمها الخير المحض، وجنبها الإثم والشر: فقد ترقى بها إلى مراتب الأملاك، وصار أهلاً لخلافة الله تعالى في أرضه، وخليقاً بتبوء جنته، والتقلّب في نعمته " 1.

ولاتباع الهوى أبعاد على النفس البشرية ، وأهم هذه الأبعاد :-

- استحقاق العذاب الأليم قال تعالى :- " وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ " 2
- الختم على القلب :- " وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ " 3
- الحرمان من هداية الله :- " أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ " 4
- الذل والحرمان من النصر :- " وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ " 5
- فساد نظام الكون :- " وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ " 6.

¹ الخطيب ، أوضح التفاسير (205-206).

² سورة ص (آية 26).

³ سورة محمد (آية 16)

⁴ سورة الجاثية (آية 23).

⁵ سورة البقرة (آية 120).

⁶ سورة المؤمنون (آية 71).

ولقد تضمن هذا المثل عدة فوائد¹ وهي:-

أحدها: ان صاحبه ضلّ بعد العلم واختار الكفر على الايمان عمداً ولا جهلاً.

ثانيها: أنه فارق الايمان مفارقةً من لا يعود اليه أبداً فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها .

ثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه ولهذا قال فأتبعه الشيطان ولم يقل تبعه فإنّ في معنى أتبعه أدركه ولحقه وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى.

رابعها: أنه غوى بعد الرشد والغى الضلال في العلم والقصد وهو أخصّ بفساد القصد والعمل كما أنّ الضلال أخصّ بفساد العلم والاعتقاد فاذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر وإن اقترنا فالفرق ما ذكر .

خامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه فلو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخفّ لعذابه ففي ذلك دليل على أنّ مجرد العلم لا يرفع صاحبه فهذا قد أخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها فالرفعة بالعلم قدر زائد على مجرد تعلمه .

سادسها: أنه سبحانه أخبر عن خسة همته وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

سابعها: أنّ اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك وأصل الإخلاد اللزوم على الدوام.

ثامنها: أنه رغب عن هداة وأتبع هواه فجعل هواه إماماً له يقتدي به ويتبعه .

تاسعها: أنه شبهه بالكلب الذي هو أخصّ الحيوانات همة وأسقطها نفساً وأبخلها وأشدّها كلباً ولهذا سمى كلباً.

¹ ابن القيم ، الفوائد ، دار الكتب العلمية بيروت (ط2/ 1393 هـ - 1973م) (ص101-102). ابن القيم ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، دار الكتب العلمية بيروت (1412هـ - 1992م) (ص149).

عاشرها: - أنه شَبَّه لهثته على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدائها وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد وهكذا هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا وإن وعظ وزجر فهو كذلك فاللهث لا يفارقه في كل حال في حال الكلال وحال الراحة وحال الرِّي وحال العطش فضربه الله مثلاً لهذا الكافر فقال إن وعظته فهو ضالٌّ وإن تركته فهو ضالٌّ.

أما في المثل الثاني وهو قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾¹

وهذا المثل خاص باليهود فهم بالرغم من أنهم من أهل الكتاب حيث كانوا يؤمنون بالتوراة ، والتوراة جاءت مبشرة بسيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) وبالقرآن إلا أنهم أنكروا هذه البشرى وأنكروا الوحي (القرآن) فلم يؤمنوا به ولم يتبعوه لذا ضرب الله لهم هذا المثل ليبيِّن حقيقتهم وحقيقته إنكارهم للوحي حيث إنهم لم يعملوا بالتوراة، وأنهم لو عملوا بمقتضاها وما تضمَّنته من البشارة بهذا الرسول، لانفعوا بها وآمنوا به، ومثلهم في عدم الانتفاع بتوراتهم وترك العمل بها مثل الحمار الذي يحمل الكتب، ولم يصبه إلا العناء والتعب.

واليهود وإن كان لهم عقول وأفهام، فإنهم لم ينتفعوا بها فيما ينفعهم وفي إدراك الحقائق، لأنهم حفظوا اللفظ ولم يفهموه ولم يعملوا بمقتضاه بل أولوه وحرّفوه وبدّلوه، فهم أسوأ حالاً من الحمير، لأن الحمير لا فهم لها وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها واختير الحمار في هذا التمثيل لإظهار الجهل والبلادة، وما أشنع هذا التشبيه، وهو تشبيه اليهود بحق بالحمار، فلا تكونوا أيُّها المسلمون مثلهم، والله لا يوفق للحق والخير القوم الكافرين على العموم، ومنهم اليهود بصفة أولى.²

¹ سورة الجمعة (آية 5)

² أنظر: الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (191/28).

وهذا المثل لا يقتصر على اليهود فقط بل هو مثل عام كما يقول الإمام الخازن : - " وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه" ¹ أي أن في هذا المثل ذم لكل من تعلم الكتاب (القرآن) ولم يعمل بما فيه .

ولقد ختم الله المثل بالقول : - ﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وألله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صدق رسولنا وصدق ما جاء به وقد اقتضت حكمة الله أنه لا يهدي إلى طريق الخير من ظلم نفسه بأن أثر الغي على الرشد والعمى على الهدى والشقاوة على السعادة ومن ظلم اليهود وعنادهم، أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس .

لذا نجد أن الله تعالى تحدى اليهود بعدما ذكر حالهم حيث قال : - ﴿ قل يأتئها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صديقين ﴾ ²

ويظهر من خلال المثليين السابقين أن الكافرين عندما كانوا يُعرضون عن الوحي كانوا يُعرضون إما إتباعاً لأهوائهم أو كبراً كاليهود وذلك لأنهم ادعوا أنهم أولياء الله فكيف يتبعون الناس ويكونون مثلهم ، ونلاحظ من خلال المثليين أن هؤلاء الكفار كفروا بالرغم من وجود الأدلة الصارخة على صدق الوحي .

المطلب الثاني : - تحذير المؤمنين من إتباع الكافرين

لقد حذر الله تعالى المؤمنين من مخالفة أوامره ووحيه وإتباع الكافرين فيما يقولون ، وأظهر هذا التحذير عن طريق قوله تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا

¹ الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل (4/290).

² سورة الجمعة (آية6)

يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ¹ وقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ².

حيث جاء المثل الأول بعد أن بيّن الله تعالى حرمة أكل الميتة ، وجدال الكافرين للمؤمنين في هذا الحكم فبيّن الله أنّ من أطاع الله تعالى وقبل نور الوحي والإيمان ، حيث صار يمشي بين الناس متبصراً في أموره، مهتدياً لسبيله، عارفاً للخير مؤثراً له، مجتهداً في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفاً بالشر مبغضاً له، مجتهداً في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره فهذا المؤمن كان قبل الوحي ميتاً في الضلالة، هالكاً حائراً، فأحياه الله، وذلك أن أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووفقه لاتباع رسله.

أيستوي هذا بمن هو في ظلمات الجهل والغي والكفر والمعاصي التبتت عليه الطُّرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهمّ والغمّ والحزن والشقاء، فلم يزل الشيطان يحسن لهم أعمالهم، ويزينها في قلوبهم، حتى استحسوها ورأوها حقاً. وصار ذلك عقيدة في قلوبهم، وصفة راسخة ملازمة لهم، فلذلك رضوا بما هم عليه من الشرِّ والقبايح، إذا فالمثل نفرّ المسلمين من طاعة المشركين إثر تحذيرهم عنها بالاشارة إلى أنّهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركون غارقون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل طاعتهم لهم ³.

قال الإمام الطبري في تشبيه الكافر بالميت :- " فجعله جلّ ثناؤه لانصرافه عن طاعته، وجهله بتوحيده وشرائع دينه، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه " ⁴

ولقد بيّن الله تعالى في المثل أنّ الإيمان بالوحي حياة ، فهذه العقيدة تنشئ في القلب حياة بعد الموت وتطلق فيه نوراً بعد الظلمات . وأنّ الكفر والشرك موت ، وأنّ هذا الشرك قد زين في

¹ سورة الأنعام (آية 122).

² سورة الملك (آية 22).

³ الألووسي ، روح المعاني (18/8).

⁴ الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن (22/8)

نفوس المشركين كما زُيِّنَ الله الإيمان في قلوب أهل الإيمان زين الشيطان الشرك في نفوس الظالمين الجاحدين حيث إنهم لا ينظرون ولا يفهمون أنهم ظالمون، وبهذا يبين الله تعالى أن الإنسان بدون إيمان هو ميّت متحرّك ويأتيه الوحي ليحيا حياة راقية .

بينما جاء المثل الثاني توضيحاً لحال المؤمن والكافر وبين صح مذهبهما حيث جاء المثل توبيخاً للمشركين على عبادة الأصنام بعد إثبات قدرة الله واختصاصه بعلم البعث ، حيث قارن الله بين المؤمن المتبع لدين الله والكافر المنكر لدينه ، فالكافر كمثل من يمشي متعثراً في كل وقت، منحنياً غير مستو، لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب، بل هو تائه حائر ضال بينما المؤمن سير معتدلاً ناظراً أمامه على طريق مستو، لا اعوجاج به ولا انحراف فيه، فهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة، سواء في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا إذ يسير على منهج الله يكون على هدى وبصيرة، وفي الآخرة يحشر على طريق مستقيم يؤدي به إلى الجنة.

فمن يكون مطرّقاً إلى هوى نفسه بجبلة طبعه بغير هدى من ربه أهدى أم من يكون متبعاً شرائع الإسلام مقتدياً بالنبیین .
نستج من الآيات :-

1. أنّ الوحي كان ظاهراً للمشركين والكافرين يعرفون بقراره أنفسهم صدقه إلا أنّهم كذبوا وكفروا به إمّا إتباعاً للهوى أو كبراً وعناداً .
2. أنّ الهوى داءٌ خطير وهو أساس كل فساد وشرك في الأرض .
3. أنّ على من يتعلم العلم العمل بهذا العلم وعدم القيام بخلافه وإلا يصبح كالكلب أو الحمار لا يستفيد ممّا علم .
4. أنّ الله تعالى أعلم أهل الكتاب بصدق نبوة سيّدنا مُحَمَّد (صلى الله عليه وسلم) إلا أنّهم كفروا وجددوا ما علموا كبراً وعناداً .
5. على العالم أن يتفكر في خطورة إتباع شهواته ، وأنّ الخطر محقق به أكثر من غيره فهو إن تبع شهوته يحمل وزره ووزر من اتّبعه .

6. تحذير المؤمنين من إتباع المشركين وإطاعتهم في أحكامهم .
7. المؤمن حيّ بنور الوحي ، ومن كفر وأشرك فهو ميت .
8. التّفكّر بالأمثال وأخذ العبر منها حيث إنّ هذه الأمثال تناسب كل عصر وزمان وليست خاصة بشخص أو زمن معين .

الخاتمة

وفي خاتمة هذه الدراسة تظهر لنا النتائج التالية: -

1. للعقيدة أهمية كبرى في الإسلام إذ:- أنها أصل الدين و من مقومات الخلافة في الأرض وأنها تحقق الحرية من العبودية لغير الله تعالى وأنها من ضروريات الحياة للإنسان.
2. إنَّ الله يضرب الأمثال من باب قيام الحجَّة على النَّاس ، حيث ضرب الأمثال ايضا للأمم السابقة وقام في المثل على إقناعهم بالقضية المضروب لها المثل وذلك لإقامة الدليل القاطع على القضية التي ضرب المثل لها .
3. إنَّ الله لما ضرب المثل بيّن الممثل له وقرب صورته الى ذهن المخاطب إنَّ الله دلَّنَّا على وسيلة من وسائل التربية ألا وهي إبراز النماذج الخيرة الصالحة ، وما ينالونه في الدنيا والآخرة من فوز وسعادة وذلك ليكونوا قدوة يقتدى بهم ،مع إبراز النماذج الشريرة الضالَّة وبيان صفاتهم وأعمالهم وكيف كان مصيرهم وذلك ليحذر من اتباع طريقهم .
4. إنَّ أمثال القرآن الكريم جاءت لخدمة الحياة بكل متطلباتها، حيث نظرت إلى الإنسان وواقعه، فالقرآن الكريم كتاب شامل كامل لم يترك شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا بيّنه وأجلّاه،
5. النهي عن الشرك في عبادة الله ، وذلك لأن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله ، فقد جعل ذلك المعبود مع الله نداً له ويكون مماثلاً له في الألوهية واستحقاق العبادة ، لذا كان النهي عن إتخاذ الشركاء والأنداد ، في الذات أو الصفات ، أو الألوهية أو الربوبية ونحو ذلك مما تفرّد به سبحانه ، ف ذكر الله صفات تبين وجوب عبادته وترك عباده الأصنام وتبين بالدليل أنه ليس له ند ولا شريك فأول أمر هو عبادة الله ، وأول نهْي هو النهي عن إتخاذ الأنداد مع الله .
6. النهي عن ضرب الأمثال القولية الفاسدة له والتي يضربها الجاهلون ، ويكونون بضربها بمثابة من يُعلم الله أمّا ما يضربه الله لنفسه أو أحدٍ من العالمين بالله ، والتي لا تتضمن شيئاً من المحظورات ، وتؤدّي الى الاستدلال على إثبات ما أثبت الله لنفسه من الصّفات ، ونفي ما لا يليق

به من النَّقص ، والتي ضرب الله جنسها لنفسه في كتابه مُعلِّماً عباده كيف يستدلُّون عليه ، فهي من الأمثال المشروع ضربها الله سبحانه، فكل مثل يوافق ما هو ثابت لله من الوصف الأكمل، فهو مثل الله لا يجوز الإخبار به عن غيره.

7. إنَّ الإسلام هو دين الفطرة والتوحيد ، فهو يوجِّه الناس إلى ما يصلحهم وينفعهم، وينسجم مع فطرتهم البشرية إنَّ مذهب المشركين في عبادة الأوثان وتعدّد الآلهة باطل لا يقبله عاقل سليم العقل، ولكن عند الاعتراف بربوبية الله وتوحيده، لا يكون هنالك مجال لما يشوّه الفطرة.

8. إنَّ مصير جميع الخلائق إلى الله لحسابهم وتصفية منازعاتهم والقضاء العدل بينهم سواء المؤمنون والكافرون، فيتخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم.

9. أثبت الله لنفسه صفة النور وأنَّ النور هو اسم من أسمائه ، وبما أنَّ الله نور فكل ما يصدر عنه نور فالقرآن كلام الله هو نور من الله للمؤمنين الذين يتبعونه ويطبقونه في حياتهم ..

10. أهميّة العلم والتعلّم وخاصة العلم الشرعي "القرآن والسنة" والتي هي وحي الله "نور الله في الأرض" و بيان أهمية العلماء وذلك لقوله تعالى : - " وَمَا يَعْهَلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ " .

11. إنَّ القرآن جاء تهذيباً وتعليماً للناس لذا تُعتبر سورة النور من أكثر السور التي أحتوت على قوانين اجتماعية ونظماً تربوية تملأ حياة من التزمها نوراً وسعادة، و بهذا التعليم وهذا التّهذيب وهذا التّوجيه عالج الله مشاكل الكيان البشري.

12. لقد بين الله أن "نور الإيمان" يزيد بالطاعة، لذا بعدما أنهى المثل قال الله تعالى في الآية

التي تليها :- ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصَالِ ﴾ (٣٦) حيث خصّص الله نور العلم والإيمان بكونه في المساجد، أي أن نور الإيمان

يزيد بالطاعة وخاصة الفرائض ، فالنور يشرق أكثر في بيوت الله عند القيام بالطاعات لذا ورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند دخول المسجد قوله :- "اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي

لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا وَمِنْ أَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا¹

13. إثبات صفات الكمال لله والولد صفة نقص تدل على الحاجة ، وهذا لا يليق بالله تعالى جل

جلاله، لذا قال الله تعالى :- ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾² وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سَبْحًا³ وبالتالى تنزىة الله عن الولد والشريك .

14. إبطال لجميع عقائد النصرانية في عيسى عليه السلام، وإثبات أنه بشر من طين، مثله مثل سيدنا

آدم عليه السلام، وإن كان لابد من ادعاء النبوة والإلهية في المسيح، فادعاهما في آدم من باب أولى وأحرى و أن الرسل جميعا سواسيه، ولا يجوز أن نفرق بين نبي وآخر في الإيمان بهم وفيه ردّ على اليهود الذين رفضوا نبوة سيدنا عيسى فكما تؤمنون أيها اليهود بأن آدم عليه السلام نبي مرسل ، يجب أن تقرّوا بأن عيسى عليه السلام هو أيضا نبي مرسل من الله .

15. إثبات قدرة الله تعالى على الخلق ، وأن مسألة الإنجاب والخلق لا تخضع للأسباب إنما لإرادة المسبب سبحانه فإذا أراد قال للشيء "كن فيكون" .

16. إثبات القاعدة القائلة :- إن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد

وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدرح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل⁴ .

17. إن من عظم مخلوقاً فوق منزلته التى يستحقها، بحيثُ أخرجهُ عن منزلة العبودية المحضة، فقد أشرك بالله، وعبدَ مع الله غيره، وذلك مخالفٌ لجميع دعوات الرُّسل .

¹ مسلم ، صحيح مسلم، كتاب الصلاة ، باب الدعاء في صلاة الليل وقِيَامِهِ (ح763) (530/1).

² سورة مريم (آية 92)

³ سورة مريم (35).

⁴ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (133/1).

18. إنَّ عيسى بولادته من غير أب لدليلٍ على قيام الساعة " فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا " فكما خلقه من غير أب قادر على أن يعيد خلقنا يوم القيامة ومحاسبتنا، فهو القادر على كلِّ شئٍ وإثبات أن سيدنا عيسى لم يمِت، بل مازال حيًّا، وسينزل آخر الزمان قبل قيام الساعة.

19. وإثبات صفة العبودية للملائكة فهم عباد كسائر العباد، ولا مقتضى لتخصيصهم بصفة غير صفة العبودية في علاقتهم بربهم وخالقهم، وكلَّ خلق الله عباد له و وجوب التأدب مع الله عزَّ وجلَّ عند الحديث عنه .

20. إثبات عجز الآلهة المعبودة من دون الله عن الخلق ففاقد الشئ لا يعطيه وأنَّ الله خلق كل شئٍ لحكمة حتى الذباب الذي يستفد منه النَّاس فهناك حكمة وإعجاز في خلقه ودعوة الى التَّفكر والتَّأمل في مخلوقات الله التي تدلُّنا على عظمة الله وقدرته في الخلق .

21. ضعف الآلهة المعبودة من دون الله فهي كبيت العنكبوت لا يستطيع أن يصمد أمام الريح فكيف سيحمي غيره ، وفيه رساله الى الذين يلجأون ويعبدون غير الله تعالى ، أن ما يلجأون اليهم سيكونون سبب هلاككم وشقائكم في الدنيا قبل الآخرة لذا يحرم اللجوء وطلب الحماية والمعونة من غير الله تعالى، و كل من يزور المقامات والمزارات ويقدِّسها ويطلب العون من سكانها فهم كمن يهرب من المطر ليحتمي ببيت للعنكبوت وهنا يدخل التحذير من جميع أنواع الشرك سواء الجلي أو الخفي .

22. الله تعالى من أسمائه الحسنی الحییّ فهو يتَّصف بالحياة، وحياء الله تعالى صفة يتَّصف بها على الوجه الذي يليق به فحياؤه تعالى لا يشبهه حياء المخلوقين و من أسماء الله الحسنی الحكيم والعزیز .

23. من خصائص المثل إن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك .

24. الدُّنْيَا لها صفات وهي: - لهو، زينة، تفاخر بالأنساب، تكاثر بالأموال والأولاد، وهي متاع الغرور ولقد حذر الله من الركون وتعظيم الدنيا ونسيان الآخرة فالدُّنْيَا دار فناء والآخرة دار البقاء وهي لاتساوي عند الله تعالى جناح بعوضة.

25. دعوة إلى التَّفَكُّر في الموت والبعث والخلق وأنَّ أول ما يحاسب عليه العبد هو الإيمان، ومن ضمنه الإيمان بالحساب والحشر يوم القيامة ، ومن نعم الله تعالى ومكافأته لأهل الإيمان يوم القيامة هو النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى .

26. تنزيه الله عما نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث فإنَّهم ما قدروا الله حق قدره وكل من أنكر البعث فإنَّما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى والنَّهي عن مقارنة قدرة الله تعالى بقدرة المخلوقات ،فإنَّه تعالى الذي خلق السموات والأرض أليس بقادر على إعادة بعث الناس وإحيائهم وأن من تمام عدل الله تعالى إعادة الناس وبعثهم من القبور وذلك لينفذ فيهم حكم الجزاء أي ليحاسب كل إنسان على عمله وما قدم من خير أو شر .

27. أنَّ أعمال الناس ستعرض على الله تعالى وللإعمال شروط حتى تقبل وهي : -عدم المنّ والأذى في العمل وأن يكون العمل خالصاً لله يراد به وجه الله وتثبيت النفس على الإيمان ويكون موافقاً للشرع وما يرضي الله تعالى، فمن تحققت هذه الشروط في أعماله فإنَّ الله تعالى يقبل العمل ويضاعف الأجر من حسنة إلى سبعمائة ضعف .

28. إنَّ العبد إذا لم يكن مؤمناً وكان كافراً فإنَّ الله تعالى لن يقبل من عمله شيئاً ولو كان ملء الأرض ذهباً ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ ﴾¹، فالكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء، فإِنَّه لا يظلم عباده فالكفار يجازون على أعمالهم في الدُّنْيَا من سمعة أو شهرة أو مكسب مادي ويخسرون في الآخرة وذلك تطبيقاً لقاعدة أنَّ الذي يدفع الأجر هو من عملت له العمل ، فمن عمل للناس يأخذ منهم الأجر ومن عمل لله فإنَّه يعطيه خير الأجر والثواب .

¹ سورة آل عمران (آية 91).

29. وصف الله الجنة بعدة صفات :- أكلها دائم ، ظلّها دائم ، فيها جميع أنواع الثمرات ، فيها أنهار من عدة أنواع (العسل ، الخمر ، اللبن ، الماء) ثم أتمّ هذه المكافآت بأهم شئ وهي مغفرة الله تعالى والخلود حيث لا خروج من نعيم الجنة بل البقاء إلى الأبد ، ووصف الله الجنة بكل ما يرغب به الإنسان لكي يرغب بدخولها ، والنار بكل ما يرهّب به الإنسان ليرهبها ويتجنبها .

30. ماء نار جهنم ماء حميم يقطع الأمعاء من شدّة غليانه وهناك ملائكة خاصة بالنار حددهم الله بتسعة عشر وهم نقباء أي المسئولون عن ملائكة النار فمن يدخل النار خالداً فيها لا يخرج منها إلّا من رحمه الله بالشفاعة وأخرجه منها برحمته وكرمه وهذا لا يكون إلا لمن شهد أن لا إله إلّا الله .

31. أنّ القرآن منزل من عند الله تعالى وليس من عند رسوله (صلى الله عليه وسلم) وفيه إثبات نبوة سيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وبالتالي فيجب الإيمان بالقرآن وما فيه حتى إنّ هذا القرآن لو نزل على جبل لتصدّع الجبل من شدّة إيمانه وتأثره به، وذلك لأنّ عظمه القرآن الكريم بعظمة صفات منزله سبحانه وتعالى .

32. الله سيظهر الحق مهما علا الباطل وفيه أيضاً إشارة الى كلّ أنواع الباطل سواء في الدين أو العلم أو العمل فإنّه زائل لا محالة وهذا من بشريات المؤمن في الدنيا .

33. للقرآن صفات أنه ثابت من عند الله لم يتعرض الى تغيير ولا تحريف، كل آياته طيبة حتى آيات العذاب والوعيد لأنّ فيها الزجر والترهيب من المعاصي والذنوب ، مناسب بما فيه من أحكام وعقائد لكل زمان ومكان ، وفيه معجزات وأسرار، فمن أراد أن ينال رضى الله عليه أتباع ما فيه من أوامر وإجتنب نواهيه .

34. أنّ الثبات على هذا الدين هو فضل من الله إذ هو من يثبت المؤمنين في الدنيا والآخرة والإكثار من الدّعاء والطلب من الله الثبات على هذا الدين إذ ورد عن أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قول :- " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول

الله آمنة بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء"¹

35. أن من اتبع الوحي عليه أن يتصف بصفتين مهمتين : -الشدة على الكفار والرحمة على المؤمنين (الولاء والبراء) المحافظة على الصلاة، وهنا لابد من تحذير قوي أن من لا يتصف بالصفات السابقة فقد يتصف بالكفر و عليه مراجعه إيمانه ، وأن حب الصحابه واجب ومن يبغضهم فعليه الحذر قد يكون دخل ضمن الكفر لأن الله بين أنه بهم يغيض الكفار ، ويدخل مع الصحابه المؤمنين ومن اتبع هذا الوحي فمن يكره رؤيه أنتصار المؤمنين وفرحهم فقد دخل ضمن الكفر .

36. أن هناك قسماً من الناس آمنوا بالوحي ظاهراً وكانوا في باطنهم كافرين وهؤلاء هم المنافقون وهؤلاء نوعان :- منافق خالص لا إيمان به ، ومنافق مترد مرة يكون مؤمناً ومرة يشك ويتردد في هذا الدين و أن المنافقين في الدنيا يُطبق عليهم أحكام المسلمين فهم آمنون في أموالهم وأعراضهم ودمائهم ، يجوز نكاحهم ووراثتهم وتوريثهم ، ولايجوز إقامه حد الردة عليهم إلا إذا أظهروا الكفر الصريح ولكنهم يوم القيامة يعذبون عذاباً شديداً، ويخسرون خسراً كبيراً حيث قال الله تعالى :- ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾²

37. أن الوحي كان ظاهراً للمشركين والكافرين يعرفون بقرارة أنفسهم صدقه و الله تعالى أعلم أهل الكتاب بصدق نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، إلا أنهم كفروا وجدوا ما علموا كبراً وعناداً أو إتباعاً للهوى فالهوى داءٌ خطير وهو أساس كل فساد وشرك في الأرض وحذر الله المؤمنين من اتباع المشركين وإطاعتهم في أحكامهم .

¹ قال الإمام الترمذي هذا حديث حسن ، وقال الإمام الألباني هذا حديث حسن لغيره .الترمذي ، سنن الترمذي ،كتاب

القدر،باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن (ح2140)(4/448). الألباني، السلسلة الصحية - مختصرة (ح2019)(5/126).

² سورة النساء(آية 145).

38. إنَّ على من يتعلم العلم العمل بهذا العلم وعدم القيام بخلافه وإلا يصبح كالكلب أو الحمار لا يستفيد مما علم ، لذا على العالم أن يتفكر في خطورة اتِّباع شهواته ، وأن الخطر محقق به أكثر من غيره فهو إنَّ تبع شهوته يحمل وزره ووزر من اتَّبعه.

وبعدما أستخلصت هذه النتائج أوصي :-

1. على كلِّ من يتصدى للتربية والتعليم أن يتزودوا بالعلم الشرعي لأنَّ كمال الإنسانية وصلاحها لا يكون إلا بالعلم الشرعي من "القرآن والسنة" ، و لابدَّ من تركيز الجهود على نشر العلم الشرعي الذي هو نور للناس أجمعين.
 2. استخدام الأمثال القرآنية لتقريب الدروس والعقائد لعقول الناس وخاصة طلبة المدارس .
 3. الدَّعوة الى التركيز على العقيدة في تربية أبنائنا لأنها هي أصل هذا الدِّين فإن دُمِّرَت دُمِّرَ الدِّين .
 4. الدَّعوة الى تخصيص بعض خطب الجمعة للحديث عن مثل من الأمثال والعقائد التي يرسِّخها .
- وفي نهاية هذه الدراسة إنَّ أصبَّت فمن الله المنان وإنَّ أخطأت فمن نفسي والشيطان .

المصادر

مسرد الآيات القرآنية

مسرد الأحاديث النبوية

مسرد الأعلام

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا	البقرة	17	15
مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عَمَى فَمَهُمْ لَا		20-17	184
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ		21	186
إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ		26	125
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ		27	131
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾		30	23
لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ		68	17
ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا ۚ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ		127	120

147	167-165		<p>وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾</p>
38	262-261		<p>مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾</p>
148	265-264		<p>يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾</p>
147	261		<p>مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ</p>
21	124	النساء	<p>وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا</p>
187	145		<p>إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٨٧﴾</p>
136	14	آل عمران	<p>زِينٍ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ</p>

			<p>المُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ</p>
1	19		<p>إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ</p>
95	59		<p>إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾</p>
98	60		<p>الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٨﴾</p>
1	85		<p>وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ</p>
202	91		<p>فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ</p>
153	117		<p>مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ</p>
21	5	المائدة	<p>وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِبْرَاهِيمَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ</p>
154	27		<p>إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ</p>
14	48		<p>لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا</p>
177	54		<p>يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۗ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ</p>

106	72		لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ^ط وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ
75	38	الانعام	مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ^ع
195	122		أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ^ع كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
53	162		قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^{١١٢} لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
26	13-11	الاعراف	وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِنَ السَّاجِدِينَ
188	176-175		وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ^{١٧٥}
42	42	الانفال	لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ ^ط
95	31-30	التوبة	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ^ط ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَسَلْنَا اللَّهُ أَنفَ يُؤْفَكُونَ ^{٣٠} اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ
20	109		أَفَمَن أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ

			خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَاهَا بِيَدِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
130	127		ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفٌ ۚ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ
163	107-106	هود	فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَسَهيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
17	51	يوسف	الْفَنَ حَصَّصَ الْحَقُّ
170	17	الرعد	أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۚ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
15	35		مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ۚ
22	17	ابراهيم	مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۚ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ
145	22		وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۚ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا

			بِمُصْرِحِيَّ إِلَىٰ
162	23		وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
172	26-24		أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾
172	27		يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾
145	51		لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾
41	45		وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَبَيَّنَّا لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ
55	2	النحل	يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾
21	36		وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
101	60		لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

55	76-73		<p>وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﷻ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ</p>
107	111	الأسراء	<p>وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾</p>
93	5-4	الكهف	<p>وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنَ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾</p>
164	29		<p>وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾</p>
134	45		<p>وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا</p>
137	46		<p>الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا</p>
147	49-48		<p>وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ</p>

			مَرَقِمٌ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّنِ جَعَلْنَا لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَاتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ بَوَيْلَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ
26	83		وَيَسْتَأْذِنُكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا
19	2	لقمان	تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ
17	12		وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ
1	123	طه	قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مَتَى هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى
64	21	مريم	قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا
200	35		مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ
93	91-88		وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
104	92		وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾
186	11	الحج	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا

			وَالْآخِرَةُ ذَلِكُ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ
54	62		ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ٦٦
110	72		وَإِذَا نُتِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ كُمُ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ
110	73		يَتَّيَّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
116	74		مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ
77	35-34	النور	وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ٣٤ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
155	40-39		وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ

			<p>مَاءً حَقَّقَ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظَلَمْتِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَعَابٌ مُّظْلَمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكُدُّهُ لَمْ يَكُدِّ يُرْتَبْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ</p>
24	55		<p>وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا</p>
38	24	يونس	<p>﴿٣٨﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَّرَتْ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا أَنَّهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ﴿٣٩﴾ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ</p>
136	25		<p>وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ</p>
94	70-68		<p>قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِن عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلِ إِنَّا لِلَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُم</p>

			الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ
93	68		قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴿٤٣﴾
118	41	العنكبوت	مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا
35	43		وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعٰلِمُونَ
44	43-41		مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾
92	25	الانبياء	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾
106	26		وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ
142	104		يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾
122	23	الفرقان	وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾

41	39		وَكَأَلَّا ضَرْبًا لَهُ الْأَمْثَلُ ^ط وَكَأَلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا
41	56		وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
27	38	القصص	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ
65	29-27	الروم	وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ ^ع وَ لَهُ الْأَمْثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾
69	30		فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾
47	58		وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ
139	83-73	يس	أَوْلَئِنَّ لِلنَّاسِ لَإِنْ سَأَلْنَا خَلْقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

			<p>مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ</p>
161	46	الصفات	بِضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ
161	47		لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾
23	39	فاطر	هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا
62	11	الشورى	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
14	13		شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
14	8		وَمَضَى مَثَلُ الْأُولَى
62	20-17		وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنلثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكِنَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾
14	56		فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ

62	60-57		<p>وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا يَا إِلَهَتُنَا خَيْرٌ أَمْرٌ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠)</p>
14	61		<p>وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)</p>
28	81		<p>قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ</p>
53	3	الزمر	<p>أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ</p>
70	29-27		<p>وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)</p>
35	27		<p>وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ</p>
82	69		<p>وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ</p>

			<p>﴿٦٩﴾ وَوَفَّيْتِ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ</p> <p>﴿٧٠﴾</p>
139	26	الرحمن	<p>﴿٦٩﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ</p>
161	19	الواقعة	<p>﴿١٩﴾ لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ</p>
134	20	الحديد	<p>أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ مِّنْ بَيْنِكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِبَهُ مُمْصِفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا</p> <p>وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ</p> <p>﴿٢٠﴾</p>
138	21		<p>سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ</p> <p>ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ</p> <p>﴿٢١﴾</p>
146	16	الحشر	<p>كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرُوا فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ</p> <p>إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ</p> <p>﴿١٦﴾</p>
42	3	محمد	<p>ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ</p>
158	15		<p>مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرَابِينَ وَأَنْهَرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ</p>

			أَمْعَاءَهُمْ
176	28	الفتح	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
15	29		مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۖ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
108	14	الملك	أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
130	29-25	المدثر	إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَنْزُرُ ﴿٢٨﴾ الْوَالِحَةُ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾
165	30		عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
158	31		وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۖ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْفِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ۖ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ
،32	22	الملك	أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
53	5	البينة	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ
162	8		جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

			خَلْدِينَ
198	8-7	الشمس	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾
16،40،201196	5	الجمعه	مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ^٤
194	6		قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
18	8	التين	أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ
93	4-1	الاخلاص	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث	رقم الحديث
163	-فَيَأْتُونَنِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ	1
137	إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ نُبَيِّضْ	2
114	إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنْ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْآخَرَى شِفَاءً	3
162	أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَ عَيْنٌ رَأَتْ	4
80	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ	5
178	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَسَبَّكَ	6
159	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ	7
81	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ	8
170	إِنَّ مِثْلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ غَيْثِ أَصَابَ أَرْضًا	9
171	إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدَّثُونِي	10
156	أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا أَشْرَكَ	11

81	أنت نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ	12
150	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا	13
40	إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْبَابِ الْمُعَقَّلَةِ	14
128	إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِينُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ	15
96	جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبًا نَجْرَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ	16
146	جُبَيْرٌ قَلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ سُورَةُ الْحَشْرِ قَالَ قُلْ سُورَةُ النَّضِيرِ	17
159	رَأَيْتَكَ تَتَاوَلُ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْتَكَ تَكَعَّكَتَ	18
94	قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ	19
110	قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فليخلقوا حبة فليخلقوا ذرة	20
65	قَالَ اللَّهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ	21
150	قَالَ ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطَى	22
141	كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ	23
80	كَانَتْ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ قَدْ سَأَلْتُ فَقَالَ رَأَيْتَ نُورًا	24

94	لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم يجعلون	25
180	لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَأَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ	26
148	لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة	27
90	اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل	28
200	اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل	29
128	لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء	30
141	ما بين النفختين أربعون قال أربعون يوماً قال أبيت قال أربعون	31
180	مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما	32
41	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة	33
41	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد	34
80	هل رأيت ربك قال نوراً أنى أراه	35
104	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم	36
111	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلفوا ذرة	37
54	يا معاذ قلت لبيك وسعديك	38

204	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنة	39
175	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنة بك وبما جئت به	40
158	يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ	41
164	يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ	42

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	اسم العلم	رقم العلم
15	قتادة بن دعامة	1
29	محمد رشيد رضا	2
30	روجيه جارودي	3
31	إيليا أبو ماضي	4
60	مجاهد بن جبر	5
67	أبو العالية	6
67	الفرزدق	7
69	ابن المنكدر	8
76	عكرمة	9
83	الضحاك	10
102	الأوزاعي	11
120	أفلاطون	12
192	السدي	13

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. أبو اسلام ، صالح بن طه عبد الواحد ، العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون ، مج 5، مكتبة الغرباء الأردن ، مكتبة ابن القيم العراق ، الدار الأثرية الأردن ، (ط1 1430هـ).
2. إسماعيل ، لبنى خالد ، خلق الحياء في ضوء القرآن والسنة (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة النجاح الوطنية-نابلس ، 2012م.
3. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط1/2001م).
4. الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد(ت:- 369هـ) العظمة مج4 تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري دار العاصمة الرياض (ط1/1408هـ).
5. _____، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت:- 502هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - لبنان ، (بلاط).
6. الألباني محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة-مختصرة، مج7 مكتبة المعارف الرياض.
7. _____، محمد ناصر الدين صحيح السيرة النبوية، ط1 المكتبة الإسلامية - عمان الأردن.
8. _____ محمد ناصر الدين صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، مج1 المكتب الإسلامي.

9. الألويسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت-1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- 10 - الباز، أنور ، التفسير التريوي للقرآن الكريم ، مج3، دار النشر للجامعات مصر (ط1/2007م).
- 11 - البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي(ت:-256هـ)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت (ط3/1407 - 1987).
- 12 - ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري(ت:-449هـ) شرح صحيح البخاري، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض،(ط2/1423هـ - 2003م).
- 13 - البغوي،أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء(ت:-516هـ) تفسير البغوي(معالم التنزيل)، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك،دار المعرفة - بيروت .
- 14 - _____، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت:- 516 هـ) معالم التنزيل،مج8،تحقيق :- محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش،دار طيبة للنشر والتوزيع،(ط4/1417هـ - 1997 م).
- 15 - أبو البقاء،أيوب بن موسى الحسيني الكوفي(ت:-1094م)، الكليات، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة - بيروت،(بلا ط/ 1419هـ - 1998م)
- 16 - البيضاوي(ت:- 685هـ) ، تفسير البيضاوي، دار الفكر بيروت ، (186/1). الألويسي ، روح المعاني.

17 - ابن البيطار ، ضياء الدين أبي محمد عبد اله بن أحمد الأندلسي المالقي(646هـ)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان،(1422هـ-2001م).

18 - الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى(ت:279هـ) الجامع الصحيح سنن الترمذي تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي بيروت.

19 - ابن تيمية ، أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية،مج2 تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم مطبعة الحكومة - مكة المكرمة (ط1/1392هـ).

20 - _____ تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن دار الكتب العلمية بيروت.

21 - _____ أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) مج 3 تحقيق : د. محمد السيد الجليند مؤسسة علوم القرآن-دار النشر دمشق (ط2/1404هـ).

22 - _____ ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين (728هـ-1328م) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال تحقيق :- أحمد حمدي إمام مطبعة المدني - القاهرة ،(1403هـ - 1983م).

23 - _____ ، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحراني الدمشقي(ت:724هـ) العبودية تحقيق:- علي حسن عبد الحميد،دار الأصالة الأسماعيلية،(ط3/1419هـ-1999م).

- 24 - _____ ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني (ت : 728هـ)، **مجمع الفتاوى**، أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، (ط3/1426هـ - 2005م).
- 25 - الجربوع، إبراهيم عبد الله ، **الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يصادة من الشرك**، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ،(1430هـ).
- 26 - الجربوع ، عبد الله ، **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، مج3، عمادة البحث العلمي المدينة المنورة ،(ط1/1424هـ - 2003م).
- 27 - الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت:-861هـ) ، **مج1 التعريفات** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ، (ط1/1405هـ) .
- 28 - جرداوي، رجاء، **لماذا اسلمت؟ نصف قرن بحث عن الحقيقة** ، دراسة محمد عثمان الحشن، مكتبة القرآن القاهرة ،(1406هـ -1986م).
- 29 - ابن جزى محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ) **تفسير ابن جزى (التسهيل لعلوم التنزيل)**، مج2 بحقيق : -محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية بيروت.
- 30 - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت592هـ) **زاد المسير في علم التفسير**، مج9 ، المكتب الإسلامي - بيروت (ط3/ 1404 هـ).
- 31 - الحاكم ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله(ت:-405هـ)، **المستدرک علی الصحیحین** تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ،(ط1/1411هـ - 1990م) .
- 32 - ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (ت:- 852هـ)، **تقريب التهذيب تحقيق : محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا ،(ط1/ 1406 1986).**

- 33 - _____ ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تهذيب التهذيب، دار الفكر بيروت، (ط1/1404هـ - 1984م).
- 34 - _____ ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، طبقات المدلسين، تحقيق : د. عاصم بن عبدالله القريوتي، دار النشر : مكتبة المنار عمان، (ط1/1403هـ - 1983م).
- 35 - _____ ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (ت: - 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت .
- 36 - الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي (ت: 320هـ) الأمثال من الكتاب والسنة ، تحقيق : د . السيد الجميلي، دار ابن زيدون / دار أسامة - بيروت دمشق.
- 37 - الحمزاوي، يزيد، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة الجزائر الجزائر، 2005م-2006م
- 38 - ابن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ،مسند الإمام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة مصر.
- 39 - حوى ، سعيد ، الأساس في التفسير، مج11، دار السلام للطباعة والنشر مصر ، (ط5/1419هـ - 1999م).
- 40 - الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن (ت: - 741هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، مج4، تحقيق :- تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، (ط1/1415هـ).

- 41 - خطاب ،محمود شيت، بين العقيدة والقيادة ،دار القلم دمشق ،(ط1/1419هـ - 1998م) .
- 42 - خليل، عماد الدين، حول إعادة تشكيل العقل المسلم ، رئاسة المحاكم الشرعية والدينية قطر ، (ط1/1403هـ) .
- 43 - الخطيب ، محمد محمد عبد اللطيف(ت:-1402هـ) أوضح التفاسير، الطبعة المصرية مصر.
- 44 - الداودي ، أحمد بن محمد الأدنه وي، طبقات المفسرين، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي،: مكتبة العلوم والحكم السعودية،(ط1/1417هـ - 1997م).
- 45 - دراز، محمد عبد الله(ت:1958م) الدين ،دار القلم القاهرة.
- 46 - الدمشقي ، محمد بن أبي بن أيوب(ت: 751) الطب النبوي،مج1،تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر -بيروت.
- 47 - الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت:- 748 هـ) سير أعلام النبلاء تحقيق:- شعيب الارنؤوط،مؤسسة الرسالة-بيروت ،(ط9/1413 هـ 1993 م).
- 48 - الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تفسير القرآن، تحقيق : أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا .
- 49 - الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي (ت:606هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية بيروت،(ط1/1421هـ - 2000م).
- 50 - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت:- 666هـ) مختار الصحاح تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت،(بلاط/ 1415 1995).

- 51 - رضا، محمد رشيد بن علي (ت:-1354هـ) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) مج12 الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م.
- 52 - الزحيلي ، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج مج30، دار الفكر المعاصر - دمشق، (ط2/1418هـ) (187/14).
- 53 - الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق(ت:-311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، مج5، تحقيق:- عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، (ط1/1408هـ - 1988 م).
- 54 - الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت:-794هـ)، البرهان في علوم القرآن، مج4 تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت ، (1391هـ) .
- 55 - الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت : 1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايين، (ط15/2002 م).
- 56 - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت:-358هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- 57 - أبو زهرة، محمد ، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب مؤسسة دار الفكر العربي -القاهرة ، ط1.
- 58 - أبو زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ)، زهرة التفاسير، مج10، دار الفكر العربي.
- 59 - الزيات ، أحمد وآخرون ، المعجم الوسيط، مج2، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

- 60 - الزين ، سميح عاطف، الأمثال والمثل والتمثيل والمثالات في القرآن الكريم
دار الكتاب اللبناني بيروت ، (ط2/ 1421هـ-2000م).
- 61 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد(ت:-1376هـ)
تفسير أسماء الله الحسنى،مج1،تحقيق :- عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة،(ط112/1421هـ).
- 62 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(ت:1367هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير
كلام المنان،تحقيق :- ابن العثيمين،مؤسسة الرسالة بيروت،(1421هـ-
2000م).
- 63 - السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث(ت:373هـ) بحر العلوم،مج3
تحقيق د.محمود مطرجي، دار الفكر بيروت.
- 64 - سندي، هند بنت إبراهيم بخش، الأمثال المتعلقة بالتوحيد بالقرآن والسنة
جامعة أم القرى - مكة ، (1433هـ) .
- 65 - السهيلي ، عبد الرحمن (ت:581هـ)، الروض الأنف في شرح سيرة ابن
هشام،مج7 ، تحقيق :- عبد الرحمن الوكيل ،مكتبة ابن تيمية مصر
(ط1/1410هـ-1990م).
- 66 - السيد،عبد الباسط محمد ،التغذية النبوية (الغذاء بين الداء والدواء)،مكتبة ألفا
مصر ،(ط3/1425هـ-2004م).
- 67 - السيروان ،عبد العزيز عز الدين ،المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم
دار العلم للملايين بيروت،(ط1/1986م) .
- 68 - السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت:-911هـ) لباب النقول في
أسباب النزول دار إحياء العلوم بيروت.

- 69 - الشافعي محمد بن إدريس أبو عبد الله (ت : - 204هـ)، أحكام القرآن، تحقيق عبد الغني عبد الخالق دار الكتب العلمية - بيروت، (1400هـ).
- 70 - الشعراوي، محمد متولي(ت: 1418 هـ) تفسير الشعراوي الخواطر، مج19 مطابع أخبار اليوم - مصر ، (د ط/1997م).
- 71 - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت: 1393هـ) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، (1415هـ - 1995م) .
- 72 - الشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت:-548هـ) الملل والنحل، مج2 تحقيق : محمد سيد كيلاني دار المعرفة - بيروت (1404هـ).
- 73 - الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد(ت:- 1255هـ)،فتح ا قدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار الفكر بيروت.
- 74 - آل الشيخ ، صالح بن عبد العزيز بن محمد ، شرح العقيدة الطحاوية لأمام ابن أبي العز الحنفي ، مج 2، تعليق :- صالح بن فوزان الفوزان ، محمد ناصر الدين الألباني ، دار الجوزي مصر القاهرة ، (بلا ط / 1427هـ - 2006م).
- 75 - ضمرة، معن محمود عثمان ، الحوار في القرآن الكريم (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين، 2005م.
- 76 - الطبري ، أبي جعفر ابن جرير (ت:310هـ) ، تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية بيروت.
- 77 - _____ جامع البيان في تأويل القرآن، مج24، تحقيق :- أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة (ط 1 / 1420 هـ - 2000 م).

- 78 - الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت: -310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر بيروت،1405.
- 79 - ابن عاشور ، محمد بن الطاهر التحرير والتنوير ، سحنون للنشر والتوزيع - تونس (1997م).
- 80 - عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث القاهرة،(بلاط/ 1364هـ -1939م).
- 81 - ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله(ت:543هـ) أحكام القرآن تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر لبنان.
- 82 - ابن عرفة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: 803هـ) تفسير ابن عرفة،مج4،تحقيق:- جلال الأسيوطي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (ط1/ 2008 م).
- 83 - العسكري أبو هلال (ت:-395هـ)، جوهرة الأمثال، مج2، تحقيق :- محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر بيروت (ط2/1988م) .
- 84 - العفاني ،سيد بن حسين ،رهبان الليل ،مج3،دار العفاني مصر،(ط23/1427هـ -2006م) (29/1).
- 85 - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت:546هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق:- عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية - بيروت،(ط1/1413هـ -1993م).
- 86 - علي، محمد قرّة، شعراء من المهجر ، دار الأنصاف،1959م.
- 87 - العمادي، أبوالسعود محمد بن محمد (ت:-982هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- 88 - العيني بدر الدين محمود بن أحمد(ت:-855هـ) عمدة القاري شرح صحيح البخاري دار إحياء التراث العربي بيروت.
- 89 - ابن فارس ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت:-395هـ) ، معجم مقاييس اللغة،مج6،تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت لبنان ، (ط2/1420هـ -1999م) .
- 90 - ابو الفداء ، اسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر بيروت ،(بلاط/1401هـ).
- 91 - الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت:173هـ) كتاب العين ،مج8 ، تحقيق : د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .
- 92 - فرج ، محمد رفيق ، أمثال القرآن القياسية المضروبة للإيمان باليوم الآخر، الجامعة الإسلامية -المدينة المنورة،(1425هـ).
- 93 - الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري (ت:770هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المكتبة العلمية بيروت.
- 94 - القحطاني ، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني النور والظلمات في ضوء الكتاب والسنة،مج1 مطبعة سفير، الرياض.
- 95 - القدومي، سامي وديع عبد الفتاح شحادة التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ،دار الوضاح، الأردن عمان.
- 96 - القرضاوي ، يوسف ، الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة بيروت، (ط9/1403هـ-1983م) .
- 97 - القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:- 671هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب القاهرة.

- 98 - القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي(ت: - 465هـ) تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، مج3 ، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن الدار الكتب العلمية - بيروت/لبنان (ط1/1420هـ - 2000م).
- 99 - القطان ، مناع، مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط35 1418هـ - 1998م).
- 100 - قطب ، سيد(ت:1966م) التصوير الفني في القرآن دار الشروق 1988م.
- 101 - _____ في ظلال القرآن، مج6 دار الشروق - القاهرة.
- 102 - القنوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: 1307هـ) فتح البيان في مقاصد القرآن، مج15، تحقيق :- عبد الله بن إبراهيم الأنصاري المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت (1412 هـ - 1992 م).
- 103 - القيرواني أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي(ت: 437هـ) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه مج 13، تحقيق: -مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة (ط1/1429 هـ - 2008 م).
- 104 - ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، مج1، دار الكتب العلمية بيروت (ط1/1404 1984).

- 105 - _____ إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : طه عبد الرؤوف
سعد دار الجيل - بيروت 1973.
- 106 - _____ ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مج2، تحقيق : محمد
حامد الفقي دار المعرفة بيروت (ط2/1395هـ -1975م).
- 107 - _____ الأمثال في القرآن الكريم تحقيق : إبراهيم محمد مكتبة
الصحابة - طنطا مصر، (ط1/ 1406 هـ) .
- 108 - _____ تحفة المودود بأحكام المولود، مج1، تحقيق: - عبد القادر
الأرناؤوط مكتبة دار البيان دمشق (ط1/1391هـ -1971م).
- 109 - _____ ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، دار الكتب العلمية
بيروت (1412هـ - 1992م).
- 110 - _____ زاد المعاد في هدي خير العباد مج5 مؤسسة الرسالة،
بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت (ط27/ 1415 هـ -1994م).
- 111 - _____ الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة ، تحقيق :
د. علي بن محمد الدخيل الله دار العاصمة - الرياض (ط3/ 1418 - 1998).
- 112 - _____ الفوائد ، دار الكتب العلمية بيروت (ط2/ 1393 هـ -
1973م) (ص101-102)
- 113 - _____ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
، مج3 تحقيق : محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي بيروت (ط2/1393
1973).
- 114 - ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: - 711هـ) ، لسان العرب
مج15، دار صادر - بيروت ، (ط1).

- 115 - الكوراني أحمد بن إسماعيل بن عثمان شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (ت: 893هـ) غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني، مج1 تحقيق: محمد مصطفى كوكسو (رسالة دكتوراه) جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية تركيا (1428 هـ - 2007 م).
- 116 - الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، مج10، تحقيق: - د. مجدي باسلوم دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان (ط1/1426 هـ - 2005 م).
- 117 - أبو ماضي، أيليا (ت: 1957م) الديوان، مج3، دار العودة بيروت.
- 118 - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450هـ)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: - مصطفى السقا ، شركة مصطفى الحلبي مصر (ط4/1393هـ).
- 119 - _____ النكت والعيون، مج6، تحقيق :- السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
- 120 - المريني ، أبو بكر ، الأمثال في القرآن الكريم، دار الحديث الحسينية الرباط (1980م).
- 121 - مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين (ت261هـ) صحيح مسلم تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت.
- 122 - المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت: 1029هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر -بيروت دمشق، (ط1/1410هـ).

- 123 - _____ فيض القدير شرح الجامع الصغير، مج6 المكتبة التجارية الكبرى - مصر (ط1/1365هـ) (247/4).
- 124 - النابلسي ، محمد راتب ، موسوعة الأعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الأفاق ، دار المكتبي دمشق ، (ط3/1428هـ-2007م).
- 125 - النحاس ، معاني القرآن الكريم ، تحقيق : محمد علي الصابوني جامعة أم القرى - مكة المكرمة (ط1/1409هـ).
- 126 - النجار ، زغلول ، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ، مج3، مكتبة الشروق القاهرة ، (ط1/1428هـ-2007م).
- 127 - _____ الحيوانات في القرآن الكريم ، دار المعرفة لبنان (ط2/2007م).
- 128 - النجار ، زغلول ، الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، نهضة مصر - القاهرة (ط2/2007م).
- 129 - النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ، تفسير النسفي ، مج4 تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار، دار النفائس — بيروت، 2005م.
- 130 - أبو نصر البخاري ، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، (المتوفى : 398هـ) الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تحقيق :- عبد الله الليثي، دار المعرفة بيروت، (ط1/1407).
- 131 - النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت:- 676هـ) صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي بيروت (ط2/1392هـ).

132 - الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن (468هـ-)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
تحقيق :- صفوان عدنان داوودي ، دار القلم بيروت ، (ط1/1415هـ).

133 - اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي نور الدين (المتوفى : 1102هـ)
زهر الأكم في الأمثال و الحكم ،مج3، تحقيق :- محمد الأخضر -محمد الحجي،دار
الثقافة - المغرب، (ط 1،1401،1981م).

**An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

Proverbs in the Quran

**By
Rowan Munther Al -Saed.**

**Supervised by
Dr . Khader Sundk**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of
Islamic law (Usol Al-Din) , Faculty of Graduate Studies An-
Najah National University, Nablus, Palestine.**

2014

Proverbs in the Quran
prepared by
Rowan Munther Al -Saed
Supervised by
Dr. Khader Sundk
Abstract

I Divided the study into six chapters, where I started discussing in the first chapter the definition of ideals in language and idiomatically. The study showed the importance of faith for humans and therefore an input and an introduction to the study, and I completed this introduction by discussing the benefits of using ideals in the consolidation of beliefs and that was in the second chapter.

Then came the third chapter which dealt with the doctrine of faith in Allah's wholeness and ideals - mentioned the qualities and showed the oneness of Allah and that Allah described himself as the light, and proved humanity of Jesus, peace be upon him.

The fourth chapter talked it about Allah 's power and downplay other parables, where exposed to the inability of the Allah of the infidels and the protection of creation itself, and then showed the power of Allah Almighty. The fifth chapter allocated today to talk about Allah, she stated that Allah start reducing minimum and maximize the other , then moved on to discuss about ba'th and al hasher , the Chapter concluded by talking about heaven and hell.

The study concluded in Chapter VI discussing about the revelation, and how to treat people with proved that the revelation (Quran) is from Allah, and then showed the people in the sections dealing with: the faithful, hypocrites, and infidels.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.win2pdf.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.